جامعة القاهرة - فرع الخرطوم
كلية الآداب
قسم التاريخ

أبو عبيد البكري

حياته وآثاره العلمية التاريخية

(٤١٣ هـ ٤٩٦ هـ)

رسالة أعدها
حيدر خوجلي محمد حسن
لنيل درجة الماجستير في الآداب

بإشراف
الأستاذ الدكتور مصطفى محمد مسعد
أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة

دار المصطفى للنسخ والطبع
٨ شارع المرلقان بمنشية الصدر قسم الوايلي

١٣٩٥ هـ
١٩٧٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر :

وقبل أن أضع قلمي أتوجه بالشكر الى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور مصطفى محمد سعد . فقد رعى هذا البحث بالتوجيه وردني الى ما يجب أن يأخذ به الدارسون أنفسهم من المنهج العلمي ، فما ادخر وسعًا ولا منع نصحًا .

وأتقدم بالشكر خالصًا الى الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين والأستاذ الدكتور ابراهيم طرخان ، فقد كان لدراساتهم عن " البكري " أبلغ الأثر في هذا البحث وأعيد لهما الشكر ... لتفضلهما بقبول مناقشته .

وأخيرًا كلمة مودة وتقدير للأخ الأستاذ عبد الله يوسف الغنيم بجامعة الكويت ، فقد يسر لي الحصول على كثير من مصادر الدراسة . رعى الله وفاءه

والحمد لله رب العالمين

وهو الموفق والمعين

حيدر

مقدمـــــــة

أبوعبيد البكرى ، أحد علماء القرن الخامس الهجرى بالاندلس ، تردد ذكر اسمه فى كثير من ميادين المعرفة ، ذكره علماء اللغة زعيما لمدرسة الشراح بالاندلس (١) وهو فى رأى المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال مؤرخ وجغرافى كذلك (٢) .

ولقد عكف بعض الباحثين على دراسة الجوانب اللغوية والجغرافية فى آثـــار البكرى العلمية ، وحان الوقت لدراسة الجوانب التاريخية من هذه الآثار العلمية التى تزخر بالمعلومات التاريخية المبعثرة فى ثنايا مؤلفاته المخطوطة والمطبوعـــة كذلك . ويعتبر أبوعبيد البكرى مثالا للمدرسة الاندلسية التى جمع أعضاؤها بـين دراسة التاريخ ودراسة الجغرافية ، وهم الذين يقول عنهم الاستاذ حسين مؤنس: " انه ما من مؤرخ عندهم الا ويمكن اعتباره جغرافيا وما من جغرافى الا وهو مؤرخ فى نفس الوقت" (٣) .

---

(١) مطلق الحركة اللغوية فى الاندلس ص ٣٢٦ بيروت ١٩٦٧ .

(٢) ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ص ٢ ـ القاهرة ١٩٥٦ .

(٣) مؤنس : تاريـــخ الجغرافيـــة والجغرافيـــين فى الاندلس ص ٩٧ مدريـــد ١٩٦٧ .

ونظرا لمكانة البكرى بين المؤرخين العرب ، وأهمية كتاباته فى هذا الميدان الفسيح ، فقد اخترته موضوعا لهذا البحث المتواضع للكشف عن آثاره التاريخية وتطلب الامر تقسيم البحث الى سبعة فصول :

الفصل الاول : يتناول التعريف بالبكرى مع الاشارة الى أحوال بلاد الاندلس قبيل العصر الذى عاش فيه ، وهو العصر المعروف باسم " عصر ملوك الطوائف " ، كما يتناول الحديث عن البكريين فى الاندلس وعلاقتهم بقبيلة بكر بن وائل ، والحديث عن زعماء البكريين وصراعهم مع بنى عباد أمراء أشبيلية ، وطرد البكريين من اماراتهم والتجائهم الى قرطبة ، ثم انتقالهم منها الى المرية ، وننتهى بذكر أثر هذه الاحداث جميعا على البكرى نفسه .

الفصل الثانى : يتناول البحث فى تعدد المراكز العلمية فى عصر ملوك الطوائف وأثره فى تنوع ثقافة البكرى ، وأثر ظروف العصر فى تكوين شخصية البكرى العلمية ، وذكر شيوخه والتعريف بآثاره العلمية المختلفة المطبوع منها والمخطوط مع التنبيه الى مخطوطات " كتاب المسالك والممالك " ، وما يحتويه من مادة تاريخية وردت فيها جميعا ، وذكر المصادر التى اعتمد عليها البكرى فى تسجيل مادته التاريخية ، واستخلاص هذه المادة التاريخية من جميع مؤلفاته مع التركيز على القسم الخاص بافريقية والمغرب كنموذج تطبيقى لآثاره التاريخية .

الفصل الثالث : وتناول الحديث عن تحديد مصطلح افريقية والمغرب عند البكري ، وطريقة ترتيبه لدول المغرب الاسلامي ، مع تصنيف الدول التي ذكرها الى دول عاصرها ، مثل دولة غانة ، ودولة النوابدليين ، ودول حفظ لنا تاريخها من الضياع مثل دولتي برغواطة ودولة بني المدرار .

وامكن استخلاص بعض النصوص عن النوع الاول من الدول التي توضح مدى دقة معلوماتـه ، مع الاشارة الى المصادر التي اعتمد عليها ، والتنبيه الى أهمية ما أورده البكري من معلومات تاريخية جديدة عن دولة غانة التي توضح مدى قدم عهدها بالاسلام ، والحديث عن تاريخ الاسرة المالكة فيها ، ووصف احوال البلاد ، وذلك فضلا عن شرح طريقة البكري في الربط بين الجغرافية والتاريخ ، وتعرضه للحديث عن أصل المرابطين وتاريخهم .

الفصل الرابع : ويتعرض للحديث عن مدى وفرة المادة التاريخية عن المغرب ومقارنة ما جاء في كتاب البكري عن دولة برغواطة بروايات ابن الخطيب وابن عذارى ، وتحليل نصوصه عن دولة برغواطة ، ومراحل تاريخها ، مع الاشارة الى المصادر التي اعتمد عليها في التاريخ لدولة برغواطـة ، وموقف القبائل منها ، وأثر ذلك في سقوطها .

وهنا ينبغي أيضا الاشارة الى دور البكري في حفظ تاريخ دولة بني المدرار وقيمة المقدمة الجغرافية التي كتبها البكري في الكشف عن طبيعة دولتهم ، وتأسيس

حاضرة ملكهم سجلماسة ، وتاريخ بنى المدرار عامة حتى سنة ٣٤٧هـ.

اما الفصل الخامس: فيتتبع موءلفات البكرى للكشف عن منهجه فى التأليف، وبيان مراحل تطوره ، والموءلفات التى أخضعها لمنهجه ،كما يقدم نموذجا للدراسات التاريخية التى تناولها البكرى باعتبارها مرحلة النضج فى التأليف هذه ، وتتوج مظاهر الكتابة التاريخية مع تقديم دراسة تطبيقية لمنهجه فى الكتابة عن دولة الادارسة .

ويتناول الفصل السادس: مناقشة آراء البكرى فى دراسة نشأة المدن الاسلامية واختيار نماذج منها تأسيس مدينة فاس ومناقشة اقوال المستشرق بروفنسال .

هذا فضلا عن تتبع مادة البكرى للفتح العربى للمدن ، والمصادر التى اعتمد عليها ، ودراسة ما ينسب الى معاوية بن خديج من روايات خاصة بأساليب الفتح ، والتنبيه الى ميل رواية البكرى عن الفتح الى سرد القصص والاساطير.

اما الفصل السابع : فهو محاولة لدراسة ممالك السودان عند البكرى كما يشتمل هذا الفصل على تحقيق بعض النصوص التى أوردها البكرى عن ممالك السودان وذلك بالاعتماد على مخطوط محمد المنونى اقدم المخطوطات ، ومخطوط مكتبة نور عثمانية ، ومخطوط مكتبة لاله لى ، مع التنبيه الى أن مادة البكرى عن هذه الممالك لا تخلو من الاعتماد على بعض الاساطير والقصص الخرافية.

واذا عرفنا أننا ندرس شخصية رجل من اصحاب الموسوعات صاحب نشاط فكرى متنوع لاستخلاص الحقائق التاريخية المبعثرة فى ثنايا دراسات اللغوية والجغرافية الى جانب مؤلفاته التى لا تزال مخطوطة موزعة بين مكتبات العالم فقد اضطر الطالب الى القيام برحلة الى اسبانيا للاطلاع على الميسور منها فى مكتبة الاسكوريال • والاكاديمية التاريخية بمدريد والمعهد الاسلامى • بذلك فضلا عما أمده به المخلصون من العلماء من مخطوطات لم يتيسر له السفر الى اماكنها • وهذا يمكن تصور مدى الصعوبات التى واجهت الدارس •

وختاما اضرع الى الله سبحانه وتعالى أن تجئ هذه المحاولة المتواضعة سراجا يضئ الطريق للبحث عن الحقيقة وأن يكون هذا الجهد قد كشف عن جانب من جوانب البكرى المؤرخ •

الفصل الأول

الفصل الاول

نشأة البكري وعصره

التعريف بالبكري ـ الاندلس قبيل البكري ـ عصر القوة وسيادة قرطبة ـ سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هـ ـ استقلال الامراء بالنواحي واعلان حكم الطوائف ـ ظهور البكريين وقيام اماراتهم ـ صلتهم بقبيلة بكر بن وائل ـ تاريخ قبيلة بكر في الجزيرة العربية ـ هجرة بكر بن وائل للاندلس ـ أيوب أول زعماء البكريين ـ أثره في تأسيس امارة البكريين ـ أبو زيد البكري ثاني أمراء البكريين ـ ولاية أبي مصعب عبد العزيز البكري والصراع مع بني عباد ـ دخول البكريين في حلف دفاعي مع قرطبة ـ التجاء البكريين الى قرطبة ـ أسرة البكري في قرطبة ـ انتقال البكري الى المرية ـ تأثر البكري باحداث العصر.

°°° °°°

تروى المصادر التاريخية روايات متعددة ومختلفة بعأن نسب أبي عبيد البكري [1]

---

(١) يروى ابن بشكوال (الصلة : جـ١ ص٢٧٧ القاهرة ١٩٦٦) ان اسمه عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري أما الفتح بن خاقان (قلائد العقيان ص ١٩١ ـ القاهرة ١٢٨٢ هـ) فقد سماه اباعبيد الله البكري وقيل انه عبد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب أبو عبيد البكري (انظر : السيوطي بغية الوعاة جـ٢ ص٨٥ القاهرة ١٩٦٥).

والتفسير المعقول لما ورد من اختلاف في نسب أبي عبيد البكري ، مرجعه ميل بعض المؤلفين الى اختصار سلسلة النسب بحذف او اسقاط عدد من الاسماء الواردة فيها وميل فريق آخر الى التشبث بالالقاب والكنى ، مما أدى الى ظهور النسب وكأنه مختلف فيه ، والراجح بعد الدراسة المقارنة لجميع هذه الروايات : أن الاسم المتواتر على ألسنة المؤلفين هو: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (١) .

اما عن مولد أبي عبيد البكري فالاختلاف حوله كثير أيضا ، ولعل مرجع ذلك سكوت المصادر القديمة عن تحديد مكان ميلاده ، فلم تذكر شيئا عنه (٢) وقد أدى هذا السكوت من جانب الذين ترجموا للبكري الى تخبط من جاء بعدهم من المؤلفين فذكروا اماكن مختلفة لميلاده من بينها جزيرة شلطيش (٣) وقرطبة (٤) ومرسية (٥) والراجح أنه ولد في اونبه حيث كانت تحكم اسرته ، وذلك قبل ضمها الى اشبيلية سنة ٤٤٣هـ .

---

(١) ابن الابار : الحلة السيراء جـ٢ ص ١٨١ القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) ابن بشكوال : نفس المصدر جـ١ ص٢٧٧ ، وابن خاقان – نفس المصدر ص ١٩١ وابن الابار – نفس المصدر جـ٢ ص ١٨١ .

(٣) الزركلي – الاعلام جـ٤ ص٢٣٣ بيروت ١٩٦٩ .

(٤) بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص٣٠٩ ترجمة حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥ .

(٥) احمد عيسى : تاريخ النبات عند العرب ، ص٨٢ ، القاهرة ١٩٤٤ .

ولم تسجل المصادر القديمة تاريخ ميلاد البكرى لان تاريخ الميلاد امر يهم الاسرة فحسب ففى عهده لا يوجد ما يلفت نظر الاخرين الى الاهتمام به ولهذا جاء اختلاف الباحثين المحدثين حوله فثم قول انه ولد سنة ٤٣٢هـ[1] وقول آخر انه ولد سنة ٤٠٥هـ[2] ونميل الى ترجيح الرأى الذى يجعل ميلاده فى سنة ٤١٣هـ وذلك لاستناده الى دليل يقينى من ابن حيان[3] .

وبالرغم من كثرة الاتفاق بين المصادر حول تحديد وفيات اعلام العلماء بسبب المكانة التى يكتسبونها فان هذه المصادر اختلفت حول تحديد تاريخ وفاة البكرى . برغم الشهرة التى نالها فذهب البعض الى انه توفى فى سنة ٤٨٧هـ[4] وعلى هذا الرأى أغلب الباحثين وذكر الضبى انه توفى سنة ٤٩٦هـ[5] .

ومن الضرورى هنا : أن نلقى ضوءا على العصر الذى عاش فيه أبو عبيد البكرى حتى تتضح لنا الصورة عنه كاملة . والمعروف ان الحكومة الاسلامية فى الاندلس قبل

---

(١) بالنثيا ، نفس المرجع ص ٣٠٩ .

(٢) البكرى : جغرافية الاندلس واوربا — مقدمة الحجى ص ٢٩ بيروت ١٩٦٨م .

(٣) الغنيم : ابو عبيد البكرى الجغرافى العربى — رسالة ماجستير ص ٦ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة جـ ١ ص ٢٧٧ . والسيوطى : بغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٨٥ .

(٥) بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل الاندلس ص ٢٣٣ . مدريد ١٨٨٤م .

القرن الخامس الهجري مارست من الاساليب السياسية الرشيدة ، ما مكنها من المحافظة على وحدة البلاد وتماسكها ، وذلك حين ولي أزمة الحكم بها ثلاثة من الحكام الاقوياء هم (عبد الرحمن الناصر ، ت ٣٥٠ هـ) ثم (الحكم المستنصر ، ت ٣٦٦ هـ) ، اما الثالث فمن غير البيت الاموي ، فهو كبير الوزراء (محمد بن أبي عمر ت ٣٩٢ هـ) وغدت بلاد الاندلس نتيجة لهذا التماسك القوي في عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر قبلة أنظار العالم وقتذاك ، فوفدت اليها الوفود وقصدها رسل الملوك والامراء المعاصرين . وقد وصف ابن حيان تلك الوفود في عهد الناصر بقوله : " ارتهن أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس ، وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ، ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى ، فانه هاداه ورغب في موادعته وكان وصول ارساله في صفر سنة ٣٣٨ هـ " (١) .

فقد تمكن عبد الرحمن الناصر من اخضاع اقاليم الاندلس الاسلامية الخارجة على سلطانه ، والزامها الطاعة . اما الممالك النصرانية (٢) في الشمال فقد نجح في

---

(١) المقري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس جـ ١ ص ٣٤٣ ، بيروت ١٩٦٨ .

(٢) يتكون نصارى الشمال في القرن الحادي عشر من خمس ممالك مسيحية يحكمها —

استمالة بعضها وكسب صداقتها ، وأرغم البعض الآخر على احترامه واللجوء اليه فيما يشجر بينها من خلاف.

وبعد وفاة الناصر سنة ٣٥٠ هـ خلفه ابنه الحاكم المستنصر ولم يكن أقل من أبيه كفاءة في ادارة دفة البلاد والمحافظة على وحدتها وسار بسيرته ولم تنقطع الوفود التي كانت تفد الى قرطبة طالبة ود أبيه من قبل ، فاستمرت أيضا في أيام الحكم المستنصر ومن بين الذين وفدوا عليه " اذفونش " ملك الجلالقة [1] الذي جاء مستجيرا فاحتفل

= اولاد سانشو الملقب بالملك الكبير فبعد وفاته اصبح ولده فردناند ملك قشتاله ملكا على ليون وجليقية واستوريش وما اليها وحكم اخوته بقية ممالك الشمال النصراني فحكم غرسية بن سانشو نافارا من غرب البرنية الى مصب الايبرو وحكم راميرو بن سانشو ارغون او الثغر الاعلى وحكم كونزالو ولاية سوبرابى في اواسط البرنية وحكم ريموند برنجارا الاول امارة كونتية شرقي البرنية.
يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص ٩-١٠.

(١) الجلالقة جنس من الافرنج وهم سكان جليقية " غاليسيا الاسبانية " وتمتد من نهر دويره جنوبا حتى الساحل الشمالى لشبه الجزيرة الايبيرية ومن الساحل الغربي حتى قشتالة : عبد الرحمن الحجى - جغرافية الاندلس واوربا ص ١٧١-١٧٢.

بوفاته وحده بالنصر على عدوه ، وفاقده على موالاة الاسلام [١] .

ولما توفى الحكم سنة ٣٦٦هـ خلفه ابنه هشام ، وكان هشام هذا صغيرا مناهزا الحلم ، وقد عين الحكم المستنصر المنصور بن أبى عامر وزيرا لابنه هشام ، ونقله من خطة القضاء الى منصب الحجابة ، وفوض اليه أموره [٢] ، ولكن المنصور بن أبى عامر استبد بالامر ، وحجب هشاما ومنع الوزراء من مقابلته ، وعلى الرغم من أن المنصور بن أبى عامر كفل للدولة هيبة ، باجزال العطاء للجند ، ورفع مراتب العلماء والقضاء على الضلالات والبدع ، مستخدما ملكاته وشجاعته ودرايته بالحروب ، فانه استبد بالامر واستلب من كبار رجال الدولة سلطانهم لنفسه ، فجرد القائمين على أمور الدولة من مناصبهم ، وأنزلهم من مراتبهم ، وكانت نيته القضاء على النابهين والاقوياء من الرجال ، وفقد من بقى فى الدولة تبادل الثقة مع الاخرين ، فقد كان يستعين ببعضهم فى القضاء على البعض الآخر حتى فرق جمعهم [٣] .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، وديوانه المبتدأ والخبر : جـ ٤ ص ١٤٥ .
(٢) ابن خلدون : نفس المصدر جـ ٤ ص ١٤٧ .
(٣) ابن خلدون : المصدر السابق .

وأدت السياسة التى انتهجها المنصور بن أبى عامر بالقضاء على المعارضة الداخلية ، وضرب الفرسان والابطال وأصحاب الرأى الى ازدياد خطر الدول النصرانية فى الشمال بازدياد رغبتهم فى الانتقام من المسلمين .

وسيتضح من سير الاحداث أن زوال القوة المتفردة الممثلة فى شخصية المنصور ابن أبى عامر قد تركت ضعفا فى جسم الدولة ، فلم تعد هناك شخصية جديرة بتولى أمور الدولة والمحافظة على وحدة الاندلس ، والمعروف أن المنصور بن أبى عامر كان عهد قبل وفاته سنة ٣٩٢هـ ، الى ابنه عبد الملك بتولى منصب الحجابة وبذا غدا منصب الحجابة وراثيا .

واذا كانت أمور البلاد فى عهد عبد الملك سارت بقوة الدفع سيرا هادئا ، فان ذلك لم يلبث أن تبدل بقرطبة ، وآذن شمس الدولة بالافول . ذلك أن أخاه عبد الرحمن الذى عرف بشنجول طمع فى منصب الحجابة ، غير ان الناس كرهيا ولايته وتمنوا الخلاص منه ، ثم طمع شنجول فى الخلافة وأرغم الخليفة هشام المؤيد أن يقره على ولاية العهد بأن يكتب له عهدا بالتنازل عن الخلافة ، واستطاع أن يحصل على ذلك العهد من هشام المؤيد أمام ملأ من الناس[1] ، ولم يرض الامويون

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٤ ص ١٤٨ـ١٤٩ .

والقرطبيون بهذا المهد فثاروا فى قرطبة ، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بالخلافة وتلقب بلقب المهدى ، وأشاع أن هشاما قد مات ، فانفض جند عبد الرحمن بن المنصور عنه ، واحتزوا رأسه وبايعوا المهدى بقرطبة ، وبذلك انتهت الدولة العامرية [1] .

ولكن الامويين انشقوا على أنفسهم عندما ثار فريق منهم على المهدى بزعامة سليمان المستعين ، وكان معظم انصاره من البربر الذين بايعوه بظاهر قرطبة [2] وانتهز نصارى الشمال الفرصة وزادوا نيران الفتنة اشتعالا ، فأمدوا المستعين بالمساعدة وكانت هذه سابقة خطيرة تدخل فيها نصارى الشمال فى أحوال الاندلس ونشبت معركة انتصر فيها سليمان المستعين ، وقتل فيها ما يقرب من عشرين الفا ، وهلك من الناس عالم كثير ، ودخل المستعين قرطبة .

أما محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى فقد لجأ الى طليطلة [3] وعرفت هذه الموقعة فى التاريخ بالفتنة البربرية سنة ٣٩٩هـ ـ ٤٠٢هـ ، وأحدثت فى البلاد خرابا يصوره لنا البكرى بقوله : " عقب الفتنة التى كانت على رأس أربعمائة من الهجرة عفت آثار هذه القرى ، وغيرت رسوم ذلك العمران ، فصار أكثرها خلاء يندب ساكنيه .

---

(١) و(٢) و(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ج٤ ص ١٥٠ .

يبابا يخص بمصره وكذلك حكم الله في كل جديد أن يبليه ، وفي كل آمــــل أن يخليه " (١) . ولجأ محمد بن هشام المهدى الذى لحق بطليطلة الى نصـــارى الشمال يستنصرهم ضد خصمه المستعين ، فتمكن من هزيمته ومن معه من البربـــر ، وملك قرطبة (٢) ، وارتحل المستعين الى الجزيرة الخضراء (٣) ، فلاحقه المهـــدى بمساعدة نصارى الشمال ، فكروا عليهم وحلت الهزيمة بالمهدى وتبعه المستعين الى قرطبة ، وهنا أغرى المستعين أهل القصر وحاجبه المدبر بالمهدى وأقنعهم بانــه سبب الفتنة ، فانقلبوا على المهدى وقتلــوه وجددت البيعة لهشام المؤيـــد ، بيد أن المستعين والبربر ظلوا يحاصرون قرطبة حتى " عدمت المرافق وضاقت أحوال أهل قرطبة وجهدهم الحصار " (٤) ، فعاد المستعين الى الاستعانة بالنصارى وكتب اليهم يدعوهم لنصرته ، فاقتحم البربر قصر الخليفة سنة ٤٠٣ هـ ، وقتلوا هشاما المؤيد ، واستقر الامر فى قرطبة واستتب الامر للمستعين حتى جاء على بن حمود من ولـــد ادريس بن عبد الله العلوى فاجتمع حوله البربر وقتلوا المستعين . واستمر الحكم فى بنى حمود نحو سبع سنين (٥) .

---

(١) البكرى : مخطوط الرباط ق ٢٢٠ رقم ٤٨٨ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق حـ٤ ص ١٥١ .

(٣) المقرى : المصدر السابق حـ١ ص ٢٧٩ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق حـ٤ ص ١٥١ .

(٥) ابن خلدون : المصدر السابق حـ٤ ص ١٥٢ .

وقامت محاولات متكررة لارجاع الخلافة الامية فلما قطع أهل قرطبة دعوة الحمود يين زحف اليهم قاسم بن حمود في جموع من البربر فهزمهم أهل قرطبة وردوا الامر لبني أمية ، واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدي سنة ٤١٤هـ ، ولقبوه بالمستظهر ، غير أن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر ثار على المستظهر بعد شهرين من خلافته وقتله بالمستظهر واستقل بأمر قرطبة ، وتلقب بالمستكفي وبعد مضي ستة عشر شهرا من حكم المستكفي عاد الامر لبني حمود مرة أخرى ، وتولى الامر يحي بن علي بن حمود وهو المعتلي ، وثار القرطبيون على المعتلي بن حمود سنة ٤١٧هـ وخلعوه ، وغادر بنو حمود قرطبة الى مالقة فقتك القرطبيون بالحامية البربرية بزعامة ابو الحزم بن محمد بن جهور وبويع هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وتلقب بالمعتمد بالله وقضى عامين في الخلافة لم يحسن فيها السيرة فخلعه الجند وفر الى لاردة في سنة ٤٢٢هـ[1] ، وانتهت بذلك الدولة الامية .

وهكذا نرى من خلال تتبع حوادث الفتنة الكبرى أن ضعف الخليفة هشام الثاني واستبداد آل عامر بمختلف أمور الدولة ساعد على اثارة الفتن وتعاقب الخلفاء في ثلاثة عشر عاما تولى تسعة خلفاء[2] وبعد فشل الامويين في استعادة الخلافة الامية ظهر التفكك الذي أصاب الاندلس "فافترق الامر في رؤساء الدولة من العرب والموالي والبربر واقتسموا الاندلس ممالك ودولا ، وتلقبوا بألقاب الخلفاء" [3] وقد عرف هذا العهد في تاريخ الاندلس بتاريخ ملوك الطوائف فقام بنو جهور بالامر في قرطبة وبنو عباد في اشبيلية ، وبنو الافطس في

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٢ .
(٢) خالد الصوفي : تاريخ العرب في اسبانيا جمهورية بني جهور : ص ٢٢ دمشق ١٩٥٩
(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٥ .

بطليوس وبنو زيرى فى غرناطة ، وبنو ذى النون فى طليطلة ، وبنو هود فى سرقسطة ، والبكريون فى شلطيش وولبه ، وهؤلاء هم الذين ينتمى اليهم أبو عبيد البكرى .

وبعد ان كانت الاندلس تمثل فى النصف الثانى من القرن الرابع ذروة المجد السياسى المتمثل فى وحدتها التى كفلها لها الخلفاء النابهون والاقوياء من حكامها اصبحت بعد ذهابهم فى تفكك وضياع لم تجد من يحافظ على وحدتها ، فقضت عليها الفتن واستقل كل وال بولايته وأصبحت قرطبة التى كانت تمثل واسطة العقد لمدن الاندلس دويلة من دويلاتها تقام على رأسها بنو جهور ، ويكشف لنا ابن الخطيب الصورة الغريبة التى انتهت الى ضياع الاندلس وتفرقها بقوله : " وذهب اهل الاندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق الى حيث لم يذهب كثير من أهل الاقطار مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب ، ليس لاحدهم فى الخلافة ارث ، ولا فى الامامة مكتسب ، اقتطعوا الاقطار ، واقتسموا المدائن الكبار وجبوا العمالات والامصار ، وجندوا الجنود وقدموا القضاء وانتحلوا الالقاب "(١)

ينبغى هنا أن نقف وقفة قصيرة مع دويلة من دول الطوائف لا لاهميتها السياسية فحسب بل لصلة العالم الاندلسى أبى عبيد البكرى الذى نحن بصدد الحديث عنه بهذه الدولة لنكشف عن تاريخ البكريين فى تلك الامارة ، لقد سبقت الاشارة الى وحدة الاندلس وتماسكها فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، ثم انحدارها الى حالة من الفوضى والاضطراب والتفرق ، حيث انفرد فى كل منطقة حاكم اعلن استقلاله بها وقامت عدة مدن تنافس قرطبة وتعلن استقلالها ومن بين الذين اعلنوا استقلالهم فى عهد الطوائف جماعة البكريين الذين ينتسبون الى قبيلة بكر بن وائل (٢) وهنا ينبغى أن نتتبع تاريخ هذه القبيلة منذ كانت فى الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى حتى وقت ارتحالها الى الاندلس وتكوينها لامارة البكريين فى ولبه (٣) .

---

(١) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص ١٤٤ تحقيق بروفنسال بيروت ١٩٥٦م .
(٢) المقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٧١ تحقيق بروفنسال بيروت ١٩٦٨ .
(٣) تقع مدينة ولبه على ساحل البحر المحيط الى الغرب من اشبيلية . كراتشكوفسكى : تاريخ الادب الجغرافى العربى ج١ ص ٢٧٥ .

كانت ديار بكر بن وائل تمتد من اليمامة الى البحرين ، وفى سواد العراق والابلة [1] ، وتاريخ هذه القبيلة يشهد لها بالشهرة والقوة ، وانها من القبائل التى تكثر من الاشتراك فى الحروب وتحب التوسع ، فقد عرف التاريخ عددا من الأيام لهذه القبيلة فى العصر الجاهلى ، فمن أيامها المشهورة يوم ذى أحثال ، ويوم الصنار ، ويوم سلمان ، ويوم الشيزر ، وهى أيام وقعت بينها وبين قبائل تميم ، ويعد ميلها الى التوسع من غزوها تخوم الامبراطورية الفارسية سنة ٣٣٠م [2] واستمرت حروب هذه القبيلة فى أيام الجاهلية والاسلام ، وشاركت فى يوم ذى قار ضد الفرس [3] كما ساندت المهلب بن أبى صفرة فى حروبه ضد الخوارج ، ويتضح من وقائع قبيلة بكر بن وائل كثرة عدد أفرادها ، وأنها قبيلة ذات طابع جرئ وميل للتوسع والانتشار وهذا يفسر لنا دوافع وصولها للاندلس ويعد وأن أول فوج من هذه القبيلة وصل الى الاندلس فى الحملة الاولى التى أعدها موسى بن نصير لفتح هذه البلاد بقيادة طارق ابن زياد ، ومما يزيد هذا الاحتمال ترجيحا : أن موسى بن نصير نفسه من قبيلة

---

(١) كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : جـ١ ص ٩٣ - ٩٤ بيروت ، ١٩٦٨م .

(٢) كحالة : المرجع السابق جـ١ ص ٩٤ .

(٣) ابن رشيق : العمدة ، جـ١ ص ١٦٩ القاهرة ١٩٥٢م .

بكر بن وائل [١] ، وله دراية واسعة بمقدرة أفراد قبيلته فى الحروب ، والمشاركة فى حملة طارق على الاندلس ، ولما تم للمسلمين فتح الاندلس وسمعوا بوفرة خيراتها انه ضعوا يهاجرون اليها ، ويشير المقرى الى هجرة القبائل العربية الى الاندلس بقوله : " فاعلم انه لما استقر الاسلام بالاندلس وتم فتحها ، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم الى الحلول بها ، فنزل بها من جرائم العرب وسادتهم جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ما كان " [٢] . ومن بين تلك القبائل التى استقرت بالاندلس قبيلة بكر بن وائل ، يقول المقرى : ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالبكريين اصحاب أونبه وشلطيش الذين منهم ابو عبيد البكرى صاحب التصانيف" [٣] . وأخذت قبيلة بكر بن وائل وغيرها من القبائل العربية فى الانتشار فى المناطق الخصبة فى الاندلس ، وترك المناطق الجبلية للبربر [٤] ، واختارت قبيلة

---

(١) ابن الشباط : وصف الاندلس ص ١٣١ ، مدريد ، تحقيق احمد مختار العبادى .

(٢) المقرى _ نفس المصدر السابق ج١ ص ٢٧١ .

(٣) المقرى _ نفس المصدر السابق ج١ ص ٢٧٤ .

(٤) سالم : المغرب الكبير ، ص ٢٨١ .

بكر بن وائل ان تستقر فى أشبيلية عاصمة الاندلس الاسلامية وقتذاك[١] لخصب اراضيها ، وانتشرت فى جهاتها المختلفة ، وشاركها فى سكنى هذا الاقليم مجموعة من القبائل العربية التى سكنت كبرى مدنه مثل قريش وهلطيش ومن بين هذه القبائل : هوازن ، وأسد ، واياد بن نزار ، ومراد ، وخولان[٢] .

ومن الضرورى هنا أن نعرض لجهود قبيلة بكر بن وائل فى تأسيس امارتها فى الاندلس . والواضح ان البكريين حين اعتزموا الاستقلال بالاقليم الذى استقروا به فى الاندلس ، اختاروا زعيما توهله مكانته لنيل شرف قيادتهم فى هذا الاقليم ، اما ذلك الزعيم فهو محمد بن أيوب بن عمرو البكرى وكان لوالده أيوب مكانة كبيرة وشرفا قديما فى قومه ، فيذكر المورخون أنه شغل ارفع المناصب وهو منصب القضاء فى بلدة لبلة ووصفوه بصفاة الفضل والعفة كما ذكروا انه كان يمتاز بشدة الاحكام حتى كانت وفاته فى رمضان سنة ٣٩٨هـ ، حيث دفن بمقبرة الربض وذكره الناس بالخير والثناء الجميل[٣] . وقد ساعدت شهرة هذا الرجل على انفصال اسرته باحدى امارات غرب الاندلس المكونة من ولبة لموقعها الحصين بين جبال

---

(١) مونس : فجر الاندلس ، ص ١٣٤ القاهرة ١٩٥٩ .

(٢) مونس : المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ ص ١١٧ .

ضفة جانب القناة[1] وجزيرة شلطيش الواقعة تجاه ولبة في المحيط ، في مصب نهر اوديل وهي ميناء رئيسي للسفن ومركز صناعي كذلك .

وعقب الفتنة استقل بهما محمد بن أيوب البكري فقام بأعباء الامارة ولما انتهت فترة حكمه خلفه ابنه أبو مصعب بن محمد عبد العزيز البكري والد أبي عبيد البكري . وفي عهده توثقت العلاقات بين البكريين وبين بني عباد ، وهي علاقات تقوم أساسا على احترام حسن الجوار ، وهي مبادئ وضع لبنتها الاولى القاضي أبو الوليد اسماعيل بن عباد أمير اشبيلية ، فقد استطاع بفضل رجاحة عقله أن يكسب ود زعماء غرب الاندلس ، ويوطد علاقته بهم ، حتى غدا من أبرز أمراء غرب الاندلس ، بيد أن هذه العلاقات الطيبة لم يلبث أن طرأ عليها ما أفسدها — وذلك حين خلفه ابنه المعتضد ، فلم يبد منه ما يدل على الحرص على استمرار حسن العلاقات بينه وبين جيرانه ، فيقال انه كان كثير الشكوك حقودا ، طابع حياته الظلم وسفك الدماء[2] ، واشتهرت عنه هذه الصفات لما عرف عنه من كثرة القبض على

---

(1) الحميري : الروض المعطار صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٥ .

(2) دوزي : ملوك الطوائف ، ص ٩٥ .

أعدائه ، ويخطفهم كما يخطف الطائر [1] . ولم يقتصر كيده على الأعداء فحسب بل شمل أصدقاءه . كذلك فقد غدر بوزيره حبيب [2] ووثب على وزيره ونديمه أبي عامر [3] ولم يتورع من قتل علماء الحديث ، فقضى على أبي حفص عمر بن الحسين الهوزني [4] ومع تلك صفاته لا ينتظر منه أن يحفظ للبكريين أمراء غرب الأندلس استمرار حسن العلاقات مع بني عباد .

ومع أن المعتضد بن عباد قد ورث من أبيه مملكة اشبيلية التي كانت تتسم بالاستقرار وحسن العلاقة بالجيران : فانها كانت تعاني من مشكلة واحدة ، وهي أنها مملكة صغيرة [5] ، ومن ثم اتجهت أطماع المعتضد الى الاستيلاء على امارة البكريين وبقية امارات غرب الأندلس لتوسيع نطاق سلطانه وزيادة نفوذه في أشبيلية ، وأخذ المعتضد بن عباد يتحين الفرص المناسبة للانقضاض على امارات

---

(١) المقرى ـ المصدر السابق حـ٢ ص ٤٢٠ ابن خاقان : المصدر السابق ص ١١٠

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ٢ ص ١١٠

(٣) المقرى ـ المصدر السابق حـ٢ ص ٢١٣٠

(٤) ابن بسام : المصدر السابق حـ٢ ص ٤٩ـ ٥٠٠

(٥) صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ص ٢٦ ١٠

غرب الأندلس حتى بلغت الذروة في ذلك حين تعرضت قرطبة لتهديد بنى ذى النون أمراء طليطلة بغزوها بعد تحالفهم مع القشتاليين للبطش بمحمد بن جهور أمير قرطبة [1] . وكان بين الجهاورة فى قرطبة وبين بنى عباد فى اشبيلية منافسة منشؤها ادعاء القرطبيين سيادة قرطبة على جميع الاندلس على حين أنه كان لبنى عباد ادعاءات أخرى هى أن امارات غرب الاندلس ، بما فيها امارة البكريين تتبع جميعا لاشبيلية اما البكريون فيتمسكون باستقلال امارتهم عن أشبيلية .

واتضحت هذه الاتجاهات جميعا حين أحس بنو جهور فى قرطبة فى مواجهة بنى ذى النون حكام طليطلة وحلفائهم القشتاليين ، فلم يقووا على الوقوف منفردين ضد أعدائهم ، وهنا اضطرت حكومة قرطبة الى اعلان تنازلها عن السيادة على الاندلس كلها ، واعترفت قرطبة باستقلال جيرانها وخصوصا بنى عباد ، ووجهت قرطبة الدعوة الى امارات الاندلس للتحالف معها على صد غزو طليطلة ، وبادر البكريون وأمراء غرب الاندلس فى اعلان انضمامهم الى الحلف للوقوف امام زحف طليطلة ، ولكن بنى عباد لم يرضهم انضمام البكريين الى الحلف على اعتبارهم مستقلون ، على حين انهم يستظلون بسيادتهم فبرأى البكريين وأمراء غرب الاندلس لم يهتموا

---

(١) يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين جـ ١ ص ٤٩ ، القاهرة ١٩٤٠ ، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر .

كثيرا بموقف بنى عباد وصمموا على المضى قدما بما اعتزموا من جهاد لنصرة قرطبة ، فأوفد ابا عبد العزيز اليحصبى صاحب لبلة ، فعقد باسمهم مع امراء قرطبة وغيرهم محالفة يتعهد الجميع بمقتضاها أن يتعاضدوا على الدفاع عن أنفسهم [1] وشمل هذا الحلف أمارات قرطبة وبطليوس ولبلة وبقية امارات غرب الاندلس . خرج الامراء المتحالفون للدفاع عن قرطبة ، وفى الوقت الذى تلتحم فيه الجيوش المتحالفة مع طليطلة ، يلجأ المعتضد بن عباد الى استعمال المكر والدهاء ، وتظاهر بالوقوف الى جانب قرطبة فيشترك مع الجيوش المتحالفة بكتيبة صغيرة من جيشه تقدر بـ ٥٠٠ جندى ويحتفظ ببقية جيشه بعيدا عن المعركة ثم استغل فرصة انشغال الجيوش المتحالفة فى الحرب ضد طليطلة وانقض بها على امارات غرب الاندلس ، وبدأ يغزو امارة لبلة التى كانت مشغولة بالدفاع عن قرطبة ، فاستولى عليها وكتب أميرها نصر الدولة فتح بن خلف الى المعتضد طالبا السماح له بالخروج الى المنفى [2] ، فأعطاه المعتضد حرسا أوصله الى قرطبة وبقى بها الى أن توفى سنة ٤٤٦ هـ ، واتجه المعتضد بعد القضاء على لبلة الى الاستيلاء على امارة البكريين فى ولبة وشلطيش ولما احس عبد العزيز البكرى بأطماع المعتضد فى التوسع بادر

---

(١) يوسف اشباخ : المرجع السابق ج ١ ص ٥٠ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٢٤ ـ الطبعة الاولى القاهرة ١٩٦٠ .

يهنئه بانتصاره على لبلـه ، ولما كانت التهنئة وحدها لا تكفى اشباع أطماع المعتضد فانه تنازل عن قسم من امارته وهو القسم الخارجى ولبـه ، وطلب اليه السمـــاح للبكريين بالبقاء فى القسم الآخر من الامارة وهو جزيرة شلطيش ، وتظاهر المعتضـد بالرضا والموافقة على طلب عبد العزيز البكرى ، وكتب المعتضد بن عباد الى عبـد العزيز البكرى مع الموافقة التى أرسلها اليه رغبته فى لقائه ، وهنا أدرك عبد العزيز البكرى خيانة المعتضد له ومكره به فبادر بمغادرة ولبة والالتجاء الى شلطيش حتى لا يقع فى فخاخ المعتضد ، ولما وصل المعتضد الى ولبه لم يجد بها عبد العزيـز البكرى استولى عليها وأمن الناس على أموالهم وأنفسهم وجعل ولاية المدينة الى ابنه الظافر الذى عرف فيما بعد بالمعتمد على الله ثم حاصر المعتضد جزيرة شلطيـش وقطع عنها جميع الامدادات لارغام البكرى على التخلى عنها وفق شروط معينة وتنازل له عن شلطيش وسمح له بالالتجاء الى قرطبة وسافر البكرى اليها سرا [1] خوفا من مكر المعتضد وخيانته [2] .

---

(١) كور : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٤ ص ٩٨ ، الترجمة العربية .

(٢) ابن الابار : الحلـة السيراء ، ج ٢ ص ٢٧٣ ، تحقيق حسـين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

ويقابل الدارس لتاريخ البكريين ظاهرة التجائهم مع أمراء غرب الاندلس ، الى قرطبة ، فجميعهم سقطت اماراتهم في يد بني عباد : نجدهم يطلبون الالتجاء الى قرطبة ، ويرجع ذلك في الغالب الى الحلف القائم بين تلك الامارات من ناحية وبين حكومة قرطبة من ناحية اخرى للدفاع عن قرطبة ضد جيوش طليطلة وقشتالـــه فقد أحدث ذلك الحلف تطورا في العلاقات بين تلك الامارات وبين قرطبة ، ممـــا دفع بحكام امارات غرب الاندلس لطلب الالتجاء الى قرطبة ، عندما استولى بنـــو عباد على اماراتهم ، ومن أسباب التجاء أمراء غرب الاندلس الى قرطبة ، ما عـــرف عن حاكمها ابي الحزم بن جهور انه من الاشخاص الاقوياء النابهين ، الذين يمكن أن تتحقق على أيديهم الحماية لهؤلاء الامراء الفارين ، ولم يلبث ابو الحزم أن أصبح شيخا للجماعة ، وزعيم المدينة الحقيقي (١) .

ومما شجع البكريين على اختيار قرطبـــة ملجأ لهم تيقنهم من اضطراب — العلاقات بينها وبين اشبيليـــة ، ذلك أن مقامهم في امارة تربطها باشبيلية صلات

---

(١) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٢١ ، القاهرة ١٩٦٠م .

طيبة قد يعرضهم لخطر المعتضد بن عباد صاحب أشبيلية .

اما قرطبة فالمعروف أن لها مواقف مضادة لاطماع بنى عباد اذ عارضت الاعتراف بخلافة هشام المؤيد المزعومة التى دعا اليها بنو عباد ، وهو موقف كفيل بحماية الامراء الفارين من ظلم المعتضد وجوره ، وقد صحب أبو عبيد البكرى والده عبد العزيز الى قرطبة ، وكان عمره وقتذاك أى سنة ٤٤٣ هـ حوالى خمس وعشرين سنة [1] ويصف المؤرخون ابا عبيد البكرى ساعةقدومه مع أبيه الى قرطبة بانه فتى بذ الاقران جمالا وبهاء وأدبا [2] ومكث أبو عبيد البكرى فى قرطبة مدة حتى وفاة أبيه سنة ٤٥٦ هـ ، ثم انتقل منها الى المرية للالتحاق بخدمة أميرها محمد بن معن الصمادحى فقد انتشرت اخبار هذا الامير وما يتمتع به من صفات طيبة ، ولا بد أن البكرى سمع بكرمه واجزاله العطاء للعلماء والشعراء [3] ، فشد اليه الرحال واكرم محمد بن معن وفادته ، وبالغ فى حسن استقباله [4] .

---

(١) مونس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١١٥ .

(٢) اورده دوزى هذا النص نقلا عن ابن حيان . انظر مونس ، المرجع السابق ص ١١٣

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الخاص بالاندلس ص ٩٠ - تحقيق احمد مختار العبادى ـ الدار البيضاء ١٩٦٤ .

(٤) Deslane M. Description De Lafrique septentrionale p. 11.

ولما اشتد خطر نصارى الشمال على بلاد الاندلس ، واضطرت الامـارات الاندلسية الى ارسال وفودها الى الامير المرابطي يوسف بن تاشفين [1] لمعاونتها على صد هذا الخطر الداهم ، كان البكرى على رأس سفارة المرية ممثلا لمحمد بن معن الصمادحي [2] ، ولعل البكرى اكتسب من هذه السفارة لقب " وزير " وهو لقب تطلقه عليه بعض المصادر العربية [3] . والتقى البكرى في هذه السفارة بالمعتمد بن عباد ، ونشأت بينه وبين بني عباد علاقة حسنة ، أنسته العداوة التي غرسها المعتضد في نفوس امراء غرب الاندلس ، ونالت سفارة المرية وسفارة بني عباد اعجاب الامير المرابطي الذى شكر للمعتمد ومحمد بن معن اهتمامهما بامر الاندلس فعندما استولى نصارى الشمال على طليطلة من المسلمين واغتروا بذلك حتى قـال

---

(١) انتصار يوسف بن تاشفين مع قومه من المرابطين بعد ورعايتهم في جهادهم الاندلس حين لبوا دعوة امراء الاندلس في الدفاع عنها ضد خطر نصارى الشمال وكانت لقصة جهادهم في الاندلس اصداء وآثار كثيرة يمكن الرجوع اليها في المراجع والمصادر التي اولتها الاهتمام . انظر في هذا الموضوع الحلل الموشية لمؤلف مجهول الاسم . والمقرى في نفح الطيب جـ٢ وكذلك حسن محمود : في قيام دولة المرابطين ص ٢٦٩ .

(٢) كور : دائرة المعارف الاسلامية جـ٤ ص ٤٨ . الترجمة العربية .

(٣) الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ص ٢٣٢ . مدريد ١٨٨٤م .

احدهم : " انما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول امركم ، وقد نصرنا الان عليكم بردائتكم فارحلوا الى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا ، ولن نرجع عنكم او يحكم الله بيننا وبينكم " (١) . وهنا كان دور المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية ودور البكري ممثل سفارة المرية جزئيا ، فقد طلبا من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين في صراحة النصرة ، والاستغاثة (٢) ، وظل البكري مرتبطا بامارة المرية ، وأميرها محمد بن معن الصمادحي حتى استولى المرابطون على امارة المرية ، وهزموا زعيمها محمد بن معن ، فارتحل البكري عنها الى اشبيلية وهناك اتصل بالمعتمد بن عباد وبعد قضاء المرابطين على دولة بني عباد في اشبيلية توجه البكري الى قرطبة وتوفي بها سنة ٣٩٦هـ (٣) .

وقد تأثر أبو عبيد البكري بالفتنة البربرية التي حدثت سنة ٤٠٠ هـ ، وسوف نكرر ذكر النص السابق اذ فيه يعترف البكري بآثار الفتنة التي امتدت حتى أيامه وحديثه عنها يصور مدى تأثره بها ، فيذكر أن : " الفتنة التي كانت على رأس

---

(١) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ، جـ٣ ص٢٨ طبعة بيروت .

(٢) عنان : دول الطوائف ص ١٦٨ .

(٣) الغنيم : الجغرافي العربي أبو عبيد البكري ، ص ٩٠ رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٣م .

أربعمائة من الهجرة واستمرت الى وقتنا هذا ، وهو سنة ستين وأربعمائة من الهجرة ، عفت آثار هذه القرى ودرست رسوم ذلك العمران ، فصار اكثرها خلاء يندب ساكنيه ويبابا ينعى معمريه ، وكذلك حكم الله فى كل جديد أن يبليه وفى كل آمل أن يخليه " (١) .

هذه الصورة المتنافرة هى ما خلفته النكبة فى نفس البكرى ، وكان لها عدة آثار عليه :

أولها : انكبابه على شرب الخمر . فقد اشتهر بشربه لها ، فقد وصفه ابن خاقان بقوله : " انه رحمه الله كان مباكرا للراح لا يصحو من خمارها ، ولا يمحو رسم ادمانه من مضمارها ، ولا يريح الا على تعاطيها ، ولا يستريح الا لمعاطيها قد اتخذ ادمانها هجيره " (٢) .

ومن آثار النكبة على البكرى أيضا : الاستهتار بالدين . فنجد فى شعره ما يدل على دعوته واستخفافه واستحلاله لشرب الخمر فى رمضان ، وأبياته تدل على

---

(١) البكرى : المسالك والممالك ــ مخطوط الرباط رقم ٤٨٨ ق ٢٢٠ .

(٢) ابن خاقان : قلائد العقيان ص ١٩٩ . القاهرة ١٢٨٣ .

ذلك ، حيث يقول :

خليلي اني قد طربت الى الكـــــأس
وتقت الى شرب البنفسج والآس
فقوما بنا نلهو ونسترق الغنـــــــا
ونسرق هذا اليوم سرا من الناس
فان نطقوا كنا نصارى ترهبـــــــوا
وان غفلوا عدنا اليهم من الرأس
فليس علينا في التعلل ساعـــــــة
وان وقعت في عقب شعبان من باس

ويشك الاستاذ حسين مؤنس في ادمان البكري الخمر ، ويرى أن من يقسم على تأليف هذا القدر الكبير من الكتب لا يمكن ان يكون مدمنا ولكنه كان يشرب الخمر متأثرا بضياع ملك أبيه ويبدو من شعره انه كان يشرب الخمر أحيانا .

ويتضح من هذا العرض السريع لحياة البكري تأثره بأحداث عصره فحياته كما يقول الاستاذ مؤنس صورة من مأساة العصر المضطرب ، فهو كغيره من علماء تلك الفترة الذين فاجأتهم الفتنة الكبرى في مطالع شبابهم ، فاذا الدنيا تنقلب من

حولهم ، وتصبح آمالهم وتفرض الظروف القاسية عليهم طريقا غير التى أرادوا ، وتجرفهم الحوادث فتصبح حياتهم حياة متصلة وقلقا دائما [١] .

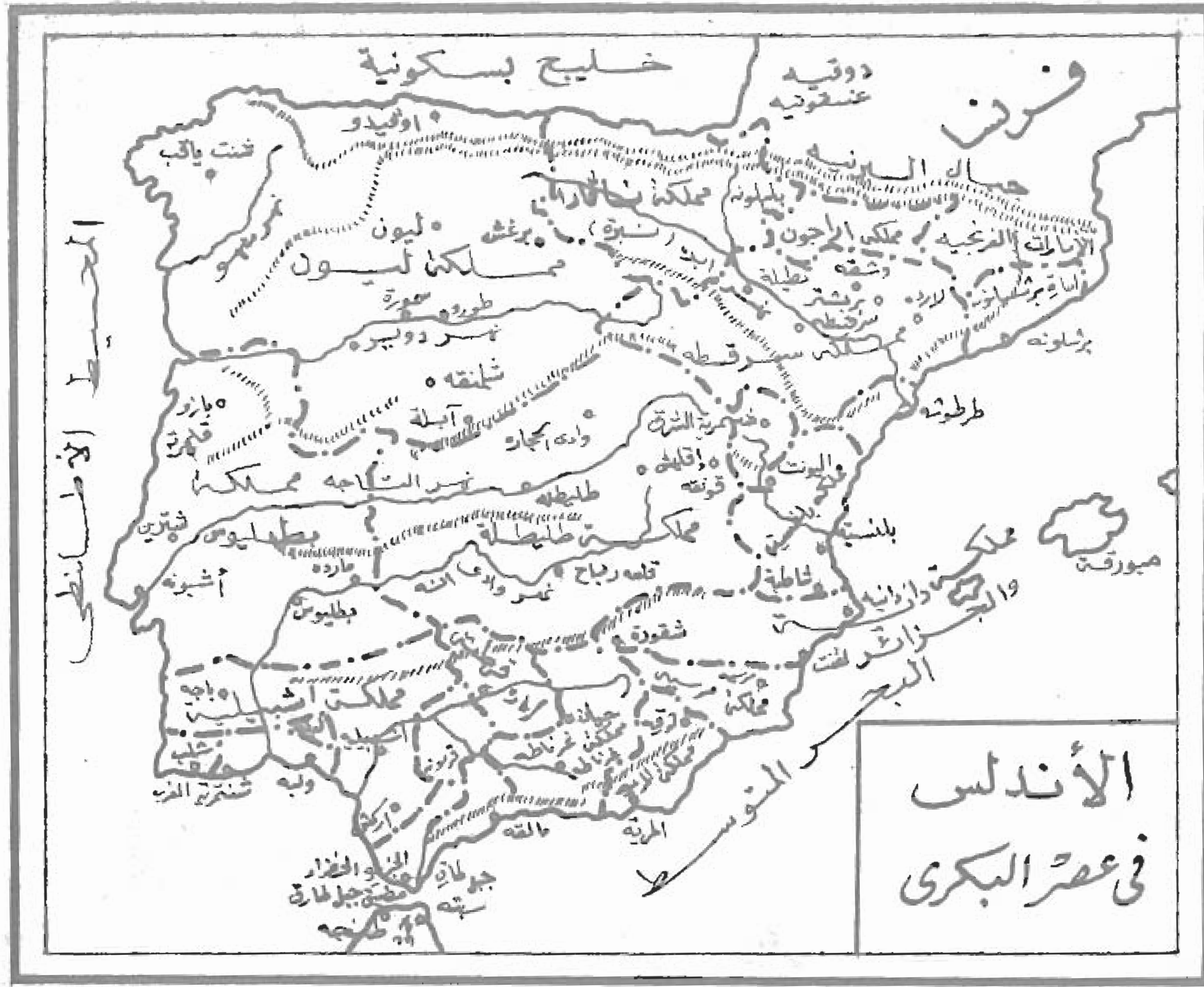
ومن مظاهر تأثر البكرى باحداث هذه الفترة ان اصبحت حياته قائمة على التجوال المستمر من امارة الى اخرى وذلك منذ أن فقدت أسرته الاستقرار بعد سقوط امارة البكريين ، فقد كان العلماء فى فترة الاستقرار بقرطبة يتجهون اليها من كل صوب [٢] ولكنهم أخذوا فى فترة التفكك فى التجوال من مكان الى آخر للاحتماء ببيوت الامراء ، وتجوال البكرى مابين لبلة وشلطيش وقرطبة والمرية وأشبيلية صورة لما كان يعانيه وامثاله من العلماء وغيرهم من رجال الفكر فى الاندلس فى هذه الحقبة المضطربة من تاريخها .




---

(١) مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١٠٩ ـ مدريد ١٩٦٧م

(٢) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص ١٤٥ .



من كتاب دول الطوائف لمحمد عبد الله عنان

قرطبة قبلة العلماء قبيل عصر البكرى ـ تعدد المراكز العلمية في عصر ملوك الطوائف وأثره في تنوع ثقافة البكرى ـ مساهمة عصر ملوك الطوائف في استكمال شخصية البكرى العلمية ـ شيوخ البكري ، أبو علي القالي ، أبو حيان المؤرخ ، أبو عمرو ابن عبد البر ، أبو العباس العذرى ـ آثار البكرى العلمية ـ مؤلفات المطبوعة في الادب وعلوم اللغة ـ مؤلفات المفقودة ـ مؤلفات في الجغرافية والتاريخ ـ استخلاص المادة التاريخية من مخطوطات المسالك والممالك .



جرى علماء الاندلس على الاتجاه نحو قرطبة خلال المدة السابقة لعصر الملوك الطوائف ، بسبب مركزها الحضاري ، وما تحوى من مدارس وجامعات وحدائق وجسور وقصور وغير ذلك من مظاهر العمران [1] ، فقد كانت على قول ابن الخطيب

---

(١) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص١٤٦ ، تحقيق بروفنسال بيروت ١٩٥٦م .

" محل للامارة ومستقر الخلافة ، كثر بها العلم والعلماء ، واستقر فيهــا الفضلاء والنبلاء ، وصارت دار هجرة للعلم ومكان رحلة لأولى الفهم " [١] . غير انها لم تنفرد بهذه المكانة العلمية فى عصر أبى عبيد البكرى فقد نافسها على تلك المكانة عدد من المدن الأندلسية فى عصر ملوك الطوائف ، وتعددت المراكز العلمية فى كثير من المدن مثل أشبيلية وسرقسطة ودانية وبلنسية وغيرهـا .

واختلفت ميول أمراء الطوائف ، فغلبت الصبغة الادبية على أمراء بنى عباد فى أشبيلية ، واشتهر بنو ذى النون فى طليطلة وبنو هود فى سرقسطة بالميل الى العلوم ، على حين مال العامريون فى دانية الى جمع اكبر عدد من العلماء من ذوى التخصصات المختلفة [٢] . وكان لتعدد المراكز العلمية فى الاندلس أثره فى حياة أبى عبيد البكرى العلمية ، فقد اضطرته الظروف الى

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٥ـ١٤٦ .

(٢) البكرى : التنبيه على أوهام أبى على فى اماليه ، ص ١٥ ، القاهرة ١٩٥٤م .

الى التجول فى تلك المراكز ، فمرة نراه فى قرطبة مع الجهاورة ، ومرة أخرى فى المرية مع بنى صمادح ، وتارة فى اشبيلية ، مع بنى عباد . وفى خلال تجواله بتلك المراكز ، يلتقى بعدد من العلماء ممن اختلفت نشاطاتهم العلمية ، وتنوعت ميولهم الادبية ، ففى امارة البكريين معهد البكرى الاول تلقى علوم اللغة والأدب ، وفى قرطبة التقى بأبى حيان المؤرخ [1] ، وفى المرية قابل العذرى الجغرافى وابن عبد البر المحدث الفقيه [2] ، فأخذ عنهما شيئا مما تخصصا فيه ، فتشكلت شخصية البكرى ، وتنوعت معارفه حتى أمسى من أصحاب الموسوعات .

والمعروف أن البكرى كتب مصنفاته العلمية فى وقت تكتنفه الفوضى ويشتد فيه اليأس من العمل المثمر ، وقد أدهشت مؤلفاته الدارسين ، فأرجعوا الفضل فى

---

(١) ابن خير : فهرسة ابن خير ص ٢٣٢ مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٦٣ .
(٢) الغنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ، ص ٣٢ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٣ .

ظهور انتاجه العلمى الى عصر الخلافة ولا سيما عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر ، ذلك أن مؤلفات البكرى فى نظرهم ماهى الا نتاج للاعمال التى وضع أصولها وعمل على رعايتها الخلفاء ، فهى ليست من نتاج هذا الوضع الموسوم بالتوزع والحيرة النفسية (١) .

ومع تأييدنا لهذا الرأى فى الاشادة بدور الخلافة فى خلق شخصية البكرى العلمية ، فان ذلك لا يمنعنا من الاشادة كذلك بفضل عصر ملوك الطوائف فى استكمال شخصية البكرى العلمية ، اذ بلغ عصر ملوك الطوائف من الناحية العلمية والادبية ذروة التقدم ، فهو امتداد لعصر الخلافة (٢) .

وبالرغم من صورة الاضطهاد التى واجهها ابو عبيد البكرى بعد فقد أسرته لبيت الشرف والامارة ، فقد اعتزم تعويض المجد المسلوب مستعينا على ذلك بنبوغه فى ميدان العلم والمعرفة . فاشتهر البكرى وذاع صيته فى أرجاء الاندلس واستدعاه

---

(١) البكرى : جغرافية الاندلس واوربا ــ مقدمة الناشر ص ٣١ــ٣٢ .
(٢) احمد امين ، ظهر الاسلام ص ١٥٦ــ١٥٧ .

أمراء الطوائف الى بلاطهم ، وتردد على عدد من المراكز العلمية ، ولقى مـن الامراء التشجيع ، فدفعه ذلك للعمل والانتاج فى ميادين المعرفة المختلفة .

شيوخ البكـرى :

دخل البكرى كما اسلفنا فى ميادين متعددة من المعرفة ، وأصبح له نشـاط فكرى متنوع يدخل بعضه فى ميدان اللغة والادب ، والبعض الآخر فى ميـدان الجغرافيـة والتاريخ ، وقد امتد ذلك النشاط الى دراسة الطب والنبـات[(١)] ويرجع هذا التنوع ـ فيما يبدو ـ اختلاف تخصص الاساتذة الذين أخذ عنهم أبو عبيـد البكـرى ، فنجد من بينهم المؤرخ والجغرافى واللغوى والمحدث .

وعلى الرغم من كثرة الشيوخ الذين تتلمذ عليهم البكرى ، وروى عنهم ، وجلس فى مجالسهم ، فان تأثره بهؤلاء العلماء لم يكن على مقياس واحد بل تفاوت هـذا التأثر عمقا أو سطحية من أستاذ الى آخر . لذلك سوف نقصر الحديث هنا علـى

---

(١) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ص ٥١٠ ، طبعـة بيروت .

التعريف بأولئك الشيوخ الذين استجابت لهم نفسية البكرى ، فمضى يهتدى بهم ، ويسير على سننهم ، ويسجل اعجابه ببعضهم فى مؤلفاته ، وقد قصرنا الحديث هنا على أربعة من أهم شيوخه الذين كان لهم أثر عظيم فى تكوين شخصية البكرى الموسوعية .

وأول هؤلاء الشيوخ هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان المعروف بأبى على القالى [1] المولود سنة ٢٨٨ هـ ، فى مناز جرد من ديار بكر [2] وبدأت الصلة بين أبى عبيد البكرى المغربى وأبى على القالى المشرقى خلال رحلة الثانى الى المغرب ، فقد أوردت المصادر وصول القالى الى الاندلس بعد أن سبقته اليها شهرته العلمية ، فاستقبل لدى وصوله للاندلس استقبالا يتلاءم مع تلك الشهرة فالحكم المستنصر يطلب من أحد ولاته [3] " أن يجيء مع أبى على الى قرطبة فيتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض

---

(١) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٠٤ — ٢٠٥ ، القاهرة ١٩٥٤م .
(٢) القفطى : انباه الرواة على انباه النحاة : جـ١ ص ٢٠٤ — ٢٠٧ — القاهرة ١٩٥٠ ، السيوطى : بغية الوعاة ص ١٩٨ .
(٣) ذكر المقرى فى نفح الطيب ان هذا الوالى يدعى ابن رماحس ٤ / ٧٠ ابيروت ١٩٦٨ .

أهل الكورة تكرمة لابي علي ، فنفصل وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل " (١) .

وفي الاندلس بذل القالي جهودا مضنية كانت كسبا ثقافيا للبلاد التي استضافته ، وكان من نتيجة تلك الجهود أن " استفاد الناس منه وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه على غاية التقييد والضبط والاتقان " (٢) .

ومن بين الذين أعجبوا بالقالي وتتلمذوا على مؤلفاته ، أبو عبيد البكري ، فقد سجل البكري اعجابه بالقالي في كتاب التنبيه بقوله : " وأبو علي القالي رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنبل ومن الثقة في الضبط والنقل بالمحل الذي لا يجهل " (٣) ، وقد عكف أبو عبيد البكري على دراسة مؤلفات القالي ، فشرح تلك المؤلفات ، وأخرج لنا مؤلفه المعروف " سمط اللآلي في شرح الامالي " ثم ألف كتابه الثاني " التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه " ولا نشك في أن مؤلفات القالي ساعدت البكري كثيرا في الالمام بأخبار العرب وأيامهم ، وذلك

(١) المقري : نفح الطيب ج٤ ص ١٠٥ .
(٢) الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ص١٥٥ القاهرة ١٩٥٢ .
(٣) البكري : التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه ص ١٥ القاهرة ١٩٥٤م .

بالرغم من غلبة السمة اللغوية على تلك المؤلفات لانها جمعت حصيلة من الاخبار وضحها القالى حين شرح طبيعة المادة الواردة فى مؤلفه بقوله : " وأودعته فنونا من الاخبار ، على أننى لم أذكر فنا .. من الخبر الا انتحلته " (١) .

وقد اعتبر الدارسون أن البكرى من ثمرات ذلك الغراس الذى غرسه أبو على القالى فى بلاد الاندلس . فهو على قولهم قد تخرج بكتب أبى على القالى التى ألفها ثم حملها معه من المشرق ، واستطاع بثقافته أن يشرحها ويستدرك عليها وتلك منزلة عالية فى الاحاطة باللغة والشعر والتاريخ والانساب (٢) .

وهذا الالمام بالاخبار جعل البكرى من أبرز الاخباريين ، فمدحه العلماء بأنه " كان من أهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعانى الاشعار والغريب والانساب والاخبار متقنا لما قيده ضابطا لما كتبه " (٣) وأصبحت معلومات القالى التى أخذها البكرى عدة له اعتمد عليها فى الكشف عن تاريخ العرب وأخبارهم ، حينما تحدث عن

---

(١) القالى : الامالى ، ص٣ . القاهرة ٥٣/١٩٥٤م .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم حـ١ انظر المقدمة . تحقيق مصطفى السقا .

(٣) ابن بشكوال : الصلة . حـ١ ص ٢٧٧ . القاهرة ١٩٦٦م .

تاريخ جزيرة العرب وأخبار العرب البائدة وعقائدهم ومذاهب العرب ومعبوداتهم [1].

وشيخ البكرى الثانى هو أبو حيان المؤرخ ، التقى به البكرى فى مركز آخر من مراكز الاندلس العلمية بعد رحيله من امارته الى قرطبة ، واسمه أبو مروان حيان ابن خلف بن حسين بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الامير عبد الرحمن ابن معاوية بن عبد الملك بن مروان وقد اختبر أبو حيان معلومات البكرى وتأكد من ذكائه حين ظهرت له الخلفية العلمية التى اكتسبها البكرى من دراسة كتب القالى فوصف أبو حيان قدوم والده الى قرطبة وأظهر اعجابه بابنه البكرى فهو على قوله : " رجلا عاقلا عفيفا أديبا الى زيادة طيبة ببيت السرو والشرف وابن له بذ الاقران جمالا وبهاء وسروا وأدبا ، يكنى أبا عبيد " [2] ويؤكد لنا أحد نصوص ابن خير فى فهرسه ، أن البكرى تتلمذ على أبى حيان المؤرخ ، وأخذ عنه ، فقد ذكر ابن خير

---

(١) البكري : مخطوط تورغشانية ق ٦٥ ، وما بعدها ـ اسطنبول رقم ٣٤٠٣ .

(٢) ابن بســـام : الذخـــيرة فى محاســـن أهل الجزيـــرة ص ٩٧ـ٩٨ .

السند الذى روى به كتاب اصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت بقوله : " وقرأته أيضا على الشيخ الوزير أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى ، قال حدثنى بـــه الشيخ أبو مروان حيان بن خلف بن حيان " (١) .

وقد اشار ابن بشكوال الى تتلمذ البكرى على أبى حيان (٢) وأن صلته بأبــى حيان خلقت منه مؤرخا يهتم بالدراسات التاريخية ، ويعتنى بتاريخ الدول . ولهذا يكون أبو حيان قد أسهم فى بناء شخصية أبى عبيد البكرى المؤرخ (٣) . وقد اشتهـر أبو حيان بكتابه المقتبس من أنباء أهل الاندلس (٤) .

اما ثالث شيوخ البكرى فهو الفقيه أبو عمر بن عبد البر ، التقى به أبو عبيــد البكرى عندما توجه الى المرية ليعيش فى كنف الامير محمد بن معن الصمادحى . فقــد امتاز بلاط المرية باجتذاب الشعراء والادباء ، فشد اليه أبو عبيد البكرى الرحـــال وذلك حين ترامت اليه اخبار محمد بن معن ، وحسن استقبـــاله للعلماء والادباء .

---

(١) ابن خير : فهرسة ابن خير ص ٢٣٢ مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٦٣ .
(٢) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(٣) ابو حيان القرطبى : المقتبس من انباء اهل الاندلس ، ص ٣ ٥ تحقيق محمود على مكى .
(٤) ابن الابار : الحلة السيراء حـ١ ص ٢٩٠ تحقيق حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣ .

وقد شاع عن أبي عبيد البكري في تلك الفترة شربه الخمر [1] ، فلما وصل الى المرية وهم بالدخول في حلقة الفقيه ابن عبد البر التزم بقواعد التلمذة على يد ابن عبد البر ، وامتنع عن شرب الخمر ، لان الفقيه كان يشترط الالتزام بالسكينة والوقار والتواضع كشرط للتلمذة عليه [2] .

ويبدو أن وصف ابن خاقان للبكري شمل مرحلتين من حياة البكري : الاولى مرحلة شرب الخمر حيث جعله معاكرا للراح لا يصحو من خمارها ، والثانية المرحلة التي امتنع فيها البكري عن شرب الخمر ، وذكره في هيئة كأنما كسيت بالبهاء والنور ، وله سهلة كأنما يروق العين ابياضها ويفوق السواد بياضها فهذا الوصف لا ينطبق على المخمور ، فرواية ابن خاقان للمرحلة الثانية تدل على معاينته ومشاهدته كما يعترف هو نفسه بذلك ، أما روايته عن شرب البكري للخمر فهي رواية سماعية مبالغ فيها كما سبق ان ذكرنا [3] .

---

(١) ابن خاقان : قلائد العقيان ص ١٩١ .

(٢) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ القاهرة ١٣٢٠ هـ .

(٣) راجع ما سبق ص

اذن فقد انعكس تأثير ابن عبد البر على تلميذه البكري في مظهرين :
اولهما : سلوكي وهو ما أشرنا اليه سابقا من امتناع أبي عبيد البكري عن شرب الخمر.

وثانيهما : علمي ، حيث وجهه الى الاهتمام بالدراسات الاسلامية ، بعد أن قلت قيمة الدراسات اللغوية والادبية لعزوف امراء الطوائف عن تشجيع تلك الدراسات ، لشعورهم بقلة جدواها امام خطر نصارى الشمال ، يقول صاعد : " زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها ، لكن اشتغال الخواطر بما دهم الثغور قلل طلاب العلم وصيرهم أفرادا بالاندلس"(١) . وقد اجاز ابن عبد البر أبا عبيد البكري بعد أن ألم بأطراف الدراسات الفقهية وغيرها (٢) ، واستطاع أبو عبيد البكري بعد أن نال هذه الاجازة أن يجول في ميدان السير فألف كتاب " اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم " اما سير بقية الانبياء ، فضمها الى كتاب المسالك والممالك.

ونختم الحديث عن شيوخ البكري بسيرة شيخه أبي العباس العذري ، ولد العذري سنة ٣٩٣هـ وتوفي ببلنسية سنة ٤٧٣هـ (٣) ، واسمه احمد بن عمر بن دلهات

---

(١) صاعد طبقات الامم ص٦٧ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٢.
(٢) ابن بشكوال : الصلة جـ ا ص ٢٧٧ .
(٣) الحميدى : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ص١٣٦ ـ ١٣٧ القاهرة ١٩٥٢.

ابن عمران ابن منيب بن زغيب بن قطبة العذرى ، وقد تتلمذ العذرى على ابن عبد البر ووضع للعذرى كتابا فى الجغرافية سماه " نظام المرجان فى المسالك والممالك " ونشرت منه قطعة عن الاندلس.

ويرجع الدارسون الفضل فى توجيه البكرى الى دراسة علم الجغرافية الـــى العذرى فهو الذى اجاز له ، ووجهه نحو التأليف فى الجغرافية (١) .

وتمثل كتابات العذرى مصدرا من المصادر الاساسية لكتابات البكـــرى (٢) ويدلل الدكتور حسين مؤنس على أثر العذرى فى توجيه البكرى للجغرافية بـــأن البكرى لغوى لا يأتى اتجاهه للجغرافية عفوا (٣) .

آثار البكرى العلميـــة :

قدمنا أن البكرى تتلمذ على شيوخ لهم تخصصات مختلفة ، ولذا تنوعت مؤلفاته فلم تقتصر على فن واحد من العلوم ، وفيما يلى عرض لهذه المؤلفات ، وسنشير الى

---

(١) الغنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ص ٣٢ .

(٢) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب الجغرافى العربى جـ ١ ص ٢٧٤ القاهرة ١٩٥٧م .

(٣) مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١١٩ مدريد ١٩٦٧م .

المطبوع منها ، والمفقود وقد قسمنا تلك المؤلفات الى أقسام منها :

أولا : مؤلفات لغوية وأدبية مطبوعة :

١ـ كتاب اللآلى فى شرح الأمالى [١] .

٢ـ كتاب فصل المقال فى شرح كتاب الامثال [٢] .

٣ـ كتاب التنبيه على أوهام ابى على فى اماليه [٣] .

٤ـ كتاب معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع [٤] .

وتدخل المؤلفات السابقة فى مجال الدراسات اللغوية والادبية ، وبعضها يحوى جوانب اخرى ، مثل كتاب معجم ما استعجم ، الذى يعتبر أول معجم خاص بالاعلام الجغرافية [٥] ويحوى هذا المعجم مادة تاريخية تتصل بتاريخ العرب قبل الاسلام فقد

---

(١) حققه الاستاذ عبد العزيز الميمنى

(٢) حققه الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور احسان عباس ونشرته جامعة الخرطوم ، سنة ١٩٥٨ واعيد طبعه اخيرا فى بيروت .

(٣) طبع فى القاهرة سنة ١٩٢٦ فى مطبعة دار الكتب المصرية .

(٤) نشره المستشرق الالمانى فستنفليد فى مجلدين بجوتنجن بالمانيا سنة ١٨٧٠ ، سنة ١٨٧٧ وحققه ايضا الاستاذ مصطفى السقا فى اربعة مجلدات وطبع فى القاهرة سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ .

(٥) الفنيم الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ص ٤٣ .

عنى فيه البكرى بتاريخ القبائل العربية وتنقلاتها داخل الجزيرة ، وحروب العرب وأيامهم ، كما عنى هذا الكتاب بأسماء المواضع الواردة فى كتب التاريخ مثل كتاب فصل المقال فى شرح كتاب الامثال ، وكتاب سمط اللآلى فى شرح الامالى طريقة الشرح التى عرفت فى تلك الفترة ، حيث ظهرت مجموعة من المؤلفات تهتم بشرح الآثار المشهورة ، وأصبح أبو عبيد البكرى بهذ بن الكتابين زعيما لمدرسة الشراح فى الاندلس[1] .

اما كتاب التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ، فقد جاء تأليفه متأخرا عن كتاب فصل المقال وكتاب سمط اللآلى فى شرح الأمالى ، فقد لاحظنا فى مقدمة هذا المؤلف ، أن البكرى يهديه للى المعتمد بن عباد ، وصلته بالمعتمد كانت فى آخر أيامه بالمرية ، وقد هدف البكرى بتأليف هذا الكتاب الى تتبع الاوهام التى وقع فيها أبو على القالى فى كتابه الامالى ، لان أمالى القالى كانت تعتمد على الحفظ[2] ففتح بذلك مجالا لظهور الاوهام التى تتبعها أبو عبيد البكرى وهناك قضية أثارها الدكتور حسين مؤنس حول هذا الكتاب ، فذكر أنه يحمل طابع الشباب والرغبة فى الظهور

---

(١) مطلق : الحركة اللغوية فى الاندلس ص ٣٢٦ مدريد ١٩٦٧ م .

(٢) القالى : الامالى جـ ١ ص ٣ ، مطبعة دار الكتب بمصر سنة ١٩٢٦ م .

لان التعرض بالنقد لكبار أساتذة المشرق واثبات ان الاندلسيين لا يقلون عنهم ، كان سمة ذلك العصر(١) .

ولكن اهداء البكرى لكتاب التنبيه للمعتمد بن عباد يقطع لنا الشك فـــي أن هذا الكتاب ألف فى المرية ولم يؤلف فى قرطبة ، وروح النقد التى جاءت فيـــه تمثل مرحلة النضج فى التأليف عند البكرى بعد أن اجتاز مرحلة الشرح .

اما كتاب معجم ما استعجم فقد تم نشره مرتين فنشره فى المرة الاولى المستشرق الالمانى فستنفيلد سنة ١٨٧٠م بجوتنجن فى المانيا ، ونشره فى المرة الثانيــــة الاستاذ مصطفى السقا فى مصر سنة ١٩٤٥ وأحدث السقا تغييرا فى ترتيب المعجـــم فقد رتب البكرى معجمه وفقا لما ألفه المغاربة(٢) .

اما المستشرق فستنفيلد فقد حافظ على الترتيب المغربى الذى جاء فى المعجـــم ولكن الاستاذ السقا عدل الترتيب المغربى ورتبه وفقا لنظام المشرق .(٣)

---

(١) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، ص ١١٧ .

(٢) رتب البكرى معجمه على حروف الهجاء عند الاندلسيين كالاتى : أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، هـ ، و ، ى . انظر معجم ما استعجم حـ١/ هـ .

(٣) لم يقتصر السقا فى الترتيب على الحرفين الاول والثانى كما فعل البكرى بل راعى فى الترتيب ما بعدهما ـ انظر معجم ما استعجم ج ١/ هـ .

وقد اختلف الدارسون حول المسلكين فانقسموا الى فريقين :

فريق يؤيد السقا في مسلكه ، ويمثل هؤلاء الدكتور طه حسين فيقول عن المعجم (وجد في نشره فستنفيلد في أواخر القرن الماضي بعد أن أبلى في ذلك أحسن البلاء ، ولكن طبعة فستنفيلد بعد بها العهد من جهة ولم يتيسر للباحثين الشرقيين من جهة أخرى ، ووقع بها كثير من الخطأ فاضطر الباحث الى شيء من العناء غير قليل ، على حين ينبغي لاستعمال المعاجم ان يكون الباحث اليا ... وقد عمد الاستاذ السقا الى هذا النص فاكمله ".[1] ووقف فريق آخر مع المستشرق فستنفيلد يوافقونه على منهجه ويمثل هؤلاء حامد الجاسر فيقول عن طريقة فستنفيلد : "فطبعة جوتنجن هي أول مطبوعة انتفع بها الباحثون وهي على ما فيها من أخطاء لم يسلم منها مطبوع عربي على درجة حسنة من الصحة والجودة وطابعها مستعرب معروف بسعة الاطلاع وتحري الصواب ، ولو لم يكن من فضله الا تمهيد السبيل للاستاذ السقا لكفى في عدم النيل من عمله ان لم يوجب الثناء عليه ".[2] ويبدو لنا من مقارنة المسلكين ان طريقة المستشرق فستنفيلد تحفظ

---

(١) طه حسين : الكاتب المصري ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ المجلد الاول العدد الثاني ، القاهرة ١٩٤٥م .

(٢) الجاسر : مجلة المجمع العلمي العربي ج ٤ مجلد ٢٧ ص ٢٣ ومابعدها ، دمشق محرم ١٩٧٢م .

الكيان التاريخى للكتاب وان كانت تجر صعوبات على الشرقيين .

وقد خلق ترتيبه لاستاذ السقا خلطا فى بعض الاعلام التى أوردها البكرى ، فمثلا يشير فى حديثه عن " وادى الاثافى " بقوله " وقد تقدم ذكره بأتم من هذا فى رسم الامرار " (١) ، على حين يأتى رسم الامرار متأخرا وشرح لنا البكرى مضمون المعجم بقوله : " هذا كتاب ذكرت فيه ان شاء الله جملة ما ورد فى الحديث والاخبار والتواريخ والاشعار من المنازل والديار والقرى والامصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرار " (٢) .

اما دوافع تأليف كتاب معجم ما استعجم ، فسببها ما رآه البكرى من تحريف فى كتب التاريخ والسير والحديث لاسماء البلدان والمواقع ، فقال : " فانى لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس أردت أن افصح عنه بأن أذكر كل موضع مبين البناء معجم الحروف حتى لا يدركك فيه لبس ولا تحريف " (٣) . وبالرغم من غلبة السمة

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٥٣ مصطفى السقا .

(٢) البكرى المصدر السابق ج ١ ص ١ .

(٣) البكرى : المرجع السابق ونفس الصفحة .

اللغوية على المعجم فانه يعتبر ـ كما اسلفنا القول ـ أول معجم جغرافى لاسماء الاماكن [١] ، كما أنه حوى أيام العرب وأنسابهم ، وقد ضمنه البكرى مقدمة تاريخية عن تنقلات القبائل العربية ووقائعها ، وأيامها ، مثل حديثه عن اولاد نزار ومنازل قضاعه ، وجناده ، ومعز ، وربيعة وأياد ، وأنمار ، وغيرها وذكر اختلاف أولاد معز وأسباب افتراقهم . ووصل البكرى بهذه الاخبار درجة احتل بها منزلة الاخبارى الذى يهتم بتاريخ وأخبار الماضى ، ويحفظ مفاخره ، وقد ساعدته هذه المعلومات على مواصلة الكتابة عن تاريخ عرب الجاهلية فأولاهم عنايته فى كتاب المسالك والممالك فعقد فصلا عن تاريخهم تناول فيه تاريخ العرب البائدة والامم الدائرة وعاداتهم ومذاهبهم وسيرهم [٢] .

أما النوع الثانى من مؤلفات أبى عبيد البكرى فهو عبارة عن مؤلفات أدبية ولغوية مفقودة وهى :

أ ـ اشتقاق الاسماء [٣] .

ب ـ شفاء عليل العربية [٤] .

---

(١) الغنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى : ص ١٤ .
(٢) البكرى : المصدر السابق ج١ ص ١ .
(٣) السيوطى : بغية الوعاة ج ٢-ص ٣٥ ، القاهرة .
(٤) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٥ .

جـ ـ الاحصاء لطبقات الشعراء [1] .

ثالثا ـ مؤلفات غير لغوية مفقودة :

أ ـ كتاب أعيان النبات والشجريات الاندلسية [2] : وهذا الكتاب مفقود ، فاضل فيه البكرى فى أنواع الادوية المفردة وقواها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وما يتعلق بها .

ب ـ اما الكتاب الثانى فقد ألفه البكرى عن اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [3] . وكتب عن سير بقية الانبياء فى مقدمة كتاب المسالك والممالك ، وأفرد للرسول صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب ، ومن الكتب المفقودة أيضا كتاب " التدريب والتهذيب فى ضروب أحوال الحروب " [4] ويبدو من عنوانه أن البكرى تناول فيه ذكر الوقائع الحربية فى التاريخ .

---

(1) البكرى : اللآلى ج ١ ص ٧٧ . مقدمة عبد العزيز الميمنى .

(2) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ص ٥٠٠ بيروت .

(3) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٢٨٧ القاهرة ١٩٦٦م .

(4) البكرى : معجم ما استعجم ج ٢ ص ٣٩٨ .

رابعا : مؤلفات جغرافية وتاريخية :

يدخل ضمن هذا القسم كتاب " معجم ما استعجم " وكتاب " المسالك والممالك " وقد سبقت الاشارة الى كتاب ما استعجم وما استعجم .

اما كتاب المسالك والممالك فعلى الرغم من دخوله ضمن المكتبة الجغرافية العربية . غير أن غلبة التاريخ واهتمام البكرى به فى هذا المؤلف حتم وضعه ضمن المؤلفات التى تجمع بين الجغرافية والتاريخ [1] .

اتجه علماء المشرق الى الكتابة فى فن المسالك والممالك قبل ظهوره فى المغرب الاسلامى . ويكفيهم فضلا فى ذلك انهم مهدوا الطريق لعلماء المغرب الاسلامى ويمثل كتاب المسالك والممالك لابى عبيد البكرى هذا النمط من التأليف فى القرن الخامس الهجرى . ويمتاز مؤلف البكرى بأنه اشمل المصنفات من حيث الحجم وكمية المادة [2] . وقد اتخذ الدارسون كتاب المسالك والممالك للبكرى مصدرا هاما من مصادر التاريخ لما حواه من مادة تاريخية وسوف نعرض هنا للنسخ المخطوطة والمطبوعة

---

(١) مونس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، ص ١٤٤ .
(٢) الغنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ص ٣٢ .
مونس ، المرجع السابق ص ٢١٦ .

من كتاب المسالك والممالك لدراسة بعض ما ورد فيها من مادة تاريخية بعـــــد استخلاص الحقائق التاريخية منها ويمكن تقسيم كتاب المسالك والممالك الــــى قسمين أولهما تم نشره ، وثانيهما لم يزل مخطوطا ولم ينشر بعد .

القسم الاول :

(أ) جزء قام بنشره المستشرق الفرنسي دى سلان بعنوان " المغرب فـــى ذكر بلاد افريقية والمغرب " وذلك من نسخة المتحف البريطاني رقم ٩٥٧٧ ، وهـــو جزء خاص بافريقية والمغرب يبدأ من برقة شرقا الى طنجة غربا كما يتحدث فيه عـــن السودان الغربى .

أما المعلومات التاريخية التى وردت فى هذا الجزء ، فانها تتصل بالفتـــح العربى لبلاد المغرب ، وتاريخ تأسيس المدن فيها ، كما يشير الى أنماط من تاريخ الاغالبة ، معظمها يتصل بتاريخ العمران ، مثل تاريخ القيروان ، وتاريخ مسجدها وتاريخ غيرها من مدن الاغالبــة .

كما يتناول هذا الجزء الحديث عن الدولة الرستمية فى تيهرت ، وصف مدينة فاس والتاريخ لدولة الادارسة ودولة بنى المدرار فى سجلماسة ، ودولة بنى صالح فـــى

نكـــور ، ودولة برغواطـة في شاله وتامسنا ، كما يتحدث البكري فيه عن قبائـــل الملثمين في الصحراء وحركة المرابطين ، وضمن البكري حديثه في هذا الجزء ذكـــر الاسلام في السودان الغربي ، فذكر الدول الاسلامية التي قامت في تلك المنطقـــة مثل دولة غانة وغيرها .

القسم الثاني :

ويتصل بالجزيرة العربية حققه عبد الله يوسف الغنيم ويتضمن هذا القســـم الحديث عن حدود الجزيرة العربية ، وما خصت به من المعادن والصناعات ، ومـا يحمل اليها من المنتجات ، وتناول البكري في هذا ذكر مدن اليمن ، وبلاد عمـان والبحرين واليمامة ، وذكر البيت الحرام بمكة ، وبناءه وأخباره وتناول ذكر المدينة المنـورة (1) .

---

(1) الغنـيم : الجغرافي العربي ـ أبو عبيد البكـري ، القسم الثانـــي من الدراســة ص ١٣١ .

القسم الثالث من الاجزاء التى نشرت من كتاب المسالك والممالك قطعة تخص جغرافية الاندلس وأوربا نشرها عبد الرحمن على الحجى والنصوص التاريخية فـــى هذا القسم تتناول اخبار الجلالقة والبرتونيين سكان مقاطعة شمال فرنســـا ، والافرنجة وبلادهم ، والنوكبرد وهم اللمبارديون سكان بلاد اللمباردى ، والصقالبة كما يحوى ذكرا لبلاد الروم وجملا من اخبارهم ، ويؤخذ على هذا القسم ان صاحبه لم يلتزم بترتيب المادة كما وردت فى مخطوطات البكرى .

وهناك قطعة تتناول الحديث من الروس والصقالبة ، نشرها فون روزن وكونك فى بطرسبرج سنة ١٨٧٧م ، بعنوان أخبار البكرى من الروس والصقالبة [1] .

كما نشر كوفالسكى قطعة من الصقالبـة فى كليـة التاريـخ ببولونيـــــــا سنـة ١٩٤٦ [2] .

وعلى الرغم من الاهتمام الكبير الذى لقيه كتاب المسالك والممالك فانه لم تكتمل دراسته وظلت أجزاء أخرى مخطوطة لم تنشر بعد ، ولهذا رأينا أن نسهم فى تحقيق ودراسة الجزء الخاص بممالك السودان ، وذلك بتخصيص فصل لتحقيق هذه الغايـة

---

(1) Kunk (A) and Rosen (V): Petersburg 1878.
(2) Kowalski : Polonia 1946.

وفيمايلي تعريف بالقطع التي لم تنشر بعد من كتاب المسالك والممالك .

أولا :

مخطوط مكتبة نور عثمانية ، استنبول برقم ٣٣٤ وقد أطلعت على نسخة مصورة من هذه المخطوطة بالمعهد الاسلامي بمدريد وعدد أوراقه ٢٤٧ ورقة نسخت في سنة ١٠٥١هـ ويمثل هذا المخطوط بداية كتاب المسالك والممالك ، اذ نجد فيه موضوعات ترد عادة في مداخل كتب التاريخ ، مثل مروج الذهب للمسعودى وتاريخ الرسل والملوك للطبرى ، وتدور تلك الموضوعات حول ابتداء الخليقة ، وعمارة الارض ، وسير الانبياء عليهم السلام .

ويتناول هذا المخطوط الحديث عن أخبار العرب وعقائدهم ومذاهبهم ومعبوداتهم ، كما يتحدث عن تاريخ الممالك .

فورد فيه ذكر مملكة الهند ، ومملكة الصين والترك والنبط ، وغيرها ، ويحوى ذكر الروم والاغريق ويتحدث عن ممالك السودان والبربر والصقالبة والروس والجلالقة والاكراد ، وملوك اليمن ، والحيرة ، والشام .

ويعتمد البكرى في هذا القسم على النقل من الطبرى وحفص القرطى والمسعودى وابن وصيف شاه .

ثانيـــا :

مخطوط مكتبة لاله لى ، رقمها ٢١٤٤ وقد ثبت من المقارنة ان هـــــذا المخطوط يشابه مخطوط نور عثمانية فموضعاتهما واحدة .

ثالثـــا :

مخطوط مكتبة باريس الوطنية رقم ٥٩٠٥ وتحتوى على ١٨٦ ورقة وهى تشابـــه نسختى لاله لى ونورعثمانية .

رابعـــا :

مخطوط مكتبة المنوفى بالرباط رقم ٤٩ وتشمل ذكر الانبياء عليهم السلام وأخبار العرب العاربـــة وديانتهم وذكر الممالك وأخبار مصر .

خامسا :

مخطوط مكتبة جامعة القرويين فى فاس ورقمها ل/٨٠/٣٩٠ ويتحدث هـــذا المخطوط عن أفريقية وحدودها ، وأخبار اليمن ، وأخبار جزيرة العرب ، وذكر بـــلاد المشرق والعراق ، وفارس . وجملة من أخبار بلاد الشام ، وبلاد الروم والانــــدلس

وشعوب الجلالقــة ، والافرنجــة ، والانقلش[1] ، والبرثونيين[2] .

سادســا :

مخطوط مكتبة الاكاديمية التاريخية بمدريد رقمها ١٣ ضمن مجموعـــة جاينجوس وتنحصر موضوعاتها في الحديث عن بلاد الشام والممالك المتقـــدم ذكرها ، ومصر ، وبلاد العراق ، وفارس .

سابعـــا :

مخطوط المكتبة الوطنية في باريس برقم ٢٢١٨ وتشمل الحديث عن الامصار والممالك ، وورد فيها ذكر مصر من وقت عمارتها حتى الطوفان ، وبعض صفحـات عن الاندلس .

ثامنــا :

مخطوط الخزانة العامة في الرباط رقمها ق ٤٨٨ وتحتوى على ٢٣٠ صفحـة ورد فيها ذكر سير الروم ومذاهبهم وبلاد الانقلش وجملة من القول في الامصـــار

---

(١) يقصد بهم سكان الجزر البريطانية .انظرجغرافية الاندلس وأوربا ص١٥٠ .

(٢) هم سكان مقاطعة BRITTANY في شمال غرب فرنسا .انظرجغرافية الاندلس وأوربا ص٨٢ .

والمسالك وبعض الاشارات عن الاندلس .

تاسعا :

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ٧٨٧د اتتحدث عن بلاد افريقية حتى تصل الى حصون تلمسان ، وتتضمن بلاد المغرب .

المخطوط العاشر :

هو مخطوط مكتبة الاسكوريال بأسبانيا رقم ١٦٣٥ وتبدأ بالحديث عن مصر وتنتهى بالحديث عن محمد بن ادريس فى القسم الخاص بالمغرب .

مجمل التراث التاريخى عند البكرى :

لاحظنا من خلال استعراضنا لمخطوطات كتاب المسالك والممالك لابى عبيد البكرى ، أن المادة التاريخية مفرقة فى تضاعيف تلك المخطوطات ، وحرصنا على جمع تلك المادة التاريخية بعد تجريدها من المادة الجغرافية حتى نبرز تصورا واضحا لتراث البكرى التاريخى .

وقد امكن استخلاص المادة التاريخية التى وردت فى المخطوطات مع الاشارة

الى المصادر التى اعتمد عليها البكرى أول ما نلاحظه على تراث البكرى التاريخى تأثره الواضح بمؤرخى الاسلام الذين سبقوه ، فعقد مقدمة تاريخية تشبه المقدمات التى جاءت فى كتب الطبرى والمسعودى ، وتتحدث تلك المقدمة عن عمارة الارض وخلق آدم عليه السلام وسير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فذكر منهم آدم ، واسماعيل ، ونوح ، وهود ، واسحاق ، ويعقوب ، ولوط ، وأيوب ، وذا الكفل ، وموسى ، وهارون ، ويوشع ، وشماويل ، وطالوت ، وداود ، وارميا ، وشعيا ، ودانيال ، وعيسى ، وزكريا ، ويحيى .

وتحدث البكرى فى تلك المقدمة التاريخية عن تاريخ العرب قبل الاسلام ، فذكر عادات العرب وعقائدهم وعبادتهم ومعبوداتهم وذكر بيوت النيران والبيوت التى يعظمها العرب ، والمصادر التى أعتمد عليها البكرى فى هذا القسم هى الكتب السماوية ، التوراة والانجيل والزبور والقرآن .

وأما المصادر التاريخية فهى تاريخ الرسل والملوك للطبرى ويشير الى اسمه بالحرف (ط) واعتمد البكرى على كتاب الديوان لحافظ القرطبى ، واعتمد أيضا على المسعودى ويرمز الى اسمه بالحرف (س) كما نقل عن كتاب عجائب الدنيا لابن وصيف شاه[1] .

(١) المادة التاريخية التى اشرنا اليها هنا وردت فى المسالك والممالك مخطوط لاله لى ، اسطنبول رقم ٢١٤٤ ومخطوط نور عثمانية ٣٠٣٤ .

ثانيا : شملت المادة التاريخية للبكرى ذكر الممالك ، فتحدث عن ممالك الهند ، والصين ، والسند ، وملوك الفرس ، وملوك اليونان والروم وممالك السودان وتحدث عن البربر ، والصقالبة ، والافرنجة ، والجلالقة والنوكبرد وملوك اليمن ، والحيرة ، واعتمد البكرى فى مادته عن الممالك على احمد بن عمر العذرى وابراهيم ابن يعقوب الطرطوشى ، والجيهانى ، واكثر نقوله فى هذا القسم عن المسعودى (١) .

ثالثا : اهتم البكرى بدراسة تاريخ الجزيرة العربية ، فأورد استطرادا تاريخيا عن القرامطة فى البحرين واعتمد فى تاريخهم على عريب بن سعد واحمد ابن ابى طاهر ، كما سرد شطرا من تاريخ ولاة البيت الحرام فى حديثه عن مكة والمدينة ومصادره فى هذا الزبير بن بكار والازرقى وابن قتيبة (٢) .

---

(١) مخطوط نورعثمانية اسطنبول ٣٠٣٤ .
(٢) مخطوط مكتبة المنونى بالرباط رقم ٤٩

رابعـــا : ذكر البكرى اشارات تاريخيــة عند حديثه على مدن المشرق ، فتحدث عن أشهر مدن العراق وأورد قصــة بناء المنصور لبغداد ، كمـــا أورد اشارات تاريخية عن بلاد فارس وما وراء النهر ، ومصادر البكرى التاريخية فـــى هذا القسم هى تاريخ المقريزى واحمد بن أبى طاهر بن طيفور [١] .

خامسا : تحدث البكرى عن تاريخ بلاد الروم واخبارهـــا وشمل حديثـــه مدن القسطنطينية وروما وغيرها [٢] .

سادسا : أورد البكرى تفاصيل وافيـــة عن تاريخ مصر القديم فتحدث عـــن ملوك مصر والاهرامات ، وسرد شطرا من أقوال الحكماء فى مصر منذ نشأتها وحـــتى الفتح العربى ، وتحدث عن الفراعنة ، وبناء الاهرام وفتح العرب لمصر ، وتخطيـــط الفسطاط ، ويذكر اول من نزل بمصر من العرب .

واعتمد البكرى فى تاريـــخ مصر على المسعودى وابن وصيف شاه ، وكلاهما شاهد عيان ، كما اعتمد على ابن عبد الحكم وعلى من نقل عنهم مثل الليـــث بن ســعــــــد

---

(١) مخطوط مكتبة القرويين رقم ل / ٠ ٨ / ٠ ٣٩ .

(٢) مخطوط مكتبة الاكاديمية التاريخية بمدريد رقم ١٣ كذلك مخطوط المكتبة الاهلية باريس رقم ٢٢١٨ .

وابـــن لـهيعـــــة[1] .

سابعا : تحدث البكرى فى تراثه التاريخى أيضا عن بلاد افريقية والمغرب وهى البلاد الممتدة من برقـــة شرقا حتى طنجة غربا فذكر دولة الاغالبـــــــة بالقيروان • ودولة بنى رستم بتيهـــرت ودولة بنى المدرار بسجلماسة • ودولـــة بنى صالح بنكور ودولة المرابطين فى الصحراء • كما شملت الدراسة التاريخيــة للبكرى البلاد الواقعة فى جنوب الصحراء وهى بلاد السودان الغربى فتحدث عن تاريخ الدول التى قامت فى السودان الغربى مثل دولة غانة ومالــى والكوكو[2] .

وسوف نتخذ من القسم الخاص بشمال افريقيـــة والسودان الغربى نموذجا للدراسة تهدف من خلالــــه أهمية تراث البكـرى التاريخـى وقد وقع اختيارنـــا على هذا القسم لعدة عوامل منها :

---

(1) مخطوط الاكاديمية التاريخية بمدريد رقم (١٣) كذلك مخطوط المكتبـــــــة الاهلية باريس برقم (٢٢١٨) •

(2) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب• انظر ايضا مخطوط المتحف البريطانى رقم (٩٥٧٧) •

أن هـذا القسم منشـور ويسهل الرجوع اليه ، كما أن هـذا القسم أصبح معتمد الدارسين فى تاريخ شمال افريقية والسودان الغربى ، لتفرد مادته بنصوص كثيرة ، وتقل النقول فى هذا القسم من الاقسام الاخرى لمعاصرة البكرى لبعض الدول التى اهتم بدراستها .

ومن خلال ذلك كله يمكن أن نـبرز شخصية البكـرى المؤرخ .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

==

آثار البكــــرى التاريخيــــة
نماذج للدول التى عاصرهـــا

==

مصطلح المغرب وافريقية عند ابى عبيد البكرى ـ طريقته فى ترتيب دول المغرب ـ دقة معلوماته عن بعض الدول الـتى عاصرها وموقف الباحثين منها ـ مصادر رواياته عن تلك الدول ـ أهمية نصوصه فى الكشف عن قدم الاسلام فى غانــــة ـ احداث دولة المرابطين فى رواياته ـ .

يختلف المؤرخون فى تحديد مصطلح المغرب وافريقية ، فقد استعمل ابـــن الاثير مصطلح المغرب للدلالة على الجزء الغربى من العالم الاسلامى ويشمل ذلــك (مصر والشام) وهذا يقابل المشرق الاسلامى (العراق وفارس) يذكر ابن الاثــير خطاب على بن ابى طالب لرجاله بشأن الحرب مع معاوية " اجمعنا على المسيرة الى عدونا من أهل المغرب " (١) .

---

(١) الكامل ج ٣ ص ١٧١ ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .

وفى القرن الثالث الهجرى نقل ابن عبد الحكم هذا المصطلح واطلقه على شمال افريقية من طرابلس الى طنجة ولم يفرق بين مصطلح المغرب وافريقيـــة واستعملهما بمعنى واحد .

وحدد سلطان جرجير ملك افريقية قبل فتحها على يد المسلمين بانها تمتد من طرابلس الى طنجة (١) .

وفى القرن الخامس الهجرى خلط ابو عبيد البكرى بين لفظى افريقية والمغرب فاستعملهما بمعنى مترادف لم يفرق بينهما . يقول البكرى " وحد افريقية طولها من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا ، واسم طنجة مرطانية ، وعرضها من البحـــر الى الرمال التى هى أول بلاد السودان " (٢) ، ويبدو أن البكرى تأثر فى هـــذا التحديد بابن عبد الحكم ، ومما يكشف لنا خلط البكرى بين اللفظين ، ان ابـــن أبى دينار الذى جاء بعده ، أشار الى تعريفه بقوله " وحد افريقية بالطول من برقـــة الى طنجة ، وعرضها من البحر الشامى الى الرمال التى أول بلاد السودان ، قاله غير واحد . قلت فى زماننا هذا لا يعبر بافريقية الا من وادى الطين الى باجة " (٣)
فنص ابن ابى دينار يوضح ان المصطلح فى القرن الخامس يخالف المصطلح علـــى

---

(١) فتوح مصر والمغرب ص ٢٤ تحقيق عبد المنعم عامر طبعة لجنة البيان العربى ، سنة ١٩٦١ م .
(٢) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٢١ الجزائر ١٨٥٧ تحقيق دى سلان
(٣) ابن ابى دينار القيروانى : المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس ص ٦ ا تونس ٦ ٢٨ ١ هـ

ترتيب الدول : يختلف المؤرخون العرب في ترتيبهم لدول المغرب الاسلامي تقديما وتأخيرا بحسب الاعتبارات التي يضعها كل مؤرخ لمؤلفه ، فيرتب بعضهم هذه الدول حسب أسبقيتها في الظهور ، ويلتزم هؤلاء المؤرخون باحترام مبدأ الزمان في الترتيب ، وذلك على نحو ما فعل المصنف في ذكر ملوك سجلماسة من بني المدرار ، فقد قدمهم ابن الخطيب في كتابه على دولة الادارسة باعتبارهم أسبق في الظهور ، وعلل تقديمه لهم بقوله : " وانما اتبعنا دولة الصنهاجة ملوك افريقية بهؤلاء وان كان الشرفاء العلويون أولى بالتقديم ، ويكون هؤلاء وراءهم لمناسبة قرب الزمان والمكان فالعذر في ذلك واضح البيان "(١) .

---

(١) اعمال الاعلام ص ٣٧ تحقيق احمد مختار العبادي ، الدار البيضاء ١٩٦٤م .

والبعض الآخر من المؤرخون لا يحترم مبدأ الزمان فيبدأ بذكر دولة الادارسة ويقدمها على غيرها لشرف مكانتها ، كما فعل السلاوى بذكر هذه الدولة ، ويبرر مسلكه بقوله : " وقد آن أن نفرد الكلام عن المغرب الاقصى عندما استولى عليه المولى ادريس ابن عبد الله ومن بعده ، اذ كان ذلك من شرط كتابنا هذا حسبما تقدم الاشارة اليه فقدمنا لذلك ما يجب تقديمه " (١) .

أما أبو عبيد البكرى فلم يأخذ فى ترتيبه للدول بالاعتبارين السابقين ، فبنى ترتيبه لتلك الدول على اساس المكان ، لان نزعته الجغرافية جعلته واحدا من المسالكيين الذين يهتمون بالاماكن التى تقع على الطرق ، فدرس البكرى الطرق والمسالك فى المغرب ، ومن خلال وصفه لتلك الطرق والمسالك يتوقف عند المدن التى يمر عليها ، ويسرد شطرا من احداث التاريخ التى تقع فى تلك المدن فنجده يذكر فى القسم الخاص بالمغرب المسالك الممتدة من مدينة برقة شرقا حتى ينتهى الى طنجة غربا ، وفى أثناء وصفه لتلك المسالك يتوقف عند مدينة القيروان ويسرد شطرا من تاريخ دولة بنى الاغلب ، ومظاهر العمارة فى عهدهم وأمتدت به المسالك حتى مدينة تيهرت فوصف المدينة وتأسيسها وأعقبه بالحديث عن دولة الرستميين احدى

---

(١) الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج ١ ص ١٣٢ ، الدار البيضاء ١٩٥٤م .

دول الخوارج التى قامت فى ذلك الاقليم ، ومن المدن التى وصفها فى مسالكه مدينة نكور حاضرة دولة بنى صالح ، وعرض لتاريخ دولتهم وتعرض البكرى أيضا لذكر مدينة فاس ، فوصفها وصفا دقيقا وسرد تاريخ الادارسة ، وتوقف عند مدينة تامسنا على المحيط الاطلسى ، وتحدث عن تاريخ قبائل برغواطة ، ووصف مدينة سجلماسة على وادى ملويه ، وأعقبه بذكر دولة بنى المدرار الصفرية الذين أقاموا دولتهم فيها ، وتعرض البكرى لتاريخ المرابطين وقد امتد وصف البكرى حتى الحدود الجنوبية للاسلام فى الغرب ، فتحدث من تاريخ دولة غانة وعن دول السودان الغربى مثل دولة مالى والكوكو وغيرها (١) .

وقد قامت معظم الدول التى تناولها تاريخ البكرى فى القرن الثانى الهجرى وهى كما ذكرنا دول الاغالبة والخوارج من بنى المدرار والرستميين والادارسة بنى صالح وبرغواطة .

ويمكن تقسيم الدول التى تناولتها دراستنا الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : يختص بالدول التى عاصرها البكرى ، وسوف نحاول الكشف عن أثر المعاصرة على مادته ، والوصول بها الى درجة من الدقة ، والاهمية ، وقد

---

(١) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص٦٦ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١٣٤ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٧٤ .

اخترنا نماذج لهذا القسم من دولة المرابطين ودولة غانـــة ٠

اما القسم الثاني : فيتناول الحديث عن الدول التي لم تنل اهتمام كثير من المؤرخين فلم يرد لها ذكر في مؤلفاتهم أو وردت ناقصة ومختصرة ، فعني بها البكري ، وأنقذ تاريخها من الضياع ، وقد أخذنا نماذج هذا القسم من دولتي برغواطة في تامسنا ، ودولة بني المدرار الصفرية في سجلماسة ٠

القسم الثالث : من تلك الدول فهو عبارة عن عرض تطبيقي لمنهج البكـــري التاريخي ، وأخذنا نماذج لذلك من دولة الادارسة لاكتمال مادتها في مؤلـــف البكري ٠

ونبدأ هذا الحديث من الدول التي عاصرها أبو عبيد البكري ، ونحدد هذه المعاصرة من خلال نصين للبكري عن دولة غانة والمرابطين ، فالنص الذي يثبـــت معاصرة أبي عبيد البكري لدولة المرابطين يدور حول تحديد امارة أبي بكر بن عمر ، وهو الامير الذي عاصره البكري وأشار الى امارته بقوله : " وأمير المرابطين الى اليـوم وذلك سنة ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر " (١) .

---

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقيـة والمغرب : ص ١٧٠ ٠

وقد أصاب هذا الفريق من الباحثين عين الحقيقة فى تحديد الاسباب التى تجعل من مادة البكرى مادة تصل الى غاية الدقة حيث أرجعوها الى معاصرة البكرى لاحداث تلك الدول .

أما الفريق الثانى من الباحثين فانه يتفق مع الرأى السابق فى الاشادة بدقة معلومات البكرى التاريخية ، ولكنه اخطأ حين علل تلك الدقة بجعل البكرى أحد الرحالة الذين ارتادوا تلك المناطق ، فوصل الى نهر السنغال(١) ، فلم يرد فى أى مصدر من المصادر القديمة أية اشارة الى خروج البكرى عن جزيرة الاندلس ، فقد أقام فى الجزيرة منذ نشأته وحتى وفاته .

غير أن معاصرة البكرى لمجريات الاحداث فى عهد دولتى غانة والمرابطين لا تعنى انه عايش تلك الاحداث بنفسه فلم يأخذها اخذا مباشرا بسبب البعد المكانى بينه وبين البلاد التى شهدت الاحداث السياسية ، وغيرها من الحركات ، ومن هنا كان على البكرى أن يعتمد على مصادر تصله بالاحداث السياسية للدولتين ويلاحظ الدارس لمادة البكرى ورود شخصيات اعتمد عليها البكرى كمصادر يستقى منها مادته مثل شخصية الفقيه أبى محمد بن عبد الملك بن نخاس القرنة ، وينقل البكرى عنه روايات مسبوقة بصيغة " أخبرنى " عهد و أنه كان يأخذ عنه مشافهة ووردت

---

(١) نعيم قداح : افريقية الغربية فى ظل الاسلام / و ١٩٦٠ .

هذه الروايات والنقول فى تراث البكرى بصيغ مختلفة ، فمرة يذكر اسمه كاملا ، ومرة يختصره بالفقيه عبد الملك ، وأحيانا أخرى يكتفى بقوله أخبرنى الثقة [1] . وقد كان الفقيه أبو محمد عبد الملك محمد البكرى فى معلوماته عن السودان الغربى .

أما المصدر الثانى الذى اعتمد عليه البكرى فى معلوماته التاريخية ، فهو أبو عبد الله المكى ، وقد أخذ عنه بعض عادات نساء غانة وذكر أنه رأى عندهن تلك العادات [2] .

وقد ارتبطت هذه الشخصيات ببلاد السودان عن طريق التجارة والرحلة [3] .

أما مادته عن دولة المرابطين فقد اعتمد فيها على كتاب محمد بن يوسف القيروانى . وتمثل مادة البكرى المنقولة عن الوراق أهمية كبيرة لضياع مؤلف محمد بن يوسف الوراق فحفظ البكرى شطرا كبيرا من تراث الوراق المفقود .

واعتمد البكرى على مصدر مغربى آخر وهو مؤمن بن يومر الهوارى . وقد خرج البكرى فى ذكره لهذه الدول عن حدود المعاصرة فأتى لنا بمعلومات لم يعاصر

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .
(٢) البكرى : المصدر السابق ص ١٧٨ .
(٣) الغنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ص ٨٦ .

فترتها . مثل تعرضه لبداية الاسلام فى السودان الغربى وقدمه وقد كانت نصوصه معتمد الباحثين فى اثباتهم قدم الاسلام فى غانة [1] فمن نصوصه المهمة فى هذا الصدد حديثه عن الهنيهيين فذكر أن بـ " بلاد غانة قوم يسمون الهنيهيين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية انفذوه الى غانة فى صدر الاسلام " [2] .

وله نص آخر يتحدث فيه عن معرفة غانة بالاسلام قبل مجىء المرابطين يكشف هذا النص عن الدور الذى لعبه ملك التكرور بعد اسلامه فقد جاهد هذا الملك حتى تمكن من اخضاع مدينة سلى التى تجاور غانة فيذكر البكرى : " أن مدينة تكرور أهلها سودان وكانوا على ما سائر السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير حتى وليهم وارجابى بن رابيس فاسلم وأقام عندهم شرائع الاسلام وحملهم عليها وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى وأهلها مسلمون ، أسلموا على يدى وارجابى رحمه الله . وبين مدينة سلى ومدينة غانة سيرة عشرين يوما وملك سلى يحارب كفارهم وهو واسع المملكة كثير العدد يكاد يقاوم ملك غانة " [3] .

---

(١) طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ٤٢ .

(٢) المغرب ص ١٧٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٧٢ .

وقد استشهد الباحثون ايضا بنص البكرى عن د ور امبراطورية اودغست الاسلامية فى نشر الاسلام فى بلاد السودان الغربى قبل مجئ المرابطين، فقد أشار البكرى الى تحمس تيوتان ملك اودغست الى نشر الاسلام بين الزنج المحاربين من ناحية الجنوب بقولـه : " وكان صاحب أودغست فى عشر الخمسين وثلاثمائة تين يروتان بن وسنو بن نزار رجل من صنهاجة وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدى اليه الجزية " (١) .

ويبدو لنا أن الهنيهيين - من ذرية الجيش الاموى التى تقدم ذكرها - لم يحققوا أى تقدم فى نشر الاسلام بين سكان غانة وذلك لاسباب منها تلك العزلة التى ضربت حول هذه الفرقة ، بدليل ان المسلمين حتى فى أيام قوتهم لم يسمح لهم بالاقامة مع السكان فى حى واحد (٢) وربما كانت الفئة الاموية من الهنيهيين قد كونت النواة الاولى لذلك الحى الاسلامى من المدينة ، ومن مظاهر هذه العزلة عدم السماح للهنيهيين بالدخول مع أهل البلاد فى علاقات المصاهرة ، فلم تعقد أى زيجات بين الطرفين يذكر البكرى :" انهم لا ينكحون فى السودان ولا ينكحون منهم " (٣) .

كما أن النشاط الدينى للمسلمين فى تلك الفترات كان محدودا فقد شهد لهم

---

(١) البكرى: المصدر السابق ص ١٥٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧٩ .

ملك غانة الوثني مسجدا في الحي الذي يسكنه حتى اذا دعتهم الضرورة للذهاب الى حي الملك أدوا صلاتهم في ذلك المسجد .

ولعل الملك هدف بذلك الى منع التعارض الديني بين أهل السودان وبين المسلمين يقول البكري : " في مدينة الملك مسجدا يصلي فيه من يفد عليه " (١) .

ونتيجة لهذه العزلة المضروبة على تلك الفئة من الجيش الاموي ، فقد لازمها اليأس حين وجدت نفسها محاصرة فلم تطق ذلك الحصار فتركت دين الاسلام ودخلت مع أهل غانة في دينهم يقول البكري : " وهم على دين أهل غانة " (٢) .

وهناك حقائق تاريخية عن دولة غانة سجلها البكري تستحق أن يقف عندها الدارس ليتبين من خلالها مقدرة البكري المؤرخ على كشف وتفسير الوقائع التاريخية مثال ذلك دفعه لما ينشأ في ذهن الدارس من استغراب حين يقرأ في نصوصه ان ملوك غانة الوثنيين أثروا المسلمين بالرغم من التعارض الديني فسمحوا لهم باقامة حي اسلامي خاص بهم ، وساعدوهم على اداء شعائرهم الدينية ، فأقاموا لهم مسجدا في الحي الوثني بالمدينة ، يقول البكري : " ان ملك غانة محمود السيرة .. موثرا

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٧٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .

للمسلمين " (١) ، ولكنه يوافي الدارس بتفسير لهذه المودة الغريبة بين الملوك الوثنيين والمسلمين فيوضح أن أسباب ذلك ترجع الى أن المسلمين أنفسهم كانوا على قدر كبير من الحرفة والرقى فاحتاج ملك غانة الوثنى الى خبراتهم بدليل أنهم شغلوا له اكبر المناصب فى الدولة. يقول البكرى : " ان تراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله واكثر وزرائه " (٢) .

واذا كانت الحملة الاموية الاولى قد فشلت وذابت وسط سكان غانة ولم تحقق أى تقدم فى نشر الاسلام بين أهل تلك البلاد ، فان الفترات الاخرى كانت أكثر نجاحا فقد وضح البكرى أن جهود ملك أودغست الذى سبق ذكره حققت نجاحا كبيرا قبل أن يصل المرابطون الى غانة فان مملكة اودغست التى بلغت مركزا عظيما فى القرنين التاسع والعشر الميلادى (٣) استطاعت أن تخضع اكثر من عشرين ملكا من ملوك السودان ، وكانوا جميعا يؤدون اليها الجزية (٤) وتوثقت العلاقات بين مملكة اودغست وغانة عن طريق التنسيق التجارى فى الملح (٥) وقد زاد من انتعاش الاسلام

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .

(٣) طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ٤٢ .

(٤) البكرى : المصدر السابق ص ١٥٩ .

فى غانة وبلاد السودان اسلام رابحهم ، فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى فقد جاهد رابحهم ملك التكرور حتى اخضع مدينة سلى المجاورة لغانة كما سبق أن ذكرنا[١]

والخلاصة أن لابى عبيد البكرى نصوصا فى غاية الاهمية أعانت الدارسين كثيرا فى الكشف عن تاريخ تلك الدولة ، وكشفت عن قدم الجهود التى بذلت من أجل نشر الاسلام فى ربوعها ، وهذا يجعلنا نرجح القول بأن جهود المرابطين فى غانة كانت تتمة للادوار التى سبقتهم وترتب على حركة المرابطين زيادة عدد الداخلين فى الاسلام ، وتحولت الحكومة فى عهدهم من الوثنية الى الاسلام .

وقد خلت مادة البكرى عن دولة غانة من ذكر تاريخ اسرة البيض الذين كونوا أول حكومة قامت فى غانة وحكمت حتى القرن الثامن الميلادى ، ولذلك خلت الدراسات الحديثة من الاعتماد عليه فى هذا الجانب[٢] .

وتبدأ مادة البكرى من تاريخ دولة غانة بحكم بسى احد أفراد الاسرة السوننكية التى حكمت غانة فى نهاية القرن الثامن الميلادى وطردت اسرة البيض الحاكمة واستمرت حتى مجئ المرابطين فى القرن الحادى عشر الميلادى .

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٧٢ .
(٢) طرخـــــان : المرجع السابق ص ٢١ ومابعدها .

وقد وقع اهتمام البكرى على ملكين من حكام الاسرة السوننكية احدهمـــا "بسى" الذى حكم سنة ١٠٦٣م لقربة من عهد البكرى ، والثانى "تنكامنـــين" ابن أخت "بسى" لمعاصرته للبكرى ، ومعلومات البكرى عن بســى تكشف لنـــا عن حبه للسلطة وتشير الى تشبثه بها ، فقد كان يصر على الاستمرار فى الحكم بعد أن أصابه العمى ، يقول البكرى: "وبسى فى آخر عمره فكان يكتم ذلك من أهـــل مملكته ويريهم أنه يبصر وتوضع بين يديه أشياء فيقول هذا حسن وهذا قبيح وكـــان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلغزون للملــك بما يقول فلا تفهمه العامة"(١) .

أما نص البكرى عن ولاية تنكامنين للحكم خلفا لخاله بسى فيكشف عن أحـــد مظاهر الكتابة التاريخية التى نجدها شائعة هذه ، فنجده يسجل حكم تنكامنين كحقيقة تاريخية ولكنه لا يقف امامها موقف المتفرج بل يشرحها بما يوضح المدلـــول الذى يكمن فيها ، فتولى تنكامنين للسلطة خلفا لخاله بســى يوضح به البكـــرى النظام السائد عند اسرة السوننكيين فى وراثة ابن الاخت للعرش يقول البكـــرى : "وسنتهم ان الملك لا يكون الا فى ابن اخت الملك لانه لا يشك فيه انه ابن اختـــه وهو يشك فى ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به"(٢) ومع أن مادة البكرى لم تشر الى فترة دخول المرابطــين الى غانة ، لكن يفهم من حديثه عن قوة ملوك غانة تصور مدى

---

(١) و(٢) البكرى: المصدر السابق ص ١٧٥.

الصعوبات التى واجهت جيوش المرابطين فى اخضاعهم لملكها ، فوصف البكرى يفيد " ان ملك غانة اذا احتفل ينتهى جيشه الى مائتى الف منهم رماة أزيد من أربعين الفا " (١) ولعل وجود الرعايا المسلمين فى غانة من جراء الجهود السابقة للمرابطين سهل من مهمة المرابطين فى تلك البلاد .

ويلتزم البكرى بمنهجه فى الربط بين وصف المدن والاحداث السياسية التى وقعت فيها ولكنه لم يبدأ هنا بوصف مدينة غانة كعادته دائما ، ولكنه أتى بذكرها خلال تناوله للاحداث التاريخية ، فوصف الحى الاسلامى والحى الخاص بملك غانة بقوله : " ان مدينة غانة مدينتان سهليتان ، احداهما المدينة التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ، أحدها يجمعون فيه ولها الائمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم وعليها آبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضروات ، ومدينة الملك على ستة أميال من هذه ، وتسمى بالغابة ، والمساكن بينها متصلة ومبانيها بالحجارة وخشب الصنط ، وللملك قصر وقباب وقد أحاط بذلك كل حائط كالسور وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين الى بلاد غانة " (٢) .

---

(١) و(٢) البكرى : المصدر السابق ص ١٧٥ .

وصاحبه عبد الله بن يس ووقف بتاريخ هذه الدولة عند عهد الامير أبى بكر بن عمر اللمتونى سنة ٤٦٠هـ ، ولم يتحدث عن دور يوسف بن تاشفين مع أنه عاصره واشترك مع المعتمد بن عباد كممثل لامارة المرية عندما استدعى يوسف بن تاشفين لانقاذ الاندلس من نصارى الشمال (١) . يقول البكرى : " وأمير المرابطين الى اليوم وذلك سنة ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر " (٢) فاذا علمنا مما سبق أن أبا عبيد البكرى قد توفى فى سنة ٤٩٦هـ ، فمعنى هذا أنه ترك ٣٦ سنة من تاريخ المرابطين لم يشر اليها ، ومرجع ذلك فى الغالب تقصير المصادر التى ينقل عنها البكرى ، فربما تكون ولاية أبى بكر بن عمر هى آخر المعلومات التى سجلتها مصادر البكرى وسلكه من ممالك السودان يقوى هذا الاعتقاد فقد اعتمد فى تلك الممالك على المسعودى وختم حديثه عنها بعبارة المسعودى التى تقول : " أما غير هؤلاء من الحبشة مثل الزغاوه والكوكو وغيرهم فلهم ممالك هناك قد آتى على ذكرها فى غير هذا الكتاب " (٣) وتوقف البكرى عن الاستمرار فى ذكر بقية الممالك لان مصدره الذى أخذ عنه توقف عند هذا الحد (٤) ونجد هنا ظاهرة الربط بين الجغرافية والتاريخ عند البكرى ونلاحظها

---

(١) كور : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ص ٤٨ ـ الترجمة العربية .

(٢) البكرى : المغرب ص ١٧٠ .

(٣) مخطوط مكتبة لاله لى رقم ٦٠ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٠ القاهرة ١٩٦٤م .

وصاحبه عبد الله بن يس ويقف بتاريخ هذه الدولة عند عهد الامير أبى بكر بن عمر اللمتونى سنة ٤٦٠هـ ، ولم يتحدث عن دور يوسف بن تاشفين مع أنه عاصره واشترك مع المعتمد بن عباد كممثل لامارة المرية عندما استدعى يوسف بن تاشفين لانقاذ الاندلس من نصارى الشمال (١) . يقول البكرى : " وأمير المرابطين الى اليوم وذلك سنة ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر " (٢) فاذا علمنا مما سبق أن أبا عبيد البكرى قد توفى فى سنة ٤٩٦هـ ، فمعنى هذا أنه ترك ٣٦ سنة من تاريخ المرابطين لم يشر اليها ، ومرجع ذلك فى الغالب تقصير المصادر التى ينقل عنها البكرى ، فربما تكون ولاية أبى بكر بن عمر هى آخر المعلومات التى سجلتها مصادر البكرى وسلكه عن ممالك السودان يقوى هذا الاعتقاد فقد اعتمد فى تلك الممالك على المسعودى . وختم حديثه عنها بعبارة المسعودى التى تقول : " أما غير هؤلاء من الحبشة مثل الزغاوه والكوكو وغيرهم فلهم ممالك هنالك قد أتى على ذكرها فى غير هذا الكتاب " (٣) وتوقف البكرى عن الاستمرار فى ذكر بقية الممالك لان مصدره الذى أخذ عنه توقف عند هذا الحد (٤) ونجد هنا ظاهرة الربط بين الجغرافية والتاريخ عند البكرى ونلاحظها

---

(١) كور : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ص ٤٨ ـ الترجمة العربية .

(٢) البكرى : المغرب ص ١٧٠ .

(٣) مخطوط مكتبة لاله لى رقم ٦٠ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٠ القاهرة ١٩٦٤م .

فى ذكره للطبيعة الصحراوية وبيان أثرها على حياة قبائل الصحراء • فيقول البكرى :

" ان بنى لمتونة ظواعن رحالة فى الصحراء مراحلهم مسيرة شهرين فى شهرين مابين بلاد السودان وبلاد الاسلام • ويصيفون فى موضع يسمى أمطلوس وآخر يسمى تاليين ليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا • أنما أموالهم الانعام وعيشهم من اللحم واللبن ينفد عمر أحدهم وما راى خبزا ولا أكله الا أن يمر بهم التجار من بلاد الاسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق " (١) •

وقد حمل هذا الوصف بعض الدارسين على الاعتقاد خطأ أن الملثمين بلغوا درجة من التوحش • والتفسير الصحيح لفهم هذا الوصف ان عالم الملثمين أتصف بصفات الخشونة التى أهلته للقيام بدوره التاريخى العظيم (٢) •

وقد كانت مادة البكرى تمثل بالنسبة للدارسين الى عهد قريب أوثق المصادر من أصل المرابطين وكيف نشأوا (٣) • لانها أوضحت المنبع الاول للمرابطين من قبائل صنهاجة برئاسة محمد المعروف بتارشنى (٤) وذكر البكرى قبائل صنهاجة

---

(١) المغرب ص ١٦٤ •

(٢) شميره : المرابطون تاريخهم السياسى • ص ١٤ القاهرة ١٩٦٩ م •

(٣) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١٤٧ •

(٤) اختلف المؤرخون فى اسمه فذكر البعض تارشنا بالتاء (ابن الخطيب اعمال الاعلام ص ٢٢٦ القسم الثانى) وسماه البعض نارشت (ابن خلدون : العبر ج ٦ • ص ٣٧٣) وسماه البكرى تارشنى •

ولمتونة وجداله وقيام الحلف بينهما الا أن محمدا المعروف بتارشنى توفى كما يشير البكرى فى موضع يقال له نفتاره من بلاده السودان فانتقلت الرئاسة بوفاة محمد هذا الى قبيلة جداله برئاسة يحى بن ابراهيم الجدالى ويذكر البكرى أن ديار هذه القبائل تجاور ديار السودان (١) .

ويحدثنا أبو عبيد البكرى عن بداية حركة المرابطين وسفر يحى بن ابراهيم للحج وبعد أن قضى الفريضة تجول فى المراكز الثقافية فى المغرب طلبا للتقوى الدينية على يد فقيه القيروان على أساس مذهب مالك فقد كان من عادتهم الجمع بين الحج مقرونا بطلب العلم (٢) . وقابل فى القيروان الفقيه أبا عمران الفاسى وقد اكتشف أبو عمران الفاسى جهله بالدراسات الدينية ووجد عنده الرغبة فى التعلم فيذكر البكرى : " أن رئيسهم يحى بن ابراهيم من بنى جداله حج فى بعض السنين ولقى فى صدره عن حجه الفقيه الفاسى فسأله أبو عمران عن بلده وسيرته وما ينتحلونه من المذاهب فلم يجد عنده علما بشئ الا أنه رآه حريصا على التعلم صحيح النية واليقين " (٣) . وهذا النص يعطى تفسيرا جديدا لاحداث التاريخ اذ ينفى الاعتقاد بأن طلب يحى لاحد علماء الدين كان هدفا مسبقا ليحى بن ابراهيم

---

(١) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٦٤ .

(٢) شعيره : دولة المرابطين ص ٢٣ .

(٣) البكرى : نفس المصدر ص ١٦٤ــ ١٦٥ .

ولكنه تفكير وقتي نشأ من مقابلته لابي عمران الفاسي وعندما اكتشف أبو عمران جهل يحي بحلم الدين سأله : " ما يمنعكم من تعلم الشرع على وجهه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال له لا يصل الينا الا معلمون لا ورع لهم ولا علم بالسنة عندهم يرغب الى أبي عمران أن يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويقيم احكام الشريعة عندهم " (١) .

وقد حاول أبو عمران الفاسي أن يرسل أحد علماء القيروان ولكنه لم يفلح في ذلك " فلم يجد أبو عمران فيمن رضيه من يجيبه الى السير معه فقال له ابو عمران أني قد عدمت بالقيروان بغيتكم " (٢) ولم يرد في نص البكري أية اشارة توضح أسباب فشل ابي عمران الفاسي في الحصول على عالم من أهل القيروان يسافر مع يحي الى قومه وقد حاول الدارسون تحليل رفض علماء القيروان الذهاب مع يحي الى قومه بحجة مواطن لمشونة عن بلاد القيروان (٣) وتشير مادة البكري الى ان أبا عمران الفاسي قد

---

(١) و(٢) البكري : المصدر السابق ص ١٦٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٦٩٢ .

إختار له فقيها مستقرا بملكوس اسمه وجاج بن زلوى ووجهه للذهاب اليه يقول البكرى : " قال له أبو عمران إننى قد عدمت بالقيروان بغيتكم وأما بملكوس فقيها حازقا ورعا قد لقينى وعرفت ذلك منه يقال له وجاج بن زلوى فمر طيه فربما ظفرت عنده ببقيتك فجعل ذلك يحيى بن ابراهيم اوكد همه " (١) فسار يحى بن ابراهيم الى الفقيه " فنزل به وعلمه ما جرى له مع أبى عمران " (٢) واختار الفقيه زلوى عبد الله بن يس للقدوم مع يحى بن ابراهيم . واستمرت نصوص البكرى تكشف عن دور ابن يس بعد اختياره وذهابه مع يحى ، وقد بدأت نصوص البكرى بداية غير دقيقة حين اشارت الى أن ابن يس غزا " لمتونة " بعد أن اجتمع اليه سبعون رجلا من جداله وهذا لا يتفق مع المنطق بجانب انه لا يتفق مع المصادر التى اوردت الخبر . يقول البكرى : " فاجتمعوا للتعلم منه والانقياد له فى سبعين رجلا فغزوا بنى لمتونة وحاصروهم فى جبل لهم فهزموهم " (٣) . فلا يعقل أن يغزو ابن يس قبيلة لمتونة بأس وحدة جيشه سبعون رجلا . والمصادر الاخرى تذكر روايات مخالفة ، فتشير الى

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

أن اعدادا كبيرة اجتمعت بجوار السهمين رجالا وهؤلاء السهمون يمثلون الفقهاء[1] واذا اعتبرنا أن البكرى قصد بالاشارة الى السهمين جماعة الفقهاء ، وهو ما يتفق مع بقية الروايات ، فسوف تسلم مادته هنا من الضعف ، وقد استطاعت جدالة أن تهزم لمتونة وتضمها الى دعوة عبد الله بن يس[2] ، وبهذا اختتم البكرى الحديث عن حياة يحى بن ابراهيم ، وأشار الى خلفه يحى بن عمر ، ولكن شيوخ لمتونة قاموا بثورة ضد عبد الله بن يس ، ويرجع المؤرخون أسباب تلك الثورة الى دعوة عبد الله بن يس الاصلاحية التى وقفت امام المنكرات والمحذورات التى اعتادت عليها قبائل لمتونة[3] ويضيف البكرى سببا آخر وهو أن أحد شيوخهم الجوهر بن سكم[4] ومعه اثنان من شيوخهم يسمى احدهما ايارو والآخر اينتكو اكتشفوا أن عبد الله بن يس يتمتع بالجهل فى معرفته لاحكام الدين ، يقول البكرى : " ومما يحفظ من جهل ابن يس

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب ، ج ٤ ص ٨ ، بيروت ١٩٦٧.
(٢) البكرى : نفس المصدر ص ١٦٥.
(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٢٧.
(٤) ذكر ابن عذارى ان اسمه الجوهر بن سحيم . انظر البيان المغرب ج ٤ ص ٨.

أن رجلا اختصم اليه مع تاجر غريب هدد هم فقال التاجر فى بعض مراجعته لخصمه حاشا لله أن يكون ذلك فأمر عبد الله بضربه وقال لقد قال كلاما عظيما وقسولا شنيعا يوجب عليه أشد الادب . وكان بالحضرة رجل قيرواني فقال حكاية عن النسوة اللاتى قطعن أيديهن فى قصة يوسف حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فرفع الضرب عن ذلك الرجل " (١) . يضاف الى هذا الجهل القسوة والخطأ فى تطبيق الاحكام وقد أفرد البكرى عنوانا خاصا بذلك سماه " ما شذ فيه عبد الله بن يس من الاحكام " . ومما جاء تحت ذلك العنوان : " اذا دخل رجل فى دعوته وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له قد أذنبت ذنوبا كثيرة فى شبابك فيجب أن يقام عليك حدودها وتطهر من اثمها فيضرب حد الزانى مائة سوط وحد المفترى ثمانين سوطا . وحد الشارب مثلها وربما زيد على ذلك " (٢) .

ويذكر البكرى أن هذه القسوة جعلت بعضهم يؤدى الصلاة بدون وضوء خوفا من ابن يس يقول البكرى : " واكثر عوامهم يصلون بغير وضوء اذا اعجلهم الامر جزعا

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ١٧٠ .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٩ .

من الضرب " (١) .

وقد ترتب على هذه القسوة أن قور بنو جدالة عزل عبد الله بن يس . يقول البكرى : " نقموا عليه أشياء يطول ذكرها وكأنهم وجدوا فى أحكامه بعض التناقض فقام عليه فقيه منهم كان اسمه الجوهر ابن سكم مع رجلين من كبرائهم فعزلوه من الرأى والمشورة ، وقبضوا منه بيت مالهم ، وطردوه وهدموا داره ، وانتهبوا ما كان فيها من أثاث " (٢) .

ويشير البكرى فى مادته الى أن ابن يس توجه بعد طرده الى شيخه وجاج وشرح له ما كان من امر جداله معه ، فقام وجاج بمعاتبة شيوخ جداله (٣) . ولعل اختيار وجاج لشكوى شيوخ جداله يدل على صلاتهم العلمية به وتأثيره عليهم ، وعند رجوع عبد الله بن يس اليهم ، واصل قسوته وقتل منهم اعدادا كبيرة ، فأجابته جميع قبائل الصحراء ودخلوا فى دعوته وضموا اليهم قبيلة لمطة ، وتتضمن مادة البكرى عن دولة المرابطين بعض الاشارات من خروجهم من الصحراء الى درعه وسجلماسة وقد كانتا تحت طاعة أمراء زناته المغراويين ، وكان اميرهم مسعود بن وانوديين (٤)

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٩ .

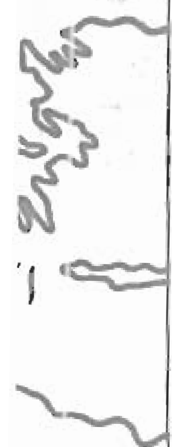
(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ١٣ .

ووصفه لحروبهم يكشف عن شجاعة المرابطين النادرة ، يقول البكرى : " وأول ما أخذ من البلاد المخالفة لهم درعه ولهم فى قتالهم شدة وجلد وليس لغيرهم ، وهم يختارون الموت على الانهزام ، ولا يحفظ لهم فرار من زحف ، وهم يقاتلون على الخيل والنجب ، وأكثر قتالهم رجاله صفوفا بأيدى الصف الاول القنا الطوال للمداعسة والطعان وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق " (١) ، ويقدر البكرى حجم الجيش الذى هاجم سلجماسة بأن عدده يساوى ٣٠ ألف جملا مسرجا ، وهذا يدل على أسلوب الدقة التاريخية عنده ، لان غيره من المؤرخين يميلون الى التحديد بالوصف المبهم ، فيصفون الجيش بالكثرة (٢) دون تحديد للعدد ونسبة لشيوع هذه الظاهرة عند البكرى فان ذلك يدل على دقة تقاريره (٣) .

وبعد رجوع عبد الله بن ياسين من سجلماسة خرجت على المرابطين ، فأعلن عبد الله بن ياسين الحرب عليها ، ولكن قبيلة جدالة لم تستجب لطلبه " فغدر أهل سجلماسة بالمرابطين فى المسجد ، وقتلوا منهم عددا ، وتواترت رسلهم على عبد الله بن ياسين أن يرجع اليهم بالعساكر فقد بعبد الله المرابطين الى غزو زناتة

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٦٦ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٦٧ .
(٣) البكرى : المصدر السابق ص ١٦٧ .



الدوا

ال

المشرق[1] ، ومن بين الوثائق التي تيسر له الاطلاع عليها رسالة عن تاريخ دولة برغواطة[2] عثر عليها في مكتبة الحكم المستنصر اذ جرى الواقدون من العلماء على قصر الخلافة في قرطبة على كتابة رسائل عن تاريخ بلادهم ، لتصبح مرجعا للباحثين عن تاريخ تلك البلاد ، وذلك بتشجيع من الحكم المستنصر[3] وكان البكرى أحد أولئك العلماء الذين استفادوا من مكتبات قرطبة وغيرها[4] وحفظ لنا البكرى في مؤلفه تلك الوثيقة الرسمية التي أخبر بها أبو صالح زمور ابن موسى بن هشام البرغواطي ، عن تاريخ بلاده ، وترجمها أبو موسى عيسى بن داود الداسى للحكم المستنصر ، وكان زمور الذى أخبر بتاريخ تلك الدولة رسولا من قبل صاحب برغواطة أبى منصور عيسى

---

(١) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب الجغرافى العربى ج ١ ص ٢٧٦ .

(٢) هى احدى دول البربر الخارجة على الدين وبسبب هذا المروق دخلت فى صراع مع الادارسة والمرابطين والموحدين وغيرهم وقامت هذه الدولة فى تامسنا على ساحل المحيط الاطلسى من الرباط الى ما وراء الدار البيضاء حتى مصب وادى ام الربيع .

(٣) الغنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ص ٨٧ .

(٤) البكرى : المسالك والممالك " جغرافية الاندلس واوربا " انظر المقدمة ، الناشر ص ٤٢ ، بيروت ١٩٦٨ م .

قال : وان انتزطينا منكر انتحالهم من ملوك الاسلام ، فنقول انما اتينا بهم حسبما اقتضاه انجرار الكلام " (١) .

غير أن البكري لم يتحفظ ، حين ذكرهم كابن الخطيب ، فذكر تلك الدولة فـي مكانها ، من كتابه المسالك والممالك (٢) ، لانها — على قوله — بدأت على هـدى الدين الاسلامي ثم أنحرف باقي حكامها عن الاسلام ، فأول ملوك هذه الدولة ، علـى ما يذكر البكري ، هو طريف بن شمعون بن يعقوب بن اسحاق ونشأت علاقات طيبة بينه وبين ميسرة المطغري الزناتي الملقب بالحقير ، والذي كان على مبادىء الخوارج الصفرية وقاد ثورة ضد الخلافة الاموية بسبب حقده على عمال بني أمية في المغرب بعـد أن فشل في شكواهم لهشام بن عبد الملك فانضمت اليه برغواطة بزعامة طريف ، وبقـي طريف على علاقة حسنة بميسرة حتى قتل ميسرة (٣) . وكان طريف على ديانة الاسلام ولـم يخرج عن حدودها الى أن هلك (٤) وقد خرجت دولة برغواطة عن تعاليم الاسلام بعـد

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ١٨٠ تحقيق احمد مختار العبادي — الـدار البيضاء سنة ١٩٦٤م .
(٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣٤ .
(٣) مؤنس : فجر الاندلس ص ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، القاهرة ١٩٥٩م .
(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣٥ .

وفاته في ذلك حين قام بأمرها صالح بن طريف وادعى النبوة »[1] .

ولم تبلغ رواية ابن الخطيب عن دولة برغواطة مرتبة ذات أهمية تذكر ، فقد جاءت تحمل أخطاء كثيرة قللت من قيمتها التاريخية ، ولعل ذلك هو ما دعا الدارسين الى الاشادة برواية البكري ، فنص ابن الخطيب عن برغواطة جاء ناقصا ، لم يتضمن فترة حكم طريف أول ملوكهم[2] . فضلا عن احتوائه على أخطاء غير قليلة منها على سبيل المثال ، قوله : ان قبائل زناتة اجتمعت الى صالح بن طريف القائم بأمر تامسنا في عهد هشام بن الحكم[3] وهذا خطأ من الناحية الزمنية والمعقول أن يكون هشام بن عبد الملك[4] .

---

(1) البكري : المصدر السابق ص ١٣٥ .

(2) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٨٠ .

(3) تولى هشام بن الحكم ، الحكم سنة ٣٦٦هـ ، سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ص ٤٢٥ ، ترجمة عفيف البعلبكي ، بيروت ١٩٦١م .

(4) تولى هشام بن عبد الملك الحكم سنة ١٠٥هـ - ١٢٥هـ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ص٣ ٢٥ ، القاهرة ١٩٤٨م .

وتذكر الرواية أن ميسرة أستوزر صالح بن طريف ، وهذا خطأ لان صالحا كان صغيرا على أيام ميسرة ، ولم يرق الى درجة الوزارة [١] ، فرواية ابن الخطيب بها خلط كثير يقلل من قيمة الاعتماد عليها .

اما رواية ابن عذارى عن دولة برغواطة فانها تقوى الحجة فى جعل البكرى مصدرا مهما له الصدارة فى اثراء تاريخ تلك الدولة ، فابن عذارى يعتمد اعتمادا كبيرا على مادة البكرى ويعترف بذلك فى مقدمة كتابه [٢] .

وعلى الرغم من أن كتاب البيان المغرب لابن عذارى ، يعالج موضوعات تاريخية خالصة ، على حين أن البكرى من أصحاب الموسوعات الذين يجمعون بين التاريخ وغيره الا أنه أولى تاريخ برغواطة عناية اكثر . لكن ابن عذارى أتى بالنص فى صورة مشوهة مبتورة ، ومع ان ابن عذارى مؤرخ وغير برغواطة أدخل فى موضوع التاريخ الا أنه لم يوفه حقه ولكن أبا عبيد البكرى أدرك أهميته بحسه العلمى المرهف فأتى به كاملا فأدى الى تاريخ المغرب بذلك خدمة لها قدرها [٣] .

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٥ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب ج ١ ص ٢ ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧

(٣) مؤنس : نفس المصدر ص ١٤٦ .

ولما كان البكرى قد انفرد بتفاصيل وافية عن دولة برغواطة فسوف نحاول تنظيم مادته وتحليل بعض نصوصها للكشف عن أهميتها ، وقد أمكن تقسيم مادة البكرى عن دولة برغواطة الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول :

يتناول دراسة مرحلة التشريع لدعوة برغواطة .

القسم الثانى :

يعالج مرحلة اخفاء دعوة برغواطة .

القسم الثالث :

يتحدث عن نشر دعوة برغواطة والجهر بها ، وقد سبقت الاشارة هنا الى أن البكرى يعتبر " طريفا " أول ملوك برغواطة ورأس الدولة [1] أما ابن الخطيب فيبدأ بالحديث عن صالح بن طريف ويعتبره رأس الدولة البرغواطية [2] ، والخلاف بين

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٥ .
(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٨٠ .

المؤرخين فى نظرتنا شكلى ، معه أن ابن الخطيب يؤرخ لدولة برغواطة بعد انحرافها عن تعاليم الاسلام • والبكرى يؤرخ لها منذ أن كانت على دين الاسلام وكلاهما صادق فى مذهبه بحسب الاعتبار الذى بنى عليه حديثه عن نشأة الدولة •

أما ابن عذارى فيبدأ من حيث بدأ البكرى لان مادته مأخوذة من البكرى[1] وما يقال عن هذه المرحلة الاسلامية من عمر الدولة • وهى المرحلة التى سبقت مرحلة التشريع • ان طريفا كان ذا علاقة حسنة مع ميسرة الحقير الذى تزعم مذهب الصفرية من الخوارج • ثم بدأت مرحلة التشريع من عمر دولة برغواطة بعد فترة طريف•

وقد أشار البكرى فى هذه المرحلة الى أن طريفا ترك اربعة من الاولاد تولى الامر منهم ابنه صالح • وتعطينا نصوص البكرى مجموعة من الحقائق التاريخية حول شخصية صالح بن طريف ، ومنها أنه بدأ ينحرف بالدولة عن تعاليم الاسلام • وتنبأ فى قومه • وادعى أن القرآن نزل عليه • ولما وجد أن اسمه يوافق صالح المؤمنين الذى ورد فى سورة التحريم • ادعى بأنه هو صالح المؤمنين المقصود • يقول البكرى : " تنبأ فيهم وادعى انه نزل عليه قرآنهم الذى يقرأونه الى اليوم قال زمور وهو صالح المؤمنين الذى ذكره الله عز وجل فى قرآن محمد عليه السلام فى سورة التحريم " [2] .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٢٢٣ •

(٢) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٥ •

ومنهم من نص البكرى أن صالحا جاهر بدعوته بين خواصه الذين أطلعهم إليهم وهى لم تزل فى مهدها ، ومنع أولاده من المجاهرة بها حتى يصلوا مرحلة من التمكن وكل ما يملكه صالح حين جاهر بتلك الدعوة هو أنه من أهل العلم والخير[1] . بيد أن تلك المجاهرة المذكورة عند البكرى لم تشمل أفراد أسرته وأتباعه ، بدليل أنه كان يظهر الاسلام والزهد والورع ، ووسع من نطاق الدعوة عندما استهوى البربر بالحيل والسحر لدرجة حملهم على الاعتراف بولايته[2] .

وتوضح مادة البكرى أن صالحا هو الشخص الذى شرع لهم أصرية عوتهم ، يقول البكرى : " فتنبأ فيهم وشرع لهم الديانة التى هم عليها الى اليوم "[3] وتحتاج مادة البكرى عن دولة برغواطة الى تنظيم فى بعض أجزائها ، فنلاحظ أن بها تقديما وتأخيرا فى الاحداث أضر بترتيبها ، فمثلا نجده يشير الى خروج صالح بن طريف الى المشرق ، ثم يذكر لنا التعاليم التى شرعها صالح لقومه ، والواقع خلاف ذلك ، لان رحلة صالح ابن طريف الى المشرق بدأت بعد أن أصدر تعاليمه لقومه من برغواطة بعشر سنوات

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٨٠ .

(٣) البكرى : المصدر السابق ص ١٣٥ .

البكرى عن ديانة برغواطة أكثر تفصيل اذا قورن بما كتبه بعض الكتاب الآخرين ، من هذه الديانة لتركيزهم على بيان شجاعة برغواطة وصفاتها فى اختصار شديد[1] ونظرا لكثرة التشريعات التى نسبها البكرى الى صالح بن طريف فقد أطلقنا على هذه الفترة من عمر الدولة اسم مرحلة التشريع ، وتمثل تلك التشريعات القواعد التى تعتمد عليها الدولة ، ويلتزم بها أفرادها ، ونلخص هنا بعض ما ذكره البكرى عن تلك التشريعات .

فقد جاء من بين تلك التشريعات الاقرار بنبوة صالح ونبوة أولاده من بعده ، وأن كلامه وحى من الله ، والفطر فى شهر رمضان ، وايقام خمس صلوات فى الليلة ، وخمس صلوات فى اليوم ، وتضحيتهم فى اليوم الحادى عشر من المحرم ، وتتصل بعض تشريعات صالح بالوضوء ، وطريقته ، والاحرام ، والتسليم ، والجمعة ، والزكاة ، والزواج ، والسرقة ، والزنا ، والكذب ، والاكل .

يقول البكرى : " وأما هذا الضلال الذى شرع لهم فانهم يقدمون مع الاقرار بالنبيين الاقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الامر من ولده ، وان الكلام الذى أتاهم وحى من الله لا يشكون فيه تعالى الله عن ذلك ، وصوم رجب ، وأكل شهر رمضان وخمس صلوات فى اليوم وخمس صلوات فى الليلة ، والتضحية فى اليوم الحادى عشر

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٢ ـ ٨٥ ، القسم الاول ، طبعة ليدن ١٩٣٨ م .

من الحرم وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة ، وغسل الوجه ، ومسح الرأس ثلاث مرات ، ومسح الاذنين كذلك ، ثم الرجلين من الركبتين وصلواتهم ايماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين ... الخ " (١) .

ويكشف البكرى فى تقريره المفصل عن ديانة برغواطة عن اسماء السور التى ألفها صالح بن طريف ، فبينما يكتفى مؤرخ مثل لسان الدين بن الخطيب بمجرد الاشارة المقتضبة لتلك السور بقوله " ووضع لهم سورا بلغت ثمانين سورة " (٢) ، نجد البكرى كذلك يعطى تفصيلا وافيا عن تلك السور ويفصل القول عنها قائلا : " وقرآنهم الذى وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سورة أكثرها منسوبة الى اسماء النبيين من لدن آدم ، أولها سورة أيوب وآخرها سورة يونس وفيها سورة فرعون وسورة قارون وسورة هامان ، وسورة ياجوج ، وسورة ماجوج ، وسورة الدجال ، وسورة العجل ، وسورة هاروت ، وسورة ماروت ، وسورة طالوت ، وسورة نمرود ، وما أشبه هذه الاقاصيص وسورة الديك ، وسورة الجمل ، وسورة الجراد ، وسورة الحنش ... الخ " (١) .

---

(١) المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٣٩ .
(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٨٠ .
(٣) البكرى : المصدر السابق ص ١٤٠ .

ولا يقف البكري عند ذكر الاسماء فقط بل يأتي لنا بنماذج من تلك الصور يقول البكري : " ذكر كلمات مترجمة من أول سورة أيوب وهي استفتاح كتابهم بسم اللـــه الذى أرسل به الله كتابه الى الناس هو الذى بين لهم به أخباره قالوا علم أبليمس القضية أبى الله ليمر بهايق ابليمركما يعلم الله سل أى شئ يغلب الالسنة غمس الاقولة ليمر بغلب الالمن فى الاقولة الا الله بقضائه باللسان الذى ارسل الله بالحق الى الناس استتام الحق انظر محمدا وعبارة ذلك بلسانهم ايمنى ما مت بها مت محمد كان حين عاش استتام الناس كلهم الذين صحبوه حتى مات فسد الناس كذب من يقول ان الحق بمستقيم وليمرثم رسول الله وهى صورة طويلة" (١) .

والخلاصة أن هذه النصوص استخلصناها من مادة البكري لنكشف بها تفوق البكري بتفاصيله الوافية على غيره من المؤرخين فى وصفه لمرحلة التشريع من عمر دولة برغواطة ، فقد اكتفى المؤرخون الذين شاركوه فى الكتابة عن هذا الجانب باشارات مختصرة عن تلك المرحلة .

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٤٠ .

أما المرحلة الثانية من عمر دولة برغواطة وهي مرحلة اخفاء الدعوة ، وقد استمرت هذه المرحلة كما يذكر أبوعبيد البكرى خمسون عاما ، لان صالح بن طريف علم ان السنة أن تعاليمه تحتاج الى وقت طويل حتى يمكن قبولها ، لانها تخالف ما ألفه الناس وخاف أن يقضى على أولاده بسبب تلك التعاليم ، فطلب الى ولده الياس الذى ولى الامر بعد خروج والده الى المشرق أن يكتم دعوته وأن يحفظ علاقته بالمروانية ملوك الاندلس ، يقول البكرى : " فتولى الياس بعد خروج أبيه يظهر ديانة الاسلام ويسر الذى عهد اليه به أبوه خوفا وتقية ... الى أن هلك بعد أن ملك خمسين عاما " (١) . وقد اتصف الياس كما يصوره البكرى بصفات الداعية الذى يرغب فى كسب الناس : " كان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشيء من الدنيا " (٢) .

وقد اعتنى والد الياس به أشد عناية لانه خليفته الاول وحتى يمكن أن يتحمل مسئوليات الدعوة بعده ، " علمه شرائعه وفقهه فى دينه " (٣) . وقد ترك صالح أربعة وصايا وهى أولا : سرية الدعوة وكتمانها . ثانيا : اظهار الدعوة فى مرحلة القوة والامن ، وقتل جميع من يخالفها . ثالثا : موالاة أمراء الاندلس المروانيين .

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٦ .

رابعا : أخبر بأنه المهدى وأنه سيعود فى دولة السابع من ملوكهم ، وقــد أورد البكري الوصايا الاربع فى نصه ولكن الياس لم يستطع تنفيذ الوصية الثانية وهى قتـال المخالفين له لانه قضى فترته يدعو سرا لكسب الناس ، وقد نجح فى جمع رصيد كبير من الانصار تقوى بهم خليفته من بعده وبدأ بهم اظهار الدعوة البرغواطية والمباشرة بها ٠

ثم بدأت بعد ذلك المرحلة الثالثة من عمر دولة برغواطة وهى مرحلة نشـــر تعاليم صالح بن طريف جهرا ، وتعتبر فترة يونس بن الياس من أهم الفترات فى عصـر تلك الدولة ، لانه جاهر بالدعوة الى تعاليم صالح بن طريف وقد اهتم أبو عبيـــد البكري بفترة يونس بن الياس ولم يقصر الحديث عنها على مصدر واحد بل أضاف الـى رواية زمور رواية أخـــرى لابى العباس فضل بن مفضل ، وجمع البكرى بين معلومـات المصدرين ، وقد اعطى تعدد المصادر ميزتين لمادة البكرى احداها كثرة التفاصيـل وشمولها ، وثانيهما : دقة المعلومات وصحتها ٠

وتتضح الميزة الاولى بمقارنة ما كتبه البكرى بنصوص المؤرخين الذين شاركوا فـى تلك المعلومات مثل لسان الدين ابن الخطيب وابن عذارى ٠

اما دقة مادة البكرى فمصدرها أنه اعتمد على وثيقة تاريخية سجلها أحد أفـراد قبيلة برغواطة ، وهى بذلك تصحح الاخطاء التى وردت فى ابن عذارى ولســـان

الدين بن الخطيب فضلا تسجل الوثيقة أن ولاية يونس بن الياس استمرت ٤٤ سنة [١] بينما يكتبها ابن عذارى ٤٠ سنة [٢] ويكتبها ابن الخطيب ١٩ سنة [٣] .

وتمتاز رواية البكرى على لسان الدين بن الخطيب ايضا فى التعريف بشخصية يونس قبل المجاهرة بدعوته ، فيذكر البكرى أصله ، ورحيله الى المشرق ، خبراته التى اكتسبها فى حياته فى علم النجوم والكهانة ، وهى معلومات لم ترد عند لسان الدين ابن الخطيب وابن عذارى .

يقول البكرى : " أن يونس القائم بدين برغواطة أصله من شذونه من وادى بربط وكان قد رحل الى المشرق فى عام واحد مع عباس بن ناصح ويزيد بن سنان الزناتى صاحب الواطلية ويرغوث بن سعيد الترارى وجد بنى عبد الرازق يعرفون ببنى وكيل المنصرية ، وشاد صاحب المنادية المنسوب اليه القلعة المعروفة بالمنادية قريبا من سجلماسة وآخر ذهب عنى اسمه فأربعة منهم فقهوا فى الدين وادعى ثلاثة منهم النبوة ومنهم يونس صاحب برغواطة " [٤] .

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١٨٤ .

(٤) البكرى : المصدر السابق .

ويشرح البكري في نصوصه التي انفرد بها العوامل التي شجعت يونس على نشر دعوته وقد استطاع يونس أن يخدع تلك القبائل بعد ان اكتشف جهلها بالكهانة والفلك يقول البكري: " فلما رأى جهلهم استوطن بلدهم ، وكان يخبرهم بأشياء تحمل كثيرها مما تدل عليه النجوم عندهم ، فتكون على ما يقول أو قريبا منه ، فعظم عندهم فلما رأى ذلك منهم وعرف ضعف علومهم وسخافة عقولهم أظهر ديانته وادعى النبوة " (١).

واسم برغواطة كما يذكر البكري أطلقه يونس على قومه يقول البكري: " وهو من أهل برباط ، ولما كان من برباط ثم أحالوه بالعجمة وردوه الى لغاتهم فقالوا برغواطي " (٢).

وقد استمرت المجاهرة بدعوة برغواطة على يد خليفة يونس ابو غفير محمد بن يونس وقد اشتهر أبو غفير هذا بوقائعه الكثيرة مع البربر ، وتشير مادة البكري الى موقعة "تيمغسن" وموقعة " وادي بهت" وقد أورد البكري تفاصيل هامة عن تلك الوقائع كما أورد الشعر الذي يسجل حوادثها وهو مظهر هام في مادته التاريخية فنجده يستعين بالشعر كثيرا في تسجيل احداث التاريخ مثال ذلك ما أورده عن

---

(١) البكري: المصدر السابق ص ١٣٨ .

(٢) يقع وادي برباط في جنوب غرب الاندلس. ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص ١٨ .

واتهمة وادى بهت :

يقولون النبي ابو غفير
فاخزى الله ام الكاذبينا
ألم تسمع ولم تر يوم بهت
على آثار خيلهم رنينا
فليس اليوم رد لكم ولكن
ليال كنتم متيمنينا

ويستدل البكرى بالبيت الاخير على صلة برغواطة بميسرة المطغرى مؤيدا بذلك رواية زمور. يقول البكرى: "هذا البيت يصحح قول زمور البرغواطى أن طريفا كان من أصحاب ميسرة ويشهد له"(١).

ويتضح من مقابلة نصوص ابن عذارى بنصوص البكرى أن هناك تقاربا بينهما ، ولعل ذلك يرجع الى اعتماد ابن عذارى على البكرى ، غير أن الاختلافات تكثر بين البكرى ولسان الدين بن الخطيب، فقد اختلف البكرى مع ابن الخطيب فيمن تولى الامر بعد أبى غفير صالح بن يوسف ، فيجعله البكرى عبد الله ابو الانصار ووصفه

---

(١) البكرى : نفس المصدر، ص ١٣٨.

البكرى بالسخاء والشرف والوفاء بالعهد وحفظ الجوار ، كما أعطى وصفا لبعض صفاته الجسمية المميزة له وعاداته ولذلك وصف موته بالدقة ، يقول البكرى : " وسكنت حركته فهلك فى دعة اثنتين وأربعين سنة ودفن بأمصلاخت وبها قبره " (١) ، على حين يذكر لسان الدين بن الخطيب أن الولاية بعد أبى غفير كانت لعمر بن معاذ (٢) ، ولم يقف الخلاف بينهما عند هذا الحد بل اختلفا كذلك فيمن جاء بعده فيذكر البكرى أنه أبو منصور عيسى (٣) بينما يذكر ابن الخطيب أنه اليسع بن اسماعيل بن معاذ البرغواطى (٤) .

ونستنتج من كثرة الاختلافات بين المؤرخين انهما اختلفا فى المصادر ، فمصادر البكرى تخالف مصادر ابن الخطيب التى اعتمد عليها ، وتعتبر فترة أبى منصور عيسى بن أبى غفير من اهم الفترات فى حكم برغواطة ، فالبكرى يذكر بأنه السابع من ملوك برغواطة ، وقد وعد صالح بن طريف قومه بانه سوف يعود من المشرق فى عهد الملك السابع ، وانه سوف يملأ الارض عدلا ، يقول البكرى : " وعهد صالح .. وعهد بأنه ينصرف اليهم فى دولة السابع من ملوكهم وزعم أنه المهدى الاكبر الذى يخرج آخر

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٣٧ .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١٨٦ .

(٣) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٧ .

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٨٦ .

الزمان لقتال الدجال ، وأن عيسى بن مريم يكون من اصحابه ويصلى خلفه ، وانـه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا " (١) .

ومن أجل ذلك أوصى عبد الله أبو الانصار ابنه ابا منصور عيسى بن أبى غفير وقال له : " يا بنى أنت سابع الامراء من أهل بيتك وأرجو أن ياتيك صالح بن طريف كما وعد " (٢) .

وأشار البكرى فى ختام حديثه الى القبائل التى خضعت لحكم برغواطة ووقعت تحت سيطرتها ، وتنقسم تلك القبائل الى قسمين : قسم آمن بدعوتهم وليس له صلة بالاسلام . فذكرهم البكرى برواية زمور : " ان قبائل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم جراوة وزواغة والبرانس وبنو أبى ناصر ومنجصة وبنو أبى نوح واعمر ومطغرة وبنو يفرن وبنو دمر ومطماطة وبنو وزكسيت وعددهم ينتهى ازيد من عشرة آلاف فارس" (٣) .

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣٥ .
(٢) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٧ .
(٣) البكرى : المصدر السابق ص ١٤٠ ــ ١٤١ .

والقسم الآخر من القبائل تدين بالاسلام ولكنها غلبت على أمرها ووقعت تحت سيطرة برغواطة . يقول البكري : " ومن يدين لهم من المسلمين ويضاف الى مملكتهم زناتة الجبل، وبنو يليت وغالته وبنو واويسينت وبنو يفرن وبنو باغيث وبنو النعمان وبنو اغلاسه ، وبنو كونه ، وبنو يكر ، واصاده ، وركانه ، وايزين وبناده ، وما سينسه ، ورصانه ، وبرارته ، ويبلغ عددهم نحو اثنى عشر الف فارس" (١) .

ويظهر أن تلك القبائل كانت تخفي اسلامها اذ ان برغواطة كانت تقضي على كل من يخالفها ، وظلت على ذلك حتى خرج أحد أبطال تلك القبائل من قبيلة يفرن وهو تميم اليفرني وهزم برغواطة وانهى ضلالتهم ، يقول البكري : " لم تزل برغواطة في بلادها محلفة بدينها وبنو صالح من طريف ملوكها الى أن قام فيهم بالامر تميم اليفرني وذلك بعد عشرين وأربعمائة من الهجرة ، فغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم واستوطن ديارهم وانقطع امرهم وعفا آثارهم ولم يبق لضلالتهم باقية ولا من أواصر كفرهم اصره ، وتميم هذا كان ذاجد وايثار للعدل وهو الذي قتل أحد أبنية لاغتصابه جاريه من تجار وادى سله وجموع برغواطة اليوم على ملة الاسلام " (١) .

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ١٤١ .

دولة بني المدرار في سجلماسة :

أدى أبو عبيد البكري لتاريخ المغرب خدمة لها قدرها بحفظه لتاريخ دولـــة بني المدرار الصفرية بسجلماسة ، فقد أصبحت كتابته عن تلك الدولة معتمـــد الدارسين الأول في ابراز تاريخها ، فذكروا أن معلوماته عنها " نادرة ولولاها لظلـت تلك الدولة في طي الابهام " (١) .

ويلتزم البكري في عرضه لتاريخ بني المدرار بمنهجه في الربط بين وصف المكـان والاحداث التي دارت على مسرحه ، مع أنه قد شذ عن هذا المنهج في عرضه لتاريـخ دولة برغواطة المتقدمة الذكر ، ذلك أن مادته عن دولة برغواطة عبارة عن نصـــوص تاريخية بحتة لا تجد فيها أثرا للجغرافية والتفسير المعقول لهذا المسلك من جانب البكري اتباعه للمصدر الذي أخذ عنه وهي الوثيقة التي حصل عليها من مكتبـــة الحكم المستنصر لانه نقلها كما هي دون أن يعدل فيها .

اما أهمية المقدمة الجغرافية التي كتبها البكري عن دولة الخوارج الصفرية عـن بني المدرار حين وصف حاضرتهم سجلماسة انها تكشف عن طبيعة قيام هذه الدولـة في مكان ناء بعيد عن النفوذ العربي ، حتى لا تتعرض هذه الدولة الجديدة تالـــى

---

(١) محمد الرازقي : حركات الخوارج ، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة كلية الآداب

الحملات المكثفة التي تشنها الخلافة عليها ، وقد كشف لنا البكري عن الاسباب التي دفعت بني المدرار الى ترك مركزهم الاول بسبب ملاحقة الخلافة لهم وحملهم على الهجرة الى مكان يتوفر فيه عاملان : أولهما البعد المكاني عن مواطن الخطر من جيوش الخلافة . وثانيهما : توفر البيئة الطبيعية ووسائل العيش المستقر التي تمكنهم من اقامة دولتهم وكفلت المقدمة الجغرافية التي كتبها البكري بتوضيح هذين العاملين . فشرح العامل الاول وهو بعد سجلماسة فذكر أنها تمثل نهاية للعمران " ومدينة سجلماسة في أول الصحراء لا يعرف غربيها ولا قبليها عمران " (١) .

كما ذكر البكري في مقدمته الجغرافية ، العامل الثاني حين شرح وسائل العيش في سجلماسة وصلاحيتها للسكن والاستقرار من النواحي الصحية فاشار الى ذلك بقوله : " وليس بسجلماسة ذباب ولا يجذم من أهلها أحد ، واذا دخلها مجذوم توقفت عنه علته " (٢) .

وعرض البكري لموقع سجلماسة فهي على قراره محصورة بين فرعي نهر ملويــــه ، وكشف لنا أثر هذا الموقع في اقامـــة مجتمع زراعي تتوفر فيه عناصر الحيـــــاة المستقرة يقول البكري : " وهي على نهرين فصرهما من موضع يقال له أجلف تمـــده عيون كثيرة ، فاذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها ، وشـــرب

(١)(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٤٨ .

زروعهم من النهر فى حياض كحياض البساتين وهى كثيرة النخل والاعناب وجميع الفواكه " (١) ، وهذه الحقائق التى ذكرها البكرى توضح ان اختيار بنى المدرار لسجلماسة لم يكن عشوائيا ، ولكنه كان أمرا مدروسا لسابق معرفتهم بها ، فقد كان رأس دولة بنى المدرار يرتاد سجلماسة للرعى ، يقول البكرى : " وكان أبو القاسم سمغو بن واسول المكناسى أبو اليسع وجد مدرار ، صاحب ماشية وكثيرا ما ينتجع موضع سجلماسة " (٢) ، ولابد أن تكون هذه المعرفة السابقة قد كشفت لبنى المدرار عن مدى ملاءمة موضع سجلماسة مقرا لهم .

ويذكر البكرى فى مادته عن بنى المدرار ، تاريخ تأسيس مدينة " سجلماسة " وطبق على ذلك منهجه فى احصاء الروايات المختلفة حول الموضوع ، فيأتى بروايتين عن تأسيس المدينة ، تشير اولاهما الى أن أبا القاسم سمغو بن واسول واربعين من الصفرية انضم اليهم عيسى بن يزيد الاسود الذى قد أسسوا مدينة سجلماسة يقول البكرى : " وكان أبو القاسم سمغو بن واسول المكناسى ينتجع موضع سجلماسة فاجتمع اليه قوم من الصفرية ، فلما بلغوا أربعين رجلا قدموا على انفسهم عيسى بن يزيد الاسود وولوه أمرهم ، فشرعوا فى بنيان سجلماسة " (١) .

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٤٨ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٦ .

وقد نسب صاحب الرأى الاول تناقضا للبكرى حول ذكره لمدرار ، فاشار الى السهو الذى وقع فيه البكرى عندما نقل بعض الروايات التى تنسب سجلماسة سنة ٤٠ ١هـ الى مدرار بن اليسع مع أن مدرارا طاف ابتداء من سنة ٢٠٨هـ [1] . ولا نميل الى هذا الرأى لان البكرى لم يقصد هنا مدرارا بن اليسع ولكنه قصد أبا القاسم سمقو بن واسول ، فمدرار كما يقول البكرى لقب وليس اسما ولذلك يطلق هذا اللقب على رأس الدولة وسلالته من بعده [2] . وعلى هذا فلا يمكننا أن نقول ان مدرارا هو عيسى بن مزيد الاسود [3] ، لان عيسى اقصى عن الحكم وما زالت الدولة تسمى بدولة بنى المدرار فلو كان هذا الاسم خاصا بعيسى لتغير اسم الدولة تبعا لذلك والراجح أن يكون المقصود بمدرار هنا أبا القاسم سمقو بن واسول أول رئيس لدولة بنى المدرار وهو الذى عاش حتى بعد مقتل عيسى ، فولى الامر بعده وسمى ايضا بابى القاسم سمغو بن يزلان [4] .

---

(١) سعد زغلول : المرجع السابق ص ٤٠٣ .

(٢) البكرى : المغرب ص ١٥٠ .

(٣) سعد زغلول : المرجع السابق ص ٤٠٤ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب ج ١ ص ١٥٦ ، البكرى : المغرب ص ١٤٩ .

والخلاصة أن الروايات التى أوردها البكرى حول تأسيس مدينة سجلماسة تتفق جميعها على جعل أبى القاسم سمغو بن واسول مؤسسا للمدينة ، ولكنهما تختلف فى الطريقة التى حل بها أبو القاسم الى موضع سجلماسة ، فرواية تجعله راعيا جاء ليرعى الغنم فى مكانها ، ورواية ثانية تجعله حدادا يأتى ليبيع ما يصنعه من حديد بين قبائل البربر هناك ، ويؤكد البكرى أن أبا القاسم بن واسول كان حدادا بالفعل لان أولاده التائبين بأمر سجلماسة قد عيروا بذلك ويرجع مجئ أبى القاسم الى سجلماسة بدافع الرعى [١] .

وقد تابع المؤرخون رواية البكرى الاولى وأخذوا بها [٢] ، أما أول زعيم للصفرية من غير بنى المدرار فهو عيسى بن مزيد الاسود وأشار البكرى الى أن عيسى كان من اصحاب أبى الخطاب الذى عرفت به الاباضية [٣] وهذا يعنى أن زعامة الصفرية كانت فى بداية أمرها للاباضية ، ويمكن قبول هذه الرواية اذا تصورنا حسن العلاقة التى قامت بين الصفرية والاباضية فى تهيرت لدرجة ذكر فيها ابن خلدون ان سمغو بن واسول كان صفريا اباضيا [٤] .

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ١٤٩ .
(٢) ابن عذارى : نفس المصدر ج ١ ص ٥٦ .
(٣) الشماخى : سير علماء ومشايخ جبل نفوسه ص ١٢٣ .
(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٦ ص ١٣٠ .

كذلك يذكر البكرى ان العصبية التى قامت عليها دولة بنى المدرار ترجع فى الانتماء لقبيلة مكناسة [1] وهى من أهم قبائل البربر [2] . ولكن البكرى يشير الى أن أول زعيم لهم كان من غير قبيلة مكناسه ، ويمكن تفسير هذه الحقيقة التى ذكرها البكرى بما اورده المؤرخون عن رفض الخوارج للتفرقة العنصرية ، واجازوا امامة العبد الاسود اذا تمتع بما يؤهله لتلك الامامة [3] .

ويؤخذ على رواية البكرى فى شأن عيسى السودانى انها جاءت مختصرة فلم توضح الدور الذى قام به عيسى فى تاريخ الدولة ، ورواية لسان الدين بن الخطيب هنا اكثر أهمية من رواية البكرى ، اذ أشارت الى اعمال عيسى السودانى ودوره فى اقامة مجتمع زراعى لبنى المدرار بسجلماسة [4] ويذكر البكرى أن الصفرية قاموا على عيسى بن يزيد السودانى حين ذكر لهم امامهم ابو الخطاب سيئاته فقال : " ان السودان كلهم سراق حتى هذا ، واشار الى عيسى ، فاخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة فى رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض فسمى ذلك الجبل جبل عيسى الى اليوم " [5] .

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٤٩ .
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٦ ص ١٣٠ .
(٣) ابن خلدون المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٤ ، الشهرستانى : الملل والنحل ص ٨٧
(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١٣٩ .
(٥) البكرى : المغرب ص ١٤٩ .

ولا يمكننا تصديق رواية البكرى فى حرفيتها ، اذ ان وفاة أبى الخطاب كانت سنة ١٤٣هـ[1] ، بينما عزل عيسى السودانى سنة ١٥٥هـ[2] . ومقالة أبى الخطاب التى تسببت فى عزل عيسى السودانى تتنافى مع مبدأ المساواة ، ورفضها التفرقة العنصرية وهو المبدأ الذى وضعه الخوارج ، كأصل من أصولهم السياسية ، لان مدلول تلك المقالة لا يتعلق بعيسى السودانى كشخص ، وانما تعميم يتعلق بكل جنس السودان ، اذ تصف المقالة كل السودانيين بالسرقة ، وهذا يوضح الاتجاه الى نزعة عنصرية مال اليها بنو المدرار .

ومما يقوى هذه الفكرة التى أوردها البكرى أن الأمر بعد عيسى غدا وقفا على صفرية مكناسة فحسب ، ولم يقم بأمر سجلماسة سودانى بعد عيسى .

ويختلف البكرى مع لسان الدين بن الخطيب فيمن تولى الامر بعد عيسى فيجعله البكرى أبا القاسم سمغو بن مزلان بن نزول المكناسى[3] وهو أبو القاسم بن واسول[4] على حين يجعل ابن الخطيب أول من تولى بعد عيسى هو أبو الخطاب فنرجح هنا رواية البكرى على رواية ابن الخطيب لسببين :

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٧١ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) البكرى : المغرب ١٤٩ .

(٤) ابن عذارى : المرجع السابق ج ١ ص ١٥٦ .

أولهما :

أن أبا الخطاب توفي سنة ١٤٣ هـ[1] بينما عزل عيسى السوداني سنة ١٥٥ هـ[2] .

ثانيهما :

أن المؤرخين تابعوا البكري وأخذوا برأيه[3] والمعلومات التي أمدنا بها البكري عن شخصية أبي القاسم بن واسول تتلخص في أنه رأس الدولة ومؤسس مدينة سجلماسة ، وأنه كان يرعى الغنم وكانت له بجانب ذلك خبرة بالحدادة ويفهم من حديث البكري عن وفاته انه كان على قدر من التقوى والورع حيث انه مات في آخر سجدة من صلاة العشاء سنة ثمان وستين وكانت ولايته ثلاثة عشر عاما ورأى البكري هنا يخالف رأى ابن خلدون الذي جعل وفاة أبي القاسم سنة ١٦٧ هـ[4] وتبع ابن عذارى

---

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٧١ .

(٢) ابن خلدون ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ج ١٥٦/١ ، السلاوي ج ١ ص ١٢٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٣١ .

البكرى فى رأيـــه (١) .

وقد تولى اليسع بن أبى القاسم بعد وفاة والده أمر سجلماسة ، ويحـــــدد البكرى تاريخ ولايته فى سنة ١٦٨هـ الى سنة ١٧٤هـ ، وقد وقع ابن عذارى فـــى الخطأ حين اعتمد على مصادر أخرى غير البكرى ، فذكر أن نهاية حكم الياس كانـــت سنة ١٧٠هـ ، وظهر فى روايته غلط ، فقد ذكر أن وفاة اليسع الذى خلف الياس كانت سنة ٢٠٨هـ وصرح بأن سنوات حكمه كانت ٣٤ سنة غير أن الارقام التى سجلهـــا تدل على أن فترة حكم اليسع ٣٨ سنة ولايصبح رأيه صحيحـــا الا اذا اعتـــبر أن نهاية حكم الياس فى سنة ١٧٤هـ وهو ما عليه البكرى (٢) .

واليسع الذى سبقت الاشارة اليه هو الذى أعقب الياس وخلفه سنة ١٧٤هـ وقد عرف أبو عبيد البكرى بشخص أبى المنتصر اليسع فوصفه بأنه كان جبارا فظا غليظـــا وأخذ خمس معادن درعه ، واخضع قبائل البربر المحيطة بسجلماسة ، وغزا المذهب الصفرى حتى استفحل ملك بنى مدرار ، وأقام سورا لمدينة سجلماسة وشيد بالمدينـــة القصور وخزانات المياه (٣) .

---

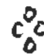
(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١٥٦ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٧
(٣) البكرى : المغرب ص ١٥٠ .

وقد تولى بعد أبى المنتصر اليسع ولده مدرار ووقع بعض الدارسين فى لبس حين ظنوا أن البكري قصد به مؤسس سجلماسة وقد سبقت مناقشة هذا الزعم .

ثم تولى مدرار الحكم سنة ٢٠٨هـ وتزوج مدرار كما يذكر البكرى بامرأتين احداهما أروى بنت عبد الرحمن بن رستم . والثانية تسمى بقية وله من كل زوجة ابن يسمى ميمون . ويصور البكرى الصراع الذى حدث بين الاخوين ليكشف لنا من خلاله طبيعة الخلاف المذهبى بين الاباضية والصفرية فابن الرستمية من الاباضية . وابن الثقية من الصفرية فمال مدرار مع ابن الرستمية ليحقق غرضين فى وقت واحد أولهما استمرار الخلافة فى ولده . ثانيهما المحافظة على الصلاة بينه وبين الرستميين . ولكن اهل سجلماسة الصفرية رأوا فى ذلك انحيازا للمذهب الاباضى فثاروا ضد ابن الرستمية الذى ولى الخلافة . وخلعوه واقاموا مكانه ابن التقية . فرفض والده أن يأتى والده الى الخلافة ولما جاء والده أراد أن يعيد ابن الرستمية الى الخلافة وشعر بذلك أهل سجلماسة فخلعوا ابن الرستمية وعدرارا وقبل ابن التقية ان يقوم بالامر بعد ذلك يقول البكرى فلم يزل مدرارا واليا الى ان اختلف الامر بين ولديه ميمون بن أروى . بنت عبد الرحمن بن رستم وابنه ميمون أيضا المعروف بابن تقية فتنازعا الامر بينهما وتقاتلا ثلاثة أعوام . ومال مدرار مع ابنه ميمون بن الرستمية فاخرج ميمون ابن ثقية من سجلماسة . وولى بن الرستمية وخلع اباه ثم قام عليه اهل سجلماسة فخلعوه وأرادوا تقديم ميمون بن ثقية فأبى أن يتآمر على أبيه فاعادوا أباه مدرارا ثم

أنس اهل سجلماسة أنه قد استدعى ابنه ابن الرستمية فيمن اطاعه من ذويه ليوليه فحاصروا مدرارا وخلعوه وقدموا ابنه ابن ثقية وهو المعروف بالامير فلم يزل عليهم واليا الى أن مات سنة ٢٦٣ هـ وفى أمره مات مدرار أبوه مخلوعا • (١) .

ويتابع البكرى حديثه عن دولة بنى المدرار وتطورها حتى زحف جوهر الصقلى فى خلافة المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٤٧ هـ الى سجلماسة حيث قضى على آخر أمراء بنى المدرار ، وهو محمد بن الفتح بن ميمون الملقب بالشاكر لله وكانت وفاته سنة ٣٥٤ هـ •




(١) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص • ١٥٠ •

الفصل الخامس

الفصل الخامس

منهج الكتابة التاريخية عند البكري
دراسة تطبيقية على دولة الادارسة

منهج الشرح عند البكرى ــ المنهج النقدى ــ ظهور روح النقد فى آثاره التاريخية ــ اشكال الكتابة التاريخية عند المسلمين ــ شكل الكتابة التاريخية عند البكرى ــ العلاقة بين الجغرافية والتاريخ فى آثار البكرى ــ الدقة فى رسم الاعلام التاريخية عند البكرى ، الاستعانة بالشعر العربى فى تسجيل أحداث التاريخ ــ اهماله للرحلة ــ ظاهرة الخلط التاريخى فى آثاره ــ ظاهرة الاساطير والخرافات عنده ــ نقد ابن خلدون للبكرى ــ تطبيق المنهج على مادته فى دولة الادارسة ــ تفسير اهماله لحركات العلويين الاولى ــ ظاهرة احصاء الروايات وتطبيقها ــ تفسير الاحداث التاريخية ــ ميله للاختصار ــ أسلوب البكرى ــ نصوص تطبيقية •

تمثل الدراسات التاريخية عند البكرى آخر مراحل النضج فى التأليف • فقد ابتدأ مؤلفاته بالدراسات اللغوية قبل أن يكتب فى التاريخ • وكان يسجل منهجه فى

مقدمة كل كتاب من كتبه وقد كان المنهج الذى ساد فى باكورة انتاجه اللغوى هو " منهج الشرح " ويتضح هذا المنهج من الاسماء التى أطلقها على تلك المؤلفات، فسمى كتابه الاول " سمط اللآلئ فى شرح الامالى " وسمى كتابه الثانى " فصل المقال فى شرح كتاب الامثال " ، وتوضح المقدمات التى كتبها فى بداية كل كتاب من تلك المؤلفات طريقة الشرح عنده ، فيقول فى مقدمة كتاب اللآلى فى شرح الامالى : " هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التى أملاها أبو على اسماعيل بن القاسم ما أغفل ، وبينت من معانى منظومها ومنثورها ما أشكل " (١) .

وتوضح مقدمة كتابه الثانى نفس المنهج يقول : " فانى تصفحت كتاب الامثال لابى عبيد القاسم بن سلام فرأيته قد اغفل تفسير كثير من تلك الامثال ، فجاء بها مهملة وأعرض أيضا عن ذكر كثير من اخبارها ، فأوردها مرسلة فذكرت من تلك المعانى ما اشكل ووصلت من تلك الامثال باخبارها ما فصل ، وبينت ما أهمل ، ونبهت على ما ربما أجمل " (٢) .

---

(١) البكرى : سمط اللآلى فى شرح الامالى . المقدمة ص ٤ ، تحقيق الميمنى ، القاهرة ١٩٣٦م .

(٢) البكرى : فصل المقال فى شرح كتاب الامثال . مقدمة البكرى ص ٣ تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور احسان عباس ، الخرطوم سنة ١٩٥٨م .

والخلاصة أن البكرى بدأ حياته فى التأليف بمنهج الشرح لمؤلفات الغير.

ولقد تطور منهج البكرى فى التأليف بعد أن زادت خبراته واستطاع أن يتخلص من شرح المؤلفات ويحاول نقدها ، فأصبح له من تلك المؤلفات موقف آخر ، وهو موقف الناقد ، وليس موقف الشارح ، فألف كتاب " التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه " وهو كما يظهر من عنوانه عبارة عن تتبع لأخطاء أبى على القالى ونقده [1] ، وزادت خبرات البكرى العلمية عندما جمع الى تلك الدراسات اللغوية عددا من الدراسات الاسلامية ، حين أتيحت له فرصة الاتصال بالفقيه ابن عبد البر ، ثم أراد البكرى أن يؤكد منهج النقد العلمى فى فرع آخر من العلوم ، وهو ميدان الجغرافية والتاريخ ، فالدارس لكتاب المسالك والممالك يلاحظ أمثلة كثيرة لهذا النقد ، نذكر هنا بعض نماذج منها ونأخذ على سبيل المثال نموذجا له عن تأسيس مدينة طرابلس ، فنجده يورد روايتين حول تأسيسها ويرجح احدى الروايتين على الاخرى [2] ، وتتدخل أيضا ثقافته اللغوية فيورد الرأى الضعيف عنده بالنص " قيل " مثلما نحل عند حديثه عن هجوم أبى عبد الله الشيعى على ابراهيم بن الاغلب

---

(١) التنبيه على اوهام ابى على فى اماليه ص ١٥ .

(٢) البكرى : المغرب ص ١٤٩ .

فى مدينة لوس[1] وإذا رأى أن يرجح رأيا على آخر نجده يدعم رأيه بالادلة المؤيدة لمذهبه وروايته ٠

فقد اختار مثلا بيتا من الشعر لسعيد بن هشام المصمودى ليؤيد به رواية زمور البرغواطى التى تشير الى علاقة برغواطة بميسرة المطغرى[2] والعبارات التى تدل على روح النقد التاريخى كثيرة وشائعة فى كتاب المسالك والممالك مثل قوله " الاول أصح " " وهذا يؤيد قول كذا " " وقيل كذا " " وهذا غير ما ذكره المؤرخون " ٠

ومن مظاهر الكتابة التاريخية عند أبى عبيد البكرى أنه يعلق على الحقائق التاريخية فى أكثر الاحيان ٠ ولا يقف عندها موقف المتفرج ٠ ونورد هنا نموذجين لهذا الاتجاه عنده :

الاول عن المعركة التى انتصر فيها حسن الحجام[3] على موسى بن أبى

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٤٦ " زحف اليها ابو عبد الله الشيعى ٠٠٠ وقيل أنه قتل داخل المسجد ثلاثين ألفا " ٠

(٢) نفس المصدر ص ١٣٨ ٠

(٣) قاد ثورة ضد ريحان الكتامى الذى أقامه صالح بن حبوس على فاس وقد استولى الحجام على فاس وملكها عامين سنة ٣٠٩ هـ (معالم المغرب الكبير ص ٤٨٥) ٠

العافية[1] نجد أن سجلها البكرى طقطيها بقوله : " لم يكن بالمغرب بعد دخول ادريس[2] فيه أعظم منها أنجلت عن أزيد من ألفى قتيل " [3] تكشف البكرى بهذا التعليق عن حجم المعركة مقارنا بكل الوقائع التى جرت فى المغرب بعد مجئ ادريس اليه .

والنموذج الثانى أخذناه أيضا من نصوصه عن دولة الادارسة عندما انتصر حسن الحجام على موسى بن أبى العافية ، فغدر اللوزى[4] بالحجام ومنع جنده من دخول فاس . وعلق البكرى على ذلك بقوله : " بذلك شأن أهل فاس لا يتركون عسكرا يدخل مدينتهم " [5] .

---

(١) هو احد القواد الذين ولاهم مصالة بن حبوس قائد جيش عبيد الله المهدى ، الامر على تسول وبلاد تازى وذلك حين هزم مصالة بن حبوس يحيى بن ادريس خليفة الادارسة سنة ٣٠٥هـ . سالم : المغرب الكبير ص ٤٨٤ .

(٢) هو ادريس بن عبد الله مؤسس دولة الادارسة بالمغرب .

(٣) البكرى : المصدر السابق ص ١٢٧ .

(٤) هو حامد بن حمدان الهمدانى عامل حسن الحجام على عدوة القرويين واللوزى لقبه وقد غدر اللوزى بالحجام عندما عاد الحجام الى فاس منهزما من موسى بن ابى العافية . سالم : المغرب الكبير ٤٨٥ـ٤٨٦ .

(٥) البكرى : المغرب ص ١٢٧ .

اما الشكل التاريخي الذى يميز كتابة المكرى فيمكن الاهتداء اليه بعد التعرف على مناهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين ، أول تلك المناهج التاريخ بالسنين الذى يمثله الطبرى اذ يجعل لكل سنة تاريخا قائما بذاته ، فيذكر حوادث السنة الاولى للهجرة ، وبعد أن يفرغ منها ينتقل الى السنة الثانية ثم الثالثة وهكذا يبدأ حديثه عن كل سنة بقوله ثم دخلت سنة كذا فالطبرى يقسم مادته حسب السنين [1] .

والشكل الثانى للكتابة التاريخية عند مؤرخى الاسلام هو توزيع المادة بحسب أيام الحكام والخلفاء مثل كتابات اليعقوبى ، والمسعودى ، فنجدهم يذكرون أيام أبى بكر ، أيام عمر ، أيام عثمان ، أيام على ، وكذلك خلفاء بنى أمية والعباسيين .

ولم تعجب الطريقة الاولى بعض المؤرخين فنقدوها لانها فى رأيهم تقطع الحادثة الواحدة على عدة سنوات فأسسوا طريقة ثالثة تقسم المادة على الموضوعات يقول ابن الاثير ناقدا لغيره وموضحا طريقته : " رأيتهم أيضا يذكرون الحادثة متقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر ... فجمعت أنا الحادثة فى موضع واحد وذكرت كل شىء منها فى أى شهر أو سنة كانت ، متناسقة

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٣٩٥ ، ٤٠٨ ، ٤٨٧ ، ٥٨٢ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١م .

قد أخذ بعضها بعرقاب بعض، وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها " (١) .

وقد اعتمد البكري كما أشرنا على زعماء هذه المدارس ، فكان المسعودي والطبري واليعقوبي من مصادره الهامة ، وهذا يؤكد لنا معرفة البكري بهذه المناهج التاريخية السابقة ، بيد أن اهتمامه بالجغرافية جعله يقسم مادته التاريخية بحسب المكان ، ففي وصفه للمسالك والطرق يقف عند الاماكن المختلفة ويسرد شطرا من حوادث التاريخ التي تقع في الاماكن التي يمر بها ويتضح هذا من وصفه للاماكن التي تقع في الطريق من برقة شرقا حتى طنجة غربا ، حيث يزج المادة التاريخية على القيروان ، وتيهرت ، ونكور ، وفاس ، وتامسنا ، وسجلماسة ، ويربط الوصف الجغرافي لهذه الاماكن باحداث التاريخ التي وقعت فيها ونشير هنا الى نموذجين الاول يتصل بوصفه لمدينة تيهرت وقيام الدولة الرستمية والثاني وصفه لنكور وقيام دولة بني صالح يقول البكري: "ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة أبواب باب الصفا ، وباب المنازل ، وباب الاندلس ، وباب المطاحن ، وغيرها ، وهي في سفح جبل يقال له جزول ، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة ، وهي

---

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج ١ ص ٦ ، طبعة القاهرة ١٣٤٨ هـ .

على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينه وهو فى قبليها ، ونهر آخر يجرى من عيون تجتمع تسمى تاتش ... وكان صاحب تيهرت ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام ، وبهرام هذا مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو بهرام بن شرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذى الاكتاف الفارس .. وكان ميمون رأس الاباضية وامامهم ، وامام الصفرية الواصلية ، وكان يسلم عليه بالخلافة ، وكان مجمع الواصلية قريبا من تيهرت ، وكان عددهم نحو ثلاثين الفا فى بيوت الاعراب يحملونها ، وتعاقب مملكة تيهرت بنو ميمون وبنو أخيه عبد الرحمن واسماعيل بن الرستمية الى سنة ست وتسعين ومائتين .. الخ "[1] .

وقد لاحظنا فى النص السابق ارتباط التاريخ بوصف المكان عند البكرى .

ومما يؤكد ارتباط التاريخ بالمكان ايضا وصفه لمدينة نكور واحداث دولة بنى صالح يقول البكرى : " ومدينة نكور بين رواب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمصلى وبها جامع على أعمدة من خشب العرعر ، والارز أكثر خشبها ، ولها أربعة

---

(١) البكرى : المغرب ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

أبواب فى القبلة ، باب سليمان وبين القبلة والجوف باب بنى برياغل ، وفى الغرب باب الحصلى ، وفى الجوف باب اليهود ، وسورها من اللبن ، وبها حمامات كثيرة وأسواق عامرة منهدة وهى بين نهرين أحدهما نكور ومخرجه من كزنايه من جبل بنى كمين ، والثانى نهر غير منهمك من بلد بنى برياغل والذى أسسها وبناها سعيد ابن ادريس بن صالح بن منصور الحميرى ، وصالح هو المعروف بالعبد الصالح وهو الذى افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل ارض المغرب فى الافتتاح الاول ، فنزل مرسى تمسامان على البحر بموضع يقال له بدكون بوادى البقر ... الخ " (١) .

ولا شك أن انتماء البكرى للاندلس له أثر كبير فى اتباعه لطريقة الربط بين المكان والاحداث التى وقعت فيه ، لان الجغرافية كانت توأما للتاريخ فى المغرب الاسلامى ، وقد ظهر العلمان فى وقت واحد " وكان أول مؤرخ أندلسى كبير وهو احمد بن محمد الرازى مؤرخا وجغرافيا بل هو الذى وضع اساس هذين العلمين فى الغرب الاسلامى " (٢) ، وقد كان الرازى وغيره من المؤرخين امثال الـوراق القيروانى معتمد البكرى فى دراساته ولا شك انه تأثر بهم فى الربط بين الجغرافية

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ٩٠ .

(٢) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١ .

والتاريخ وقد أفاد اهتمام البكرى بالجغرافية فى توضيح أثر العوامل الجغرافية فى التاريخ ، فوصف البكرى الجغرافى لمدينة " سوسه " يثبت أنها محصنة ضد الفاتحين فيقول عنها البكرى : " وقد احاط بها البحر من ثلاث نواح الشمال والجنوب والشرق ، وسورها ضخم منيع حصين متقن البناء " (١) .

ويخرج البكرى من هذا الوصف بالنتيجة الآتية أن " مدينة سوسه ممتنعة على من رامها " (٢) . وهذا سهل مهمة البكرى فى تفسير تراجع حملة عبد الله بن الزبير فى مقاومة الروم ، حين دخلوا مدينة سوسة وتحصنوا بها وفسر نجاح حملة عبد الله على الروم فى بدايتها لانه وجدهم خارج مدينة سوسة ، وهذا سهل مهمته فى الانتصار عليهم . يقول البكرى : " وكان معاوية بن خديج قد بعث اليها عبد الله ابن الزبير فى جمع كثيف ، وكان بلغه ان نقفورا بطريقا من بطارقة الروم انفصل ملكهم فى ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى نزل شرفا عالية ينظر منه الى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا ، فلما بلغ ذلك نقفورا رجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير فى جيشه حتى بلغ البحر ، ونزل على باب مدينة سوسة فاخرجوا اليه جمعا كثيرا من كماتهم رجالا وركبانـــــا

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ٣٤ .
(٢) البكرى : المصدر السابق ص ٣٥ .

فزحفوا اليهم ، عليهم ، فانكشفوا هه فهزمهم وطلوا أد بارهم ، حتى لجأوا الى مدينتهم وانصرف عنهم "(١) . فتركهم عبد الله بن الزبير بسبب دخولهم لمدينة سوسة المحصنة وبفضل هذه العوامل الجغرافية فسر بها البكرى فشل الحملة الثانية على سوسة بقيادة أبى يزيد مخلد ، يقول البكرى : "وحاصرها أبو يزيد مخلد شهورا ثم انهزم عنها ، وكان طيها فى ثمانين الف حصان "(٢) .

ودلل البكرى على أثر العوامل الجغرافية المتمثلة فى تحصين مدينة سوسة وقوفها امام الفاتحين بايراد بعض الابيات لاحد شعرائها يقول فيها :

ألم بسوسة وقت عليهما
ولكن الاله لها نصير
مدينة سوسة للغرب ثغر
تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا طيها
كما لعنت قريظة والنضير(١)

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ٣٤ـ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥ .

ومن مظاهر الكتابة التاريخية عند البكرى أنه يهتم بالدقة فى رسم أسماء الاماكن والاعلام لاحتياج من يفسح التاريخ الى معرفة اسماء الملوك والقابهم والمدن والبلاد والقرى ، وقد تنبه البكرى الى ذلك وأشار اليه بقوله : " وما أكثر المؤتلف والمختلف فى اسماء هذه المواضع مثل ناعجة وباعجة ونجتل وشيتل ، وقديما صحف الناس فى ذات الدير فقال اعرابى حضر المجلس ضل ضلالك انما هى ذات الدبر بالباء المعجمة بواحدة ، وهى ثنية عندنا وقال أبو حاتم قرأت على الاصمعى وادى الامير فقال الاعرابى لا أعرف وادى الامير قال قلت انهما فى كتاب أبى عبيد وادى دلامير فقال هذا لعلها جلاهيد " (1) .

ويعلق البكرى على هذه الروايات بقوله : " فهؤلاء عدة من العلماء قد اختلفوا فى اسم موضع ولم يدروا وجه الصواب فيه " (2) .

ونضرب مثالا لدقة معلومات البكرى فى رسم اسماء المدن بعبارة له عن الاندلس ، يقول البكرى : " يذكران اسمها فى القديم أباريه من وادى ابره ، ثم سميت بعد ذلك باطقة من وادى بيطى وهو نهر قرطبة ، ثم سميت اشبانية

---

(1) البكرى : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ج ١ ص٢ ـ٣ ، القاهرة ١٩٤٥ .

(2) البكرى : نفس المصدر ج ١ ص٣ .

من اسم رجل ملكها فى القديم كان اسمه اشبان ، وقيل انما سميت بالاشبان لما سكنوها فى أول الزمان على جرية النهر وما والاه ، وقال قوم ان اسمها انما هو فى الحقيقة اشباريه مسماة من وادى اشبرش وهو الكوكب المعروف بالاحمر ، وسميت بعد ذلك بالاندلس من اسماء الاندليش الذين سكنوها " (١) .

وقارن الدكتور حسين مؤنس بين الاصول اللاتينية لاسماء أسبانية بما ذكره البكرى ، فأعجبه مسلك البكرى ودقته فى رسم الأعلام ، وعبر عن ذلك بقوله :
" وواضح من هذا أن البكرى بحث وتقصى عن أصل الاسم وأتى بروايات شتى كلها لها أصول فى كتابات قديمة ، لها مكانها من الاحترام ، وهو لم يقل فى أثناء ذلك أن الاندلس من الدلس أو التدليس كما فعل غيره لانه يعرف بطبيعة العالم المفكر ان هذه الاسماء لا تفسر هذه التفسيرات اللفظية اليسيرة " (٢) .

ومن مظاهر العناية بالاعلام عند البكرى التفرقة بين الالقاب والاسماء ، وقد أوقع الخلط بين الاسماء والالقاب بعض الدارسين فى اختلافات كبيرة مثل الاختلاف

---

(١) البكرى : جغرافية الاندلس واوربا ، ص ١-٢ .
(٢) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١٣٨ .

الذى مر بنا حول شخصية مدرار رأس دولة بنى المدرار [1] .

وقد حسم البكرى هذا الخلاف لانه يفرق فى مادة بين الاسم واللقب ، فوضح أن مدرار القب يطلق على أفراد دولة بنى المدرار يقول البكرى : " وولى ابنه مدرار المنتصر بن اليسع ومدرار لقب " [2] . وقد ورد هذا الاختلاف فى مكانه بصورة مفصلة حين تحدثنا عن دولة بنى المدرار .

ومن مظاهر اهتمام البكرى بالاعلام أنه ينسب كل الاسم الى القرية والبلد الذى ينتمى اليه فيذكر مثلا أن " حامد بن حمدان الهمدانى يعرف بالمرزى نسبة الى قرية بافريقية " [3] .

كما أنه يذكر المناسبات التى ترتبط بأسماء الاماكن والاشخاص فيقول عن مدينة رقاده التى اتخذها بنو الاغلب دارا لهم " رقاده وهى من القيروان على أربعة أميال .. وذكروا أن أحد بنى الاغلب أرق وشرد عنه النوم أياما ، فعالجه اسحاق فلم ينم ، فأمر بالخروج والمشى ، فلما وصل الى موضع رقاده نام فسميت من يومئذ رقادة ، واتخذت دارا وسكنا " [3] .

---

(١) سعد زغلول : المغرب العربى ص ٤٠٣-٤٠٤ مصر دار المعارف ١٩٦٥ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٥٨٤ القاهرة ١٩٦٦م .
(٢) البكرى : المغرب ص ١٥٠ .
(٣) البكرى : نفس المصدر ص ٢٧ .

ويذكر أيضا قصة تسمية حسن بن محمد بالحجام ، فيقول وانما سماه حجاما عمه احمد بن ابو القاسم بن ادريس الكرثى ، وذلك انه جرى بينهما أمرا قضى بهما الى الاختلاف والتدابر حتى زحف كل واحد منهما الى الاخر ، فالتقيا بموضع يعرف بالمدالى من بلد صنهاجة فحمل حسن على غالم لعمه فدعسه بحربة أثبتها فى مكان الحجم ، فأخبر عمه بفعله ، ثم شد على آخر فاصابه فى ذلك الموضع ، وقتل لاحمه أيضا وضرب ثالثا فوافق ذلك الموضع فقال احمد صار ابن اخى حجاما فلزمه ذلك " (١) .

والمتتبع لمادة البكرى التاريخية يلاحظ كثرة ورود الشعر العربى الذى يسجل الاحداث ونكتفى هنا ببعض النماذج ، فهذه أبيات تتحدث عن دولة برغواطة وقيام أبى غفير بأمرهم وادعائه للنبوة ، كما يتحدث عن وقعة بهت وصلة طريف وقومه بجسرة المطغرى

قفى قبل التفرق فاخبرينــــــــا

وقولى واخبرى خبرا مبينـــــــا

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٢٦ ١ ــ ٢٧ ١ .

الا ثم أمة هلكت وضلـــــــت
وزاغت عن سبيل المسلمينـــــا
ألم تسمع ولم ترىـــــم بهيـــت
على آثار خيلهم رنينـــــــــا
رنين الباكيـــات نهين ثكلــــى
وعاوية ومثقلـــــة جنينــــــا
فليس اليـــوم ردكم عليكـــــن
ليال كنـــتم متيمرينــــا (١)

أما النص الثانى فيتحدث عن صمود مدينـــة سوسة امام الفاتحين .

ألم بسوســـة وقف عليهـــــا
ولكن الالـــه لها نصــــــير
مدينة سوســـة للغرب ثغـــــر
تدين لها المدائن والقصـــور
لقد لعن الذين بغوا عليهـــا
كما لعنت قريظـــة والنضــــير

---

(١) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٨ .

اعز الدين خالق كل شـــــى ٠
بموسة بعد ما التوت الامـــور
ولولا موســة لذهـــبت دواه
يشيب لها الطفل الصغــــير
سيبلغ ذكر موسة كــــل أرض
ويغشى اهلها العدد الكبــــير [١]

وهذا بيت يملل به البكرى تمنيـــة حســن مـــحـمـــد بالجـــام :

وسميت حجاما ولست بحاجـم
ولكن لضرب فى مكان المحاجـم [٢]

ولم يثبت لنا من خلال الدراسة لآثار البكرى التاريخية ما يشير الى اهتمامه بالرحلة ، ولكننا نستطيع ان نؤكد ادراك البكرى لاهمية الرحلة من الناحيـــة العلمية ، ذلك انه اعتمد على بعض الرحالة كالمسعودى الذى يرى أن العالــم الحقيقى هو الذى يأخذ الحقائق من منابعها ، اذ يقول : " لكل اقليم عجائــب

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٧ ٠
(٢) نفس المصدر : ص ١٢٧ ٠

يقتصر على علمها أهله ، وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى اليه من الاخبار عن أقليمه كمن قسم عمره على قطع الاقطار ووزع ايامه بين تقاذف الاسفار ، واستخرج كل دقيق من معدنه واثارة كل نفيس من مكمنه ". (١) .

مع ادراك البكرى لكل ذلك فانه لم يكن رحالة فى يوم من الايام ، ويحق أن أشرنا الى خطأ من عد البكرى من علماء الرحلة (٢) فى جمع مادتهم فالبكرى لم يخرج من جزيرة الاندلس والذى يفسر لنا ترك البكرى للرحلة واعتماده على المراد رهو طبيعة المادة التى يكتب عنها ، فمادته اما ان تكون احداثا وقعت فى عصره وفى هذه الحالة يعتمد على مقابلته لشهود العيان مثل كتاباته عن دولة غانة وبلاد السود أو المغرب ، واما احداث لم يعاصرها فنجده يحاول الاعتماد على مصادر مكتوبة لمن شاهدوا تلك الاحداث كاعتماده على المسعودى ، ومن بين الاسباب التى قللت قيمة الرحلة عنده ، أن الناس كانوا يفدون على الحكام بالاندلس يصفون تقارير عن بلادهم وقد امتدت يد البكرى الى تلك الوثائق فاغنته عن تلك الرحلات ، وشاهدنا فى ذلك تلك الوثيقة التى وجدها البكرى فى مكتبة الحكم عن دولة برغواطة ، أما عن

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٢ ١ .

(٢) قداح : افريقية الغربية فى ظل الاسلام / و القاهرة ، الصياد : تراث الانسانية مجلد ١ ص ٧٩١ .

دراسات اللغوية والادبية تأخذه علماء المشرق الذين وفدوا الى الاندلس حاملين معهم تراث المشرق ، فانكب البكرى على دراسته وسبقت الاشارة الى ذلك ونضيف عاملا آخر ان اتجاه البكرى الى الكتابة فى الجغرافية والتاريخ بدأ فى مرحلة متأخرة من عمره لا يقوى معها على الاسفار ، ولذلك اتفق مصادره بصورة تسد النقص الذى يتركه عدم الرحلة فى الحقل العلمى ، ولو كان البكرى أحد الرحالة لما توفرت له هذه الكثرة وهذا التنوع فى المادة ، فقد شكا العلماء من أثر الرحلة على انتاجهم ، يقول المسعودى : " على انا نعتذر من تقصير ان كان ... لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تمادى الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر "(١) .

وقد يترك البكرى مصدره الذى يأخذ منه كثيرا فيهمل ذكره وقد حفظ لنا البكرى كثيرا من الروايات التى وردت فى أمهات الكتب ، ولكنه يضع هذه المصطلحات التى ينقلها بصورة توقع الدارس فى الخطأ حين يسكت عن ذكر المصادر التى يأخذ منها ، فهذه المصطلحات للدارس وكأنها خاصة بالبكرى ، ونضرب لذلك مثلا بما أورده البكرى عن حروب عبد الرحمن الناصر ، مع الجلالقة نجد نص البكرى منقولا من المسعودى ، ولم يشر البكرى الى اسم المسعودى يقول البكرى : " وقد كان لعبد الرحمن بعد هذه النوبة وقائع كثيرة مع الجلالقة قتل منهم فيها اضعاف المسلمين وهى للمسلمين عليهم

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٠ .

الى وقت الطريخ "[١] فعبارة الى وقت التاريخ خاصة بالمسعودى [٢] . وتنطبق على الواقع التاريخى فى ايامه فى القرن الرابع الهجرى ونقلها البكرى ولم يشر الى مصدرها وهى لا تنطبق على الواقع التاريخى فى ايام البكرى " عصر ملوك الطوائف " وهذا الخلط فى التواريخ عند البكرى يتطلب ممن يريد الاعتماد على آثاره التاريخية ، أن يحدد مصادره حتى لا يقع فى الخطأ .

ومن الظواهر التى يلاحظها الدارس فى تراث البكرى التاريخى ظاهرة الاساطير والخرافات فنجده يورد بعض التصورات الخرافية للوقائع والاحداث ، وتصوراته لا تتفق مع الواقع وذلك مثل ذكره لمدينة ذات الابواب التى تشتمل على عشرة الاف باب ، ومثل ذكره لحادث حمى العفن الذى وقع فى قطر المغرب عن بلد قابس من أرض الجريد ، وقد ذكر البكرى تفسيرا لهذه الحمى بقوله : " يذكر أهل قابس أنها كانت أصح البلاد هواء حتى وجدوا بها طلسما ظنوا أن تحته مالا فحفروا موضعه فاخرجوا منه تمة شبراء فحدث عندهم الوباء من حينئذ بزعمهم "[٣] . وقد وجه ابن خلدون نقدا قاسيا للبكرى بسبب نقله لمثل هذه الاشياء فنقد البكرى فى ذكره تفسير الحمى بقوله : " هذه الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكرى لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو أن يتبين خرفه

(١) المسالك والممالك " جغرافية الاندلس واوربا " ص ٧٩ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢ ص ٣٨ طبعة محمد محى الدين . القاهرة ١٩٥٨ .
(٣) البكرى : المغرب ص ١٨ .

تنقله كما سمعه؟ (١) .

وقد تحفظ بعض العلماء الذين أخذوا عن البكري مثل هذه الاشياء ، فابن فضل الله المصري يذكر في نقله عن البكري العهدة على الراوي (٢) .

وفي رأينا ان حملة ابن خلدون على البكري يقلل من شأنها عدم تبني البكري لتلك الخرافات والتصورات فنسبها الى مصادرها وبين أنه لم ينقل مثل هذه الاشياء تصديقا بها ، يقول البكري : " وانما ننقل في كل موضع من هذا الكتاب ما يستشنع لنا ، وجدنا كتب الناس تنقل ، ذلك عنهم على حسب ما نجده لا ما نقف على صحته " (٣).

والظاهر أن البكري لم يلجأ الى حذف ما جاء في كتب الآخرين من الخرافات بل أوردها كما وجدها ، لان الاختصار لم يكن مباحا يقول ياقوت: "ان المختصر لكتاب في رأيه كمن أقدم على خلق سوى فقطع أطرافه فتركه أشل اليدين ابتر الرجلين أعمى العينين اصم الاذنين " (٤) .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٦١٨ـ٦١٩ .

(٢) مسالك الابصار في ممالك الامصار ج ١ ص ٢٢٦ . القاهرة ١٣٤٢ هـ تحقيق أحمد زكي باشا .

(٣) البكري : مخطوط نور عثمانية رقم ٣٠٣٤ ق ٩١ .

(٤) ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ١١ طبعة السعادة بمصر ١٩٠٦م .

وايراد مثل هذه الاخبار مسلك ارتضاه كثير من العلماء رغم مخالفتها للواقع يقول ياقوت : " لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول لبعدها من العادات المألوفة وتباعدها من المشاهدات المعروفة ، وانا مرتاب بها متبرئ الى قارئها من صحتها ، لانى كتبتها حرصا على احراز الفوائد فان كانت حقا فقد أخذنا فيها بنصيب المصيب ، وان كانت باطلا فلنا فى الحق شرك ونصيب ، فانا صادق فى ايرادها كما أوردتها " (١) .

وقد اخترنا نص البكرى عن دولة الادارسة لاجراء عرض وتطبيق لمظاهر المنهج التاريخى عنده على مادته عن تلك الدولة لنبين الى أى حد التزم البكرى بتطبيق هذه المظاهر المستخلصة من تراثه التاريخى على مادته عن دولة الادارسة .

ولعل أول مظهر من المظاهر السابقة يمكن ملاحظته هو الربط بين الجغرافية والتاريخ عند ذكره لدولة الادارسة ، فقد أورد وصفا جغرافيا لمدينة فاس حاضرة الادارسة ، وهو وصف يمثل الامتداد التاريخى لاهتمام الدارسين بتلك المدينة من القرن الثالث الهجرى (٢) والرابع الهجرى (٣) حتى عصر البكرى .

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ج ١ ص ٣ جـ ٥٨ .
(٢) اليعقوبى : البلدان ص ٣٥٧ طبعة ليدن .
(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٠ طبعة بيروت ١٩١٢ م .

وعلى الرغم من أن الربط بين الجغرافية والتاريخ سمة من سمات منهج البكرى ، كان ذلك الربط بين العلمين يعتبر نمطا سائدا فى الاندلس .

وعقب هذا الوصف الجغرافى للمكان يذكر البكرى احداث دولة الادارسة ، ولم يحاول البكرى مثل غيره من المؤرخين أن يتعرض لحركات العلويين الاولى ، مثل حركة النفس الزكية [١] الذى أشعل الثورة ضد الخلافة العباسية وحركة الحسين بن على [٢] التى قادها فى فخ [٣] ويرجع اهمال هذه الحركات من جانب البكرى الى طبيعة منهجه .

فالبكرى يلتزم بايراد الاحداث فى اطارها الجغرافى وهذا يمنعه من التعرض للاحداث التى تقع خارج الاقليم الجغرافى الذى يحدده ، فحديثه عن دولة الادارسة يرتبط باقليم المغرب ، وحركات العلويين الاولى لم تقع فى هذا الاقليم ، ومن أجل ذلك اهملها البكرى . ويذكر قيام دولتهم فى فاس يقول البكرى فى مبتدأ حديثه :

" فاس هى دار مملكة ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على رضى الله عنه " [٤]

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسن " المثنى " بن ابى طالب . مؤنس : المغرب الكبير ص ٤٦٥ .

(٢) هو الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . المرجع السابق ص ٤٦٦ .

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٥ ص ٦ - ٨ طبعة بولاق . ابن طباطبا : الفخرى فى الاداب السلطانية ص ١٩٠ طبعة بيروت ١٩٦٠ م .

(٤) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٨ .

ويمكن ان نميز في كتابة البكري عن الادارسة ميله الى احصاء الروايات التي تدور حول موضوع واحد ، وهي ظاهرة تشيع في تراثه التاريخي ، واحصاء الروايات عند البكري يأخذ شكلين ، فمرة يختار واحدة من الروايات مرجحها على غيرها ، وتصبح تلك الرواية ممثلة لوجهة نظر البكري ورأيه والدارس في هذه الحالة لا يجد صعوبة في تحديد رأى البكري مثال ذلك ما أورده البكري عن اغتيال ادريس بن عبد الله بالسم فقد أورد لنا اربع روايات أولى تلك الروايات اخذها عن أبي الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي وهي استخدام السم كعطر لاغتيال ادريس، يقول البكري : " ان سليمان دخل على ادريس ومعه القارورة فلما أسمط اليه وخلا وجهه قال جعلني الله فداك في هذه القارورة غالية ، حملتها معي وليس ببلدك من الطيب ما يتخذ هذا منه ، فجئتك بها لتطيب بما فيها ، ووضعها بين يديه ، ففتحها ادريس ، وتغلق منها وشمها ، وأقام ادريس في غشيته عامة نهاره ويومه تغرب ثم مات" (١) .

أما الرواية الثانية ، فاخذها البكري عن احمد بن الحارث بن عبدة اليمانى ، وتفيد هذه الرواية ان السم استعمل كدواء لادريس ، لانه كان يشكو من وجع في أسنانه : " وجه اليه الرشيد رجلا من مواليه يقال له الشماخ ، في هيئة

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٢٠ .

العطيب ، وكان بادريس وجع نجده في أسنانه ، فوضع الشماخ في ذلك الموضع ذروا مسموما وخرج من ساعته فقتل السم ادريس" (١) .

اما الرواية الثالثة فتتفق مع السابقة لها في استعمال السم كعلاج لادريس ، وتزيد عليها في أن الشماخ حدد لادريس زمنا يستعمل فيه ذلك السم ، فسأل سليمان امر ادريس " ان يستعمل ذلك الذرور والسنون في السحر ، وخرج هو في جوف الليل " (٢) .

والرواية الرابعة تفيد ان السم استعمل لادريس عن طريق الطعام" الصحيح عندنا انه سمه في دلاعة قطعها بسكين واكل هو الآخر" (٣) .

ويلاحظ الدارس ان البكري في هذا الموقف قد رجح احدى الروايات الاربع على غيرها ، واختارها ممثلة لرأيه اما الشكل الثاني من تعدد الروايات عند البكري فلا نجد فيه ترجيحا لواحدة على أخرى ، ويمثل هذه الحالة يكاد البكري يوقعنا في الخطأ ، ونمثل لذلك بثلاث روايات أوردها البكري عن فرار ادريس بن عبد الله

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ١٢١ .
(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها .

وواضح الى المغرب ، الرواية الاولى لابى الحسن النوفلى وتفيد " انهما دخلا مصر ليلا ، فبينما هما متحيران يمشيان فى بعض طرقها ليلا لاهداية لهما بالبلد ، اذ مرا بدار مشيدة يدل ظاهرها على باطنها ، وصحة أهلها فجلسا فى دكان على باب الدار ، فرآهما صاحب الدار ، فعرف فيهما الحجازية وتوسم فى نطقهما الغربة فقال أحسبكما غريبين قالا : نعم واراكما مدنيين قالا : نعم . نحن كما ظننت فاذا الرجل من موالى بنى العباس" (١) .

اما الرواية الثانية فلم يذكر البكرى نصوصها ولكنه ذكر انها تخالف رواية النوفلى ونسبها الى المؤرخين يقول البكرى : " ذكر ابو الحسن على بن محمد بن سليمان عن أبيه وغيره فى خروج ادريس الى أرض المغرب غير ما ذكره المؤرخون " (٢) .

اما الرواية الثالثة فتتفق مع رواية النوفلى وتتحدث عن شخصية واضح بالاشارة الى اسمه ، على حين تشير الرواية الاولى الى واضح بأنه رجل من موالى بنى العباس ولا تذكر اسمه . يقول البكرى : " وذكر احمد بن الحارث بن عبدة اليمانى نحو رواية النوفلى قال : ان ادريس بن عبد الله أفلت من وقعة فخ فوقع بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن منصور وكان يتشيع " (٣) .

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ١١٨ - ١١٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١١٨ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢١ .

ونلاحظ هنا ، أن البكرى يسرد عددا من الروايات ولا يرجح احداها على الاخرى وفى هذه الحالة لا نستطيع أن نرجح آراء بعض المؤرخين على رأيه لسببين :

أولهما : أن رأيه غير محدد هنا فلم يعلن تبنيه لاى رواية من تلك الروايات الثلاث .

ثانيهما : أن البكرى يشير الى الرواية الثانية وهى رواية جمهور المؤرخين ولا يحدثنا عن مضمون تلك الرواية وكل ما يذكره عنها هى أنها تخالف بقية الروايات وقد تكون هذه الرواية التى ذكرها البكرى ولم يشر الى مضمونها هى نفس الرواية التى جاءت فى مؤلفات ابن خلدون وابن الاثير ، وعلى ذلك فليس من الدقة أن نغفل ترجيح بعض الباحثين لرأى ابن الاثير وابن خلدون حول فرار ادريس وراشد الى مصر فقد ذكروا ان واضحا جاء الى راشد وادريس بمصر فى مكانهما الذى يختفيان فيه ، لانه كان على علم بمكانهما واستدل صاحب هذا الرأى على ترجيح ذلك بقوله :

" ان هذه الرواية الثانية أقرب الى الحقيقة فرواتها ابن الاثير وابن خلدون أولى بالثقة بدليل أن الهادى عندما بلغه الذى قام به واضح ، أمر بضرب عنقه وصلبه ، ثم انه من المنطقى الا يصل راشد بصر ادريس فى مصر الا لرجل من دعاة الشيعة ، وأغلب الظن أنهما كانا يعرفان واضحا قبل ذلك ، فنزلا عنده وتحايل هو على مساعدتهما فى النجاة الى أرض المغرب " (١) .

---

(١) سالم : المغرب الكبير ص ٤٦١/٠ .

ويعنى هذا الترجيح ان رواية البكرى تتضمن نقاط ضعف متمثلة فى جهـــــل ادريس وراشد يحارحان شخصا مجهولا على حين تشير رواية ابن الاثير وابن خلـــدون الى شخص معلـــوم بالنسبة للطرفين ، ويرد على هذه الحجة بأن البكرى يعتبر روايته الثالثة مكملة للرواية الاولى تتطابقها ، وتحدد اسم الشخص المجهول فى الروايـــــة الاولى وعلى ذلك فلا نجد فرقا بين رواية البكرى ورواية ابن الاثير وابن خلدون مـــن هذه الزاوية ، ولا مجال لترجيح رواية ابن الاثير وابن خلدون على رواية البكرى ، بل ان رواية البكرى تمتاز على رواية المؤرخين السابقين بتصويرها لعنصر الصدفة فى لقاء ادريس وراشد بواضح ، وانهما اباحا له بسرهما لانهما شعرا بالامان فى كنف والــى مصر ، فلم يطلب القبض عليهما ، وأعطاه مهلة ثلاثـــة أيام (١) ومما يؤكد تلك المصادفة فى لقاء ادريس وراشد بواضح فى مصر أن راشد بدأ يشرح لواضح الخطة بعد الوصول فقال : " هذا ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب ، خرج من موضعه مع حسين بن على فسلم من القتل ، وقد جئت به أريد بلاد البربر " (٢) ، وهذا يدل على جهل واضح بمجيئهما الامر الثالث لو كان واضح يعلم بقدوم ادريس الى مصر لاعد خطة قوية للارتحال منها ، حتى يبعدهما عن نفوذ الخلافة ولكنه فوجئ

---

(١) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ج ١ ص ١١ ــ ١٢ ، تحقيق محمـــد هشام القيلانى ــ المطبعة الوطنية بالمغرب سنة ١٩٣٦ م .

(٢) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٩ .

بذلك الوصول ، فطلب من والي مصر مهلة ثلاثة أيام ، للخروج من ولايته [١] وأخيرا كان هناك نص لابن أبي زرع يؤكد لقاء واضح بادريس وراشد عن طريق الصدفة ، ففي النص روح الحذر والترقب وكيفية التعارف بين الطرفين ، مما يؤيد رواية البكري يقول ابن أبي زرع : " فبينما ادريس ومولاه راشد يمشيان في شوارعها (أي مصر) ويجولان بطرقها اذ مرا بدار حسنة البناء والهيئة ، فوقفا ينظران اليها يتأملان حسن بنائها واتقانها ، واذا بصاحب الدار قد خرج وسلم عليهما فردا عليه فقال لهما ما الذي تنظران من هذه الدار ؟ فقال له راشد : يا سيدي انه اعجبنا حسن بنائها واحكام اتقانها وشكلها . قال : اظنكما غريبين عن هذه البلاد ، قال راشد . جعلت فداك ان الامر كما ذكرت ، قال فمن أي الاقاليم انتما ؟ قالا من الحجاز ، قال فمن أي بلاد ؟ قالا من مكة ، قال فلعلكما من شيعة الحسنيين الفارين من وقعة فخ ؟ فأرادا أن ينكرا حالهما ويخفيا عنه امرهما ثم انهما توسما فيه الخير والفضل قال له راشد : يا سيدي أرى لك صورة حسنة وقد توسمت فيك الخير لحسن صورتك وطلاقة وجهك وبشرك ، ولابد ان تكون افعالك وشيمك مطابقة ومشابهة لصورتك الجميلة ، ولكن أرأيت ان اخبرناك من نحن وما خبرنا وأمرنا كنت تستر علينا ؟ قال : نعم ورب الكعبة أكتم امركما وأصون سركما وابذل جهدي في صلاح حالكما فقال راشد فذلك الظن بك والثقة بفضلك هذا ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن

---

(١) ابن أبي زرع : المصدر السابق ج ١ ص ٦ ، ١٠

على بن أبى طالب رضى الله عنهم وأنا مولاه راشد ، فورث به خونا عليه من التسلل قاصداً الى بلاد المغرب فقال لهما الرجل : لتطمئن نفوسكما وتسكن روعتكما فانى من شيعة أهل البيت ومواليهم ، وأول من تكم سرهم وبذل جهده فى حقهم ، فلا تخافا ولا تحزنا فانتما من الآمنين " (١) .

ولعل نص ابن أبى زرع هذا يؤكد صحة رواية البكرى فى تهوين عنصر الصدفة فى لقاء واضح بادريس وراشد ومن ميزات آثار البكرى انه يقصر الحقائق التاريخية التى يجعلها مثال ذلك ذكره السبب فى اختيار ادريس وراشد لاقليم المغرب كملجأ لهم ، يقول البكرى : " انه بلد ناء لعله يأمن فيه ويعجز من يطلبه " (٢) .

ولمادة البكرى عيوب أيضا ذكرنا بعضها فيما تقدم ومنها أيضا ميله للاقتصار المخل فى سرد حوادث التاريخ مما يضطر الدارس الى اللجوء الى مصادر اخرى تكمل النص الذى يجده عند البكرى ، ونقارن هنا بين رواية البكرى ورواية ابن أبى زرع كمثال توضيحى وذلك فيما يتعلق بشكوى الخليفة الرشيد أمر ادريس بن عبد الله الى يحى بن خالد نلاحظ أن نص البكرى فيه اشارة مختصرة الى تلك الشكوى لا توضح مضمونها ، يقول

---

(١) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ج ١ ص ١١–١٢ .
(٢) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٩ .

البكري: " انتهى الى الرشيد خبره فتكرنبه وشكى ذلك الى يحى بن خالد ، فقال انا اكفيك خبره يا أمير المؤمنين " (١) .

أما رواية ابن أبى زرع فتوضح ان شكوى الخليفة الرشيد قامت على ثلاثة أسس :

أولها : الخوف من نسب ادريس وقرابته من على بن أبى طالب وفاطمة .

ثانيهما : التفاف البربر حوله وكثرة جيوشه .

ثالثهما : قيامه ببعض الاعمال الحربية .

يقول صاحب الروض: " انه ولد على بن أبى طالب وابن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قوى سلطانه وفتح مدينة تلمسان وهو باب افريقية ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار " (٢) .

ومقارنة رواية البكرى برواية صاحب الروض القرطاس تكشف عن نقص وعيوب روايــة البكرى بسبب ميله للاختصار ويحملنا اهتمام البكرى بالاعلام ورسمها والتدقيق فــى امرها كما ورد فى منهجه الذى شرحه وتقدم الحديث عنه أن نعتبر رأيه فيصلاً فــى الاختلافات التى تحدث فى مثل هذه الحالات بين المؤرخين ، فقد تباينــت آراء

---

(١) البكرى: المصدر السابق ص ١١٩ .

(٢) ابن ابى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس : ص ٢٣ .

المؤرخون في ذكر اسم سليمان الذي اختاره الخليفة الرشيد لاغتيال ادريس بن عبد الله فالجزنائي يسميه سليمان بن جرير بالراء [1] وابن الخطيب يسميه سليمان بن حديز بالدال والراء [2] ، ونميل هنا الى اختيار رواية البكري لعنايته بضبط الاعلام فيسميه سليمان بن حريز بالزين [3] .

وقد أثار المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي قضية الاسلوب عند البكري فوصف اسلوبه في كتابه المسالك والممالك بالجفاف [4] . ولا نستطيع ان نأخذ بحكم المستشرق كراتشكوفسكي لانه يعمم الحكم على كل ما جاء في المؤلف ، ونحن نعرف أن كتاب المسالك والممالك كتاب جامع تعددت فيه الاساليب وتنوعت ، لان صاحبه ينقل ما جاء فيه من مصادر كثيرة وبطرق مختلفة فأحيانا ينقل نقلا حرفيا مثل نقوله عن المسعودي وأحيانا ينقل بتصرف ومرة أخرى يثبت وثائق يجدها في المكتبات بأساليب كتابها دون أن يعدل فيها ، بجانب هذا فإننا نجد للبكري اسلوبه الخاص في الكتابة ، ونحن رأينا أن المستشرق الروسي قد وقع على بعض نقول البكري فأوحت له أن يعطي الحكم

---

(١) الجزنائي : زهرة الآس ص ١٠ – الجزائر ١٩٢٣م .

(٢) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص ١٩٣ .

(٣) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٢٠ .

(٤) كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ج ١ ص ٢٧٥ .

وحمصه على جميع ما ورد في الكتاب ، وقد عرف البكرى ميدان الادب والشعر قبل أن يكتب المسالك والممالك ، وهذا يؤيد قولنا ، ونرد بعض ما آثاره كراتشكوفسكى ، وسوف نورد هنا ردا عليا باختيار بعض النصوص الجيدة الممثلة لاسلوب البكرى في لسانه فيما يتعلق باغتيال ادريس بن عبد الله بالمغرب على يد سليمان بن حريز ففي هذا النص يبرز ترتيب البكرى للاحداث بصورة مقنعة ، فيبدأ بتصوير الدقة في اختيار الرجل الذى ينفذ الخطة المرسومة ويصور دخوله على ادريس بن عبد الله باسلوب يبعد الريبة والشك فيمن يقدم على مثل هذه الاشياء .

وتبدأ نصوصه بكشف مواهب سليمان امام ادريس بن عبد الله لينال اعجابه حتى وصل بذلك الى مرتبة خاصة من نفسه مكنته في النهاية من تنفيذ خطته واغتيال ادريس

وأول موقف يورده البكرى بين الرشيد ويحيى بن خالد حول استفحال أمر ادريس ابن عبد الله بالمغرب واختيار شخص من المشهورين في المذهب الزيدى ومن المتكلمين برأى الزيدية وهو شخص اثبت الاختيار نجاحه في مواقف سابقة . يقول البكرى : " انتهى الى الرشيد خبره ففكر فيه ، وشكى ذلك الى يحيى بن خالد فقال انا اكفيك خبره يا أمير المؤمنين أرسل الى سليمان بن حريز الجزرى وهو رجل من ربيعة وكان متكلما ، ممن يرى رأى الزيدية اذ كان متكلمهم وهو الذى جمع الرشيد بينه وبين هشام بن الحكم حين ناظره في الامامة " (1) .

---

(1) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٢٠ .

وتتطور الاحداث في اسلوب البكرى بصورة منطقية ومنظمة فسليمان "له ثم اختياره بعد أن أولاد الرشيد ثقة من ناحية أخرى فان ادريس كان على علم بعد هجة خصص الزيدية ، ولذلك بدأ سليمان قوله لادريس " انما جئتك وجعلت نفسي عليها حملته عليه لمذهبي الذي تعرفني به ، وان السلطان طلبني هذا لمحبتي في الخروج معكم أهل البيت ، فجئتك لآمن في ناحيتك وانصرك بنفسي ، فسره قوله وقبله وأحسن مثواه واكرم نزله واحسن ... وكان سليمان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء الـ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحتج لاهل هذه المقالة فاعجب ذلك ادريس منه " (١) . وبعد ان وصل سليمان الى هذه المرتبة من نفس ادريس اصبح يخطو بسمه حتى وصل مرحلة مكنته من تنفيذ خطته .

يمكننا أن نخرج من قراءة هذا النص السابق وهو واحد من نصوص كثيرة بالحكم على اسلوب البكرى بالسلاسة وعدم الجفاف في أثناء يورد أحداث التاريخ بأسلوب يستلطفه القارئ فاساليب الحوار والقصة داخل النص لا يتركها تؤثر على حقائق التاريخ ، لانه لا يترك مجالا للخيال يفسد واقع التاريخ .

والاستمرار في دراسة نصوص البكرى التي تلي ولاية ادريس بن عبد الله ، تكشف عن نفس المظاهر التي وجدناها سابقا ، واكثرها شيوعا الميل للاختصار الذى أخ...

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٠ .

بعادته كثيرا . ونقف هنا امام بعض النصوص لنتبين هذه الحقيقة . فبدأ هذه النصوص بموقف البكري من ولاية راشد بعد ادريس بن عبد الله فرواية البكري لا توضح الكيفية التي وصل بها راشد للحكم ، ولم تحدد فترة ولاية راشد للسلطة ، هل كانت ولاية مطلقة أم انها فترة انتقال محددة بانتظار المولود الذى تركه ادريس في بطن امه . وقد استطاع ابن أبي زرع ان يذكر تفاصيل وافية عن ذلك اجابت على تلك التساؤلات وسدت الثغرات الناتجة عن رواية البكري المختصرة . وتعتبر رواية ابن أبي زرع اكثر اهمية اذا ما قورنت بالرواية المختصرة التي أوردها البكري . وفيما يلي نص البكري ونعقبه بذكر نص ابن ابي زرع .

يقول البكري : " مات ادريس ولا ولد له الا جارية من جواريه حبلى فقام راشد بأمر ادريس " (١) .

ويقول ابن ابي زرع : " فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس ، بعد فراغه من دفن ادريس ، فاخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنزة ، وهي في الشهر السابع من حملها ، فان كان ذكرا ربيناه ، فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه

---

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٢٢ .

تبركا باهل البيت وذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، وان كانت جارية فنظرتم لانفسكم من ترضونه وترونه اهلا لذلك ، فقالوا : ايها الشيخ المبارك ، ما لنا رأى الا ما رأيت فانك عندنا عوض من ادريس ، تقوم بامرنا كما كان ادريس ، وتصلى بنا وتحكم فينا بما يقضى الكتاب والسنة حتى تضع الجارية ، فان وضعت غلاما ربيناه ، وبايعناه ، وان وضعت جارية نظرنا فى أمرنا ، على انه احق الناس به لفضله ودينه وعلمه ، فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا " (١) .

وقد بلغ الاختصار فى بعض نصوص البكرى درجة الغموض ، مما يجعل الدارس حائرا فى فهم بعضها ويقدم هذا على ما ذكره عن مقتل شخصيتين كبيرتين فى تاريخ الادارسة هما راشد مولى ادريس واسحاق بن عبد الحميد الاوربى فبالرغم من الدور الكبير الذى قام به راشد مولى ادريس واسحاق بن عبد الحميد الاوربى فى تاريخ المغرب فان البكرى لم يصرح اطلاقا كانما قد ورد مقتل راشد فى عبارة مختصرة مبهمة حين قال : " توفى راشد سنة ست وثمانين ومائة " (٢) .

وهذا يخالف الواقع لان وفاة راشد لم تكن طبيعية بل كانت بتدبير من ابراهيم بن الاغلب الذى صرف همه وامواله بين البربر ، واستمالهم لقتل راشد حتى قتلوه (٣)

---

(١) الانيس المطرب بروض القرطاس ج ١ ص ٢٧ ــ ٢٨ .
(٢) المغرب ص ١٢٢ .
(٣) ابن الابار : الحلة السيراء ج ١ ص ٥٤ تحقيق حسين مونس ١٩٦٣ م .

وقد استخدم ابراهيم بن الاغلب اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي واستماله اليه حتى تمكن من اسحاق ، وساعده على اغتيال راشد ، ولكن البكرى يورد اغتيال ادريس لاسحاق دون مقدمات مقنعة فكلما نعرفه عن اسحاق الاوربي من خلال مادة البكرى انه على علاقة طيبة بادريس بن ادريس ووالده ادريس بن عبد الله من قبله وفجأة يذكر البكرى ان ادريس قام بقتل اسحاق دون ان يشرح للقارىء التطور الذى حدث في علاقاتهما حتى ساءت ووصلت الى هذا الحد .

يقول البكرى : " وقتل اسحاق وهو القائم به وبأبيه يوم السبت لخمس خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومائة "(1) . فمادة البكرى هنا لا يمكن فهمها الا باللجوء الى مصادر أخرى تكمل النقص الذى تركته . ولقد يرد في مادة البكرى نقص من نوع آخر وهو سقوط بعض الفترات التاريخية مثل سقوط ولاية يحيى بن محمد من مؤلفه ويتطلب ذلك الرجوع الى المصادر التاريخية لاكمالها وفي مادته عن الادارسة ترد ظاهرة الشعر العربى الذى يتصل بالاحداث مثل الشعر الذى ورد عن الحرب التى وجهتها الخلافة العباسية ضد الادارسة حين حاولت التشكيك فى نسب ادريس بن ادريس الثانى ، مستندين فى ذلك الى أمرين : اولهما التصاق راشد بادريس ، وراشد مولى لعيسى بن عبد الله اخى ادريس بن عبد الله . والامر الثانى : ما عرف عن أم ادريس

---

(1) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٥ .

كنـزة بانها جاريـة ، وصمت الخلافة لتمكنه في هذا النسب حتى تصرف أنصار ادريس عنه فأورد البكري أبياتا لمحمد المسهري يهجو بها القاسم بن ادريس جاء فيها :

قل للزنيم زنيم طنجة عنهما
لا يحسدنك في بلادك حاسد
منتك نفسك ان تكون خليفة
هيهات هذا من حديثك بارد
لما رأيتك للشام مصاحبا
أيقنت حقا ان جدك راشد (١)

وخلاصة الامر ان البكري نهج في دراسته التاريخية منهجا مكانيا ، اهتم فيه بترتيب احداث التاريخ وفقا للامكنة التي وقعت فيها ، ولم يهمل احترام الزمان في ترتيب الاحداث لاعتبارات ظروف الدولة كما فعل غيره وانما غرضه عليه تتبعه للمسالك والطرق والاهتمام بسرح الاحداث وبذلك يحتضنها

---

(١) البكري : المغرب ص ١٢٦ .

منهجية تصوراً كاملاً لأثر العوامل الجغرافية في التاريخ . وداخل اطار هذا المنهج تلمسنا عدداً من الظواهر التي يكثر ورودها عنده فقمنا بابرازهما وتوضيحهما بالامثلة كما أشرنا الى الشعوب التي وردت خلال آثاره التاريخية وقدمنا عدد الامثلة الموضحة لهما .





الفصل السادس

الفصل السادس

دراسة المدن

تأسيس المدن — دراسة لبعض المدن التي درسها البكري — ميزات مادة البكري عن دراسة المدن — تطبيق منهجه في الدراسة على مدينة فاس — البكري أول دارس مغربي يشير لتاريخ تأسيس مدينة فاس — موقف المستشرق الفرنسي بروفنسال من رواية البكري — الادلة المادية لنظرية بروفنسال حول تأسيس مدينة فاس — الادلة التاريخية على نظرية بروفنسال — استخدام بروفنسال لنصوص البكري — مناقشة رأى بروفنسال — الادلة التي تؤيد رواية البكري.

الفتح العربي للمدن: صعوبة العثور على أخبار الفتح في مسالك البكري — مصادر البكري حول أخبار الفتح — نموذج لبعض الروايات التي انفرد بها البكري — الترتيب المكاني لاخبار الفتح — جدول زمني لفتوحات معاوية بن حديج — الاسطورة في اخبار الفتح — سياسة القسوة مع أهل البلاد المفتوحة لم تحقق أهداف عقبة.

٭ ٭

من الضروري بعد تتبع آثار البكري التاريخية التي تتضح لنا فيها عنايته بتاريخ

تأسيس المدن ، وتاريخ الفتح العربى لتلك المدن أن تتناول بالبحث شرح أهمية نصوصه التاريخية فى دراسة المدن الاسلامية ، ويشمل ذلك تاريخ تأسيسها ، والفتح العربى لها .

أما عن تأسيس المدن فان مادة البكرى عنها تتسم بالكثرة والغزارة ، وقد تعرض لتاريخ تأسيس عدد كبير من المدن ، نذكر من بعضها مدينة " رقاده " التى أسسها ابراهيم بن الاغلب سنة ٢٦٣ هـ وقد انتقل اليها من مدينة القصر القديم وقد كانت مدينة القصر القديم دارا للامراء من بنى الاغلب ، وذكر البكرى فى مسالكه تأسيس مدينة المسيلة على يد أبى القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة ٣١٣ هـ وهكذا عنى البكرى فى القسم الخاص بالمغرب وافريقية بذكر اكثر من اربعين مدينة[1] ، ومادة البكرى عن تأسيس المدن وثيقة تاريخية هامة تمتاز بأمرين : أولهما — أن معظم رواياته عن تأسيس المدن يدعمها بالادلة ، ونمثل لهذا بما أورده عن تأسيس مدينة آشير التى أسسها زيرى بن مناد ، فيورد البكرى بعض الابيات التى تثبت ذلك :

يا أيها السائل عن غرضهــــا

وعن محل الكفـر آشـــير

---

(1) الغنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ، ص ٢٣ ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٣ م .

عن دار غمق ظالم أهلهـــــــا
قد شيدت للافك والـــــزور
أسسها الطاعـــون زبيرهـــــا
فلعنة الله علـــى زبـــــرى (١)

ثانيهما ـ أن تلك المادة تتميز بالخلو من القصص والاساطير التي طالت اليهـــا بعض المصادر الاخرى ويتضح هذا من مقارنة روايته حول تأسيس مدينة تيهرت برواية الشماخي فبينما يورد الشماخي الرواية الاسطورية حول نشأتها ، فيقول : " وذكروا أنهم رأوا بها وحشا تحمل أولادها في أفواهها يعني سباعا والله اعلم فأرسلوا مناديــا فنادى بأعلى صوته من بها من الوحش أن اخرجوا وارتحلوا فانا مريدون عمارتهــــا نازلون بها واجلوا ثلاثة أيام " (٢) .

نجد البكري لا يميل الى ذكر الاسطورة حول تأسيس المدينة فيروى عن تأسيسها أن عبد الرحمن بن رستم بعد أن تولى أمر الاباضية نزل بتيهرت " فاجتمعت اليـــه الاباضية واتفقوا على تقديمــــه وبنيـــان مدينة تجمعهـــم ، فنــــزلوا موضـــــع

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٦٠ .
(٢) الشماخي : سير علماء ومشايخ جبل نفوسه ، القاهرة ص ١٣٣ ـ ١٣٩ .

تيهرت[١] اليوم وهو غيضة أشبة ونزل عبد الرحمن منه موضعا مربعا لا شعراء فيه ، فقال البربر نزل تاقدمت تفسيره الدف شبهوه بالدف لتربيعه ، وكان موضع تيهرت ملكا لقوم مستضعفين من مراسه وصنهاجة فاراد هم عبد الرحمن على البيع ، فأبوا فوافقهم على أن يؤدوا اليهم الخراج من الاسواق ويبحوا لهم بنيان المساكن ، فاختطوا وبنوا وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم " (٢) .

ولما كانت مادة البكرى بهذه الدقة من العناية بتاريخ تأسيس المدن فسوف ترجح روايته فى الخلاف حول تأسيس المدن ، وسوف نطبق ما نقول على مادته حول تأسيس مدينة فاس كنموذج يتضح من خلاله أهمية نصوصه بذلك باعتبارها أول مصدر مغربى يتحدث عن تأسيس تلك المدينة يشاركه فى هذا السبق ابن حوقل من علماء المشرق ، وقد اتفقت رواية ابن حوقل ورواية البكرى على أن مدينة فاس أسست فى عهد ادريس بن ادريس بن عبد الله أو ادريس الثانى ، يقول البكرى : " ومدينة فاس مدينتان مفترقتان اسست عدوة الاندلسيين فى سنة اثنتين وتسعين ومائة فى ولاية ادريس بن ادريس " (٣) .

---

(١) تقع مدينة تيهرت على واد يسمى مينه ويقال بان تيهرت تمر بها عيون نابعة من نهر مينه . ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٢١ ـ القاهرة .
(٢) للبكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٦٨ .
(٣) البكرى : المصدر السابق ص ١١٥ ـ ١١٦ .

وسوف نناقش رواية البكرى ووضعها من الصحة فى ضوء الجدل التاريخى الذى آثاره المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال ، حين خرج بنظرية جديدة حول تأسيس مدينة فاس فى مؤلفه الاسلام فى المغرب والاندلس[1] .

بدأ بروفنسال الشك فى رواية البكرى فذكر أن " هناك رواية شائعة وردت فى سائر الكتب الخاصة بتاريخ شمال افريقية تعزو تأسيس مدينة فاس الى ادريس الثانى بن ادريس الاول وخليفته ، وهى رواية قديمة جدا نجد أول صدى لها فى كتاب لمؤلف جغرافى مشرقى من أهل القرن العاشر الميلادى ونعنى به ابن حوقل وفى النصف الثانى من القرن التالى ردد هذه الرواية المؤرخ والجغرافى الاندلسى أبو عبيد البكرى[2] .

ووجه بروفنسال نقدا الى الذين اخذوا برواية البكرى لانهم " سجلوا الرواية القديمة على انها حقيقة لا جدال فيها " [3] .

---

(١) ترجم الكتاب الى العربية السيد محمود عبد العزيز سالم ونشرته نهضة مصر ١٩٥٦م .

(٢) بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ص ١ .

(٣) بروفنسال : المصدر السابق ص ٢ .

ونلاحظ أن بروفنسال يهتم برواية البكرى اكثر من رواية ابن حوقل لان البكـــرى كما يقول عنه " رسم تهما للبيانات التى جمعها ـ أول وصف شامل لمدينة فاس ، امكننا الوصول اليه ، فقال ان هذه المدينة تتكون من مدينتين مختلفتين ويحيط بكل منهمـا أسوار ، كما يفصلها نهر هديـد وهو يسمى احداهما ضفة القرويين والثانية ضفــة الاندلسيين ، وتقع الاولى الى الغرب من الثانية ، وهو يقرر فى وصف هذا أن المدينة الواقعة على ضفة الاندلسيين قد أسست سنة ١٩٢هـ (٨٠٨م) ، وأن مدينة ضفــة القرويين قد أسست فى السنة التالية فى عهد ادريس بن ادريس " (١) ، ويطرح بروفنسال ثلاثـة اسئلة لا تجيب عليها مادة البكرى ولا مادة الذين اخذوا بروايته.

السؤال الاول : كيف استطاع ادريس الثانى على الرغم من صغر سنه تنفيذ مشروع ضخم كتأسيس مدينتين متباينتين فى مكان واحد ؟

السؤال الثانى : اذا سلمنا بأن هاتين المدينتين لم تكونا سوى حيين لمدينة واحدة فلماذا جعل لكل منهما سورا خاصا بها بدلا من احاطتهما معا بسور واحد ؟

السؤال الثالث : لماذا آثر ايجاد هذا التعارض المنصرى والسياســـى والاجتماعى لمدينتين متماثلتين وهو تعارض قد تجلى عقب وفاته بقليل " (٢) .

---

(١) بروفنسال : المرجع السابق ص ٢ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢١ .

ويرى بروفنسال ان المصادر التى أوردت تأسيس مدينة فاس فى عهد ادريس بن ادريس لا تعطى اجابة عن الاسئلة المطروحة سابقا ولهذا شك بروفنسال فى رواية البكرى السابقة وخرج علينا بفرض عن نظرية جديدة فى تأسيس مدينة فاس تخالف ما ذهب اليه البكرى وترجع بتأسيس المدينة الى عهد ادريس بن عبد الله او ادريس الاول حين انشأ عدوة الاندلسيين . وأما عدوة القرويين فقد أسسها ادريس بن ادريس أو ادريس الثانى . أما الادلة التى يستند اليها بروفنسال فتنقسم الى قسمين :

القسم الاول : أدلـة ماديـة :

يقول بروفنسال : " لدينا منذ زمن بعيد الدليل المادى الذى يثبت أن ما ورد فى كتب التاريخ أمر يبعث على الريبة ولم نفد من هذا الدليل شيئا مع انه ثابت لا سبيل الى دحضه لانه مبنى على وثائق لا يرقى اليها الشك ونعنى بذلك النقود المؤرخة .

(أ) فى المكتبة الاهلية بباريس درهم كان قد ضرب بمدينة فاس سنة ١٨٩ هـ (٨٠٥م) اى قبل التاريخ المتواتر عن تأسيس مدينة ادريس الثانى بسنتين وقد أشار " لافو" الذى نشر هذه القطعة سنة ١٨٩١م الى وجود درهم آخر فى متحف

" خاركوف " ضرب فى مدينة فاس وعليه تاريخ سنة ١٨٥هـ وهذه الادلة فـــى رأى بروفنسال لاتهدينا الى الشخصية التى أسست مدينة فاس ولكنها تقطع لنا الشك فـى أن ادريس الثانى ليس هو المؤسس لمدينة فاس • وواصل بروفنسال بحثه لاثبـــات مؤسس مدينة فاس وتحديده ويعتمد فى تحديد مؤسس مدينة فاس على نوع آخر مـــن الادلة يسميه بالادلة التاريخية (١) وهى عبارة عن نصوص يصفها " بانها تحيل مـــا افترضه الى تأكيـــد لانقاش فيه ولا جدال " لانها تشير فى صراحة الى ان ادريـــس ابن عبد الله أو ادريس الاول هو مؤسس مدينة فاس •

الدليل الاول : نص لابن الابار فى الحلة السيراء نقله عن الرازى : " ذكـــر الرازى ان ادريس بن عبد الله بن ادريس دخل سنة ١٧٢هـ فى شهر رمضان / فبراير سنة ٧٨٩م وذلك بعد أن هرب للخلاص من تعقب أبى جعفر له حيث يقف فى بقعـــة تدعى وليله قرب وادى الزيتون حيث اجتمعت حوله قبائل البربر واتخذته زعيما لهـــا فأسس مدينة فاس التى كان موضعها بركة مغطاة بالاعشاب " (٢) .

الدليل الثانى : نص ورد فى صبح الاعشى أخذ روايته عن أبى سعيد فـــى المغرب " قال ابن سعيد فى المغرب وهى مدينتان احداهما بناها ادريس بن عبد الله

---

(١) بروفنسال : نفس المرجع ص ١٥•

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ج ١ ص ٥٤ ـ ٥٥ القاهرة• بروفنسال • نفس المصدر ١٩٦٣

أى ادريس الاول ، أحد خلفاء الادارسة بالمغرب وتعرف بعدوة الاندلسيين والاخرى بنيت بعدها وتعرف باسم عدوة القرويين .

الدليل الثالث : نص البكرى أخذه من النوفلى " وقتل اسحاق وهو القائم بسبه وابيه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة اثنين وتسعين ومائة وبعث برأسه الى المشرف مع احمد وسليمان ابنى عبد الرحمن ثم نزل مدينة فاس فى عدوة الاندلسيين وأقام بها شهرا وذلك سنة اثنين وتسعين ومائة . ولما كانت عدوة القرويين غياضا فى اطرافها ابيات من زواغة فارسلوا الى ادريس فدخل عندهم فأسس مدينة القرويين سنة ثلاث وتسعين " (١) .

ويستدل بروفنسال بهذا النص ليثبت ان مدينة فاس كانت مؤسسة قبل مجىء ادريس اليها ، والا لما نزل فيها كما يخبر النص (٢) .

ومناقشتنا لنظرية بروفنسال تنصب على نقطتين :

الاولى : استخدام بروفنسال لنصوص ابى عبيد البكرى .

والثانية : موضع رواية البكرى من الصحة وعدمها .

---

(١) المغرب ص ١٢٣ ــ الجزائر سنة ١٨٥٧ م .

(٢) بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ص ٢٠ ــ ٢٨ .

اما عن استخدام بروفنسال لنصوص البكرى فنلاحظ هذه ه اضطرابا وتناقضا فى الرأى فمرة يخطئ رأى البكرى الذى يشير صراحة الى ان ادريس بن ادريس هو موسس مدينة فاس[1] ومرة أخرى يستخدم نصا للبكرى ليوئيد به دعواه فى ان ادريس بن عبد الله هو موسس مدينة فاس[2] ويفهم من هذا أن بروفنسال يجعل للبكرى رأيين حول نشأة مدينة فاس ه والواقع خلاف ذلك فنستبعد ان يكون للبكرى رأيان متناقضان حول موضع واحد والصحيح ان البكرى أشار فى صراحة ووضوح الى أن مدينة فاس بعدوتيها قد أسست فى عهد ادريس بن ادريس ه اما الرأى الثانى فهو اجتهاد من بروفنسال فى تفسير النص ليوافق رأيه وهو فى رأينا تفسير لا يثبت امام الحقيقة فقد فهم بروفنسال من نص البكرى أن فاسا كانت قائمة بالفعل لان ادريس الثانى نزل اليها ليقيم بها شهرا " ثم نزل مدينة فاس فى عدوة الاندلسيين وأقام بها شهرا ه وذلك سنة اثنين وتسعين ومائة " [3] ه ولو سمحنا لانفسنا بتفسير نص البكرى على النحو الذى ذهب اليه بروفنسال لا مكننا أن نثبت أن مدينة فاس قد أسست قبل قيام دولة الادارسة ه فللبكرى نص آخر عن قدوم راشد وادريس الاول الى المغرب

---

(١) بروفنسال : المرجع السابق ص ٢ ٠

(٢) المرجع السابق : ص ٢٣ ٠

(٣) المرجع السابق : ص ٢٣ ٠ والمغرب : ص ٢٣ ١٠

يقول فيه : " ركب راشد في احد شقي المحمل ووضع متاعه في الشق الآخر ومضى مع الناس في القافلة ، وخرج الرجل على فرس له وحمل ادريس على فرس أخرى فمضى به في الطريق الغامضة وهي مسيرة ايام حتى تقدم الرفقة واقاما ينتظرانها حتى وردت فركب ادريس مع راشد حتى قربا من افريقية فتركا دخولها وسارا في بلاد البربر حتى انتهيا الى بلاد فاس " (١) .

واذا طبقنا طريقة بروفنسال في الاستدلال لقلنا أن مدينة فاس قد أسست قبل ادريس الاول نفسه لانه عندما جاء الى بلاد المغرب لاول مرة وصل الى بلاد فاس وظاهر نص البكري يؤيد هذا ولكن حقيقة النص تعني أنه يقصد بفاس موضع مدينة فاس وهو ما قصده البكري في النص الذي استدل به بروفنسال اى ان ادريس الثاني وصل الى موضع مدينة فاس .

وخلاصة ما تقدم يثبت عدة أشياء :

١ـ أن نصوص البكري لا تنهض دليلا على نظرية بروفنسال .

٢ ـ لا يوجد للبكري حول تأسيس مدينة فاس سوى رأي واحد وضعه بصورة لا تحتاج الى تأويل .

---

(١) المغرب ص ١٩١ .

٣ـ لجأ بروفنسال الى اجتهاد خاطئ في تفسير نصوص البكرى ليؤيد بـه رأيـه .

بقى لنا أن نوضح النقطـة الثانية من هذه القضية وهى موقع رواية البكرى مـن الصحة وعدمها وهى نتيجة تنتهى اليها بعد أن نجيب على بواعث الشك عند بروفنسال فقـد :

أ) تساءل بروفنسال مشككا في رواية البكرى كيف استطاع ادريس الثانى بالرغم من صغر سنه تنفيذ مشروع ضخم كتأسيس مدينتين متباينتين في مكان واحد ؟

والاجابة على ذلك سهلة ، اذا عرفنا أن تجمعات المهاجرين والعايخـين من العرب والبربر كانت تمثل رصيدا من القوة اعتمد عليه ادريس الثانى في اقامة مشروع كهذا وقد اعترف بروفنسال نفسه بهذه الامكانيات حين قال " وكان ادريس الثانـى صغيرا جدا لا يحتمل وحده عبء قرار كهذا ولكنه لم يعدم مشيريـن من بين خلصائـه العرب وفي مقدمتهم وزيره عمير بن مصعب" (١) .

---

(١) الاسلام في المغرب والاندلس ص ٣٨ .

ب) لم يتضح لبروفنسال المغزى من تأسيس مدينتين متجاورتين لانهما لــــو كانتا حيين لمدينة واحدة لجمعهما ادريس في سور واحد وهذا التساؤل تجيـــب عليه رواية زهرة الاس ، والروض القرطاس بأن بناء حيين لمدينة واحدة أمر فرضتــه الظروف فقد هاجرت أعداد كبيرة من القيروان والانـــدلس الــــى ادريس الثاني بوليلى ، فلم تتسع المدينة لهم فقام ادريس واسس مدينة فاس من عدوتين أنزل الوافدين عليه من الاندلس بعدوة الاندلس وانزل الوافدين عليه من القـــيروان بالعدوة الغربية منها فسميت لذلك بعدوة القرويين[1] .

جـ) وتساءل بروفنسال ثالثا : لم آثر ادريس الثاني ايجاد هذا التعارض العنصري والسياسي والاجتماعي لمدينتين متماثلتين ، وهذا التساؤل فيه نوع مــن الغرابة فمرة نرى بروفنسال يتهم ادريس بأنه صغير السن لا يستطيع أن ينفذ مشروعــا ضخما مثل عدوتي مدينة فاس ويأتي مرة اخرى فيطالبه بالرغم من صغر سنه بالحكمة حتى لا يقع في تعارض عنصري بانشاء مدينتين .

أما أدلة بروفنسال المادية بالعملة المؤرخة فان المصادر تشير الــــى أن ادريس بن عبد الله أو ادريس الاول توفي سنة ١٧٥هـ[2] والعملة التي تشير اليهمـــا

---

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ج ١ ص ٣٦ .

(٢) البكرى : المصدر السابق ص ١٢٢ .

بروفنسال قد ضربت بعد ذلك سنة ١٨٩هـ ، أما رواية ابن سعيد التى استند اليها بروفنسال فيقدم القلقشندى رأيا مخالفا لها حين يذكر بعدها قوله " وكان بناء عدوة الاندلس سنة اثنتين وتسعين ومائة وبناء عدوة القرويين سنة ثلاث وتسعين ومائــة " (١) .

اما رواية ابن الابار التى اخذها عن الرازى فاننا نشك فى قيمتها التاريخيـة لسببين الاول يقوم حول صحة نسبتها للرازى ، فقد ثبت لنا ما تقدم معرفـة البكرى وتأثره بالرازى فقد أخذ عنه كثيرا (٢) فلو كان للرازى رواية ثانية حول تأسيس مدينة فاس لاثبتها البكرى بسبب ما عرف عنه من جمع للروايات المتعددة التى تسـدور حول الموضوع الواحد ، السبب الثانى ان النص المنسوب الى الرازى يحمل كثيرا مـن الاخطاء فيختلف مع التواريخ المثبتة حول دخول ادريس بن عبد الله للمغرب ، فيذكر دخول ادريس للمغرب سنة ٢ ٧هـ والصحيح ان دخوله كان سنة ١٧٢هـ ، وبينما تورد المصادر وفاة ادريس سنة ١٧٥هـ (٣) تذكر رواية الرازى وفاته سنة ١٧٤هـ ولذلك فاننا

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٥٤ الطبعة الاميرية سنة ١٩١٥م .
(٢) البكرى : جغرافيـة الاندلس واوربـا ص ٢٥ ١ ـ تحقيق عبد الرحمن الحجى
(٣) ابن الاثـير : الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٩٠ طبعة بولاق .

لا نطمئن الى هذه الرواية التي استند اليها بروفنسال •

والخلاصة اننا نخرج من هذا النقاش بصحة رواية البكري حول تأسيس مدينة فاس على يد ادريس بن ادريس وهو ادريس الثاني، وندعم روايته بالادلة الآتية :

(أ) قصر مدة ادريس بن عبد الله أو ادريس الاول تجعلنا نشك في تأسيسه لمدينة فاس فقد دخل ادريس الى المغرب سنة ١٧٢هـ وتوفي سنة ١٧٥هـ ففترته لا تعدو ٣ سنوات•

(ب) احتياج ادريس بن عبد الله في تلك الفترة للحماية من يد الخلافة العباسية التي ظلت تلاحق العلويين ، وقد وجد ادريس الاول تلك الحماية على يد قبائل اوربه في مدينة وليلى ، ولذلك نستبعد ان يخاطر ادريس بنفسه وينفرد في مدينة تعرض حياته للخطر•

أما اخبار الفتح العربي لمدن المغرب فانها جاءت مفرقة في تضاعيف كتاب البكري ونشأ من ذلك صعوبات كثيرة في تتبع تلك المادة بسبب صعوبة العثور عليها [1] وقد اعتمد البكري في اخبار الفتح العربي لتلك المدن على مصادر متعددة اهمها ابن

---

(١) مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ص ٣٠٦ مدريد ١٩٦٧م•

عبد الحكم والليث بن سعد وابن لهيعة ، وبالرغم من اهتمامه الكثير بروايات ابن عبد الحكم واصوله الليث بن سعد وابن لهيعة الا ان ذلك لم يسيطر على شخصيته فرأيناه يرجح آراء غيرهما من ذلك انه يجمل لمعاوية بن خديج غزوة واحدة لافريقية تمت سنة ٤١هـ[١] ، فى حين يجمل ابن عبد الحكم لمعاوية ابن خديج ثلاث غزوات على افريقية سنة ٣٩هـ ـ سنة ٤٠هـ ـ سنة ٥٥هـ[٢] ، وعلى الرغم من صعوبة العثور على معلومات البكرى التاريخية حول أخبار الفتح العربى لمدن المغرب فان تفرده بروايات عن الفتح لم ترد عند غيره ، تجعل لمادته أهمية تدفع الدارس الى بذل الجهد فى استخلاصها ومناقشتها ، ومن تلك الروايات التى انفرد بها البكرى ما ذكره عن فتح العرب لقرطاجنة فقد حدث خلاف كثير بين المؤرخين خلطوا فيه بين فتح العرب لقرطاجنة فى الحملة الاولى لحسان سنة ٧٤هـ وفتحها الثانى سنة ٧٩هـ فلم يفرقوا بين الصلح والعنوة[٣] ، ولكن البكرى وضح برواية انفرد بها امرين :

أولهما : ان الصلح كان فى الحملة الاولى لما " كان مكر صاحب قرطاجنة أيضا بحسان بن النعمان فان الروم لما فروا عنها وبقى عليها مرناق صاحبها ليس معه

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٨ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٦١ ـ طبعة لجنة البيان العربى .

(٣) سعد زغلول : المغرب العربى ص ١٩٤ .

الا أهله بعث الى حسان هل لك أن تعاهدنى وولدى وتقطع لنا قطائع اشترطها عليك وافتح لك بابا فتدخل المدينة على من فيها فأجابه الى مسألته واشترط عليه المنازل التى بين الجبلين التى يقال لهما فحص مرناق وهى اذ ذاك ثلاثمائة وستون قرية ثم فتح لهم الباب فلم يجدوا أحدا بها غيره وغير ولده وأهله فتم له حسان ما اشترطه "أى صالحه" وانصرف الى القيروان (١) ويثبت هنا ان صلحا حدث ولم يحدث تخريب واما فى الرواية الثانية فيشير الى ان الروم شنوا حملة بحرية مفاجئة على من كان بقى من المسلمين فقتلوا وسبوا " (٢) ، وكان هذا سببا فى الحملة الثانية التى فتحت بسببها قرطاجنة عنوة .

اما ترتيب البكرى للمدن المفتوحة فانه لم يرد على حسب زمان فتحها وانما جاء بحسب الترتيب المكانى وتقدمه فى المسالك التى يمر عليها فمثل ذلك بالمدن التى فتحها معاوية بن حديج فى حملته على افريقية فقد وردت تلك الاماكن فى كتاب البكرى مرتبة على النحو الآتى :

(أ) جميه (ب) جلولاء (ج) سوسة (د) بنزرت (هـ) قوصرة ، بينما فتحت هذه المدن على ترتيب زمنى يغاير ترتيب البكرى واذا أردنا وضعها فى جدول زمنى زمنى ترتيبها فانه سيأتى على النحو الآتى :

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(أ) قمونيه . (ب) سوسة (جـ) جلولاء (د) بنزرت (و) جربه .

ويمكن للدارس أن يستشهد من مادة البكري التاريخية حول فتح المدن بمحاولة تخليصها من تضاعيف الكتاب وترتيبها بعد جمعها ترتيبا يكشف عن أهميتها ، وذلك بوضعها حسب الجدول الزمني للفتح وبذلك تصبح وثيقة تاريخية مهمة وخالصة من العيوب ونمثل لذلك بنموذج قمنا بترتيب مادته حسب الجدول الزمني للفتح ، وهذا النموذج مأخوذ من فتوحات معاوية بن حديج ويبدأه البكري بالاشارة الى بلد قمونيه وبالرغم من أنه لا يشير الى تاريخ فتحها فانه يحدد لنا موقعها ، فيقول بأنها كانت قريبة من القيروان : " ومنها يحمل التين نيئا الى القيروان " (١) وهذا يصحح ما ذهب اليه ابن عبد الحكم حين وضعها في مكان القيروان (٢) .

وقد أيدت المصادر ما ذهب اليه البكري فذكر ابن خرداذبه أن قمونيه من موضع القيروان على ألفي ميل ومائة وخمسين ميلا (٣) ، وعندما سمع البيزنطيون بالغزو العربي لافريقية أرسل الامبراطور البيزنطي بطريقا من بطارقة الروم يدعى نقفور لمواجهة

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ٧٥ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٠ – ٢٦١ لجنة البيان العربي ١٩٦١

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٩١ مطبعة بريل ١٨٨٩ م .

الغزو فأرسل له معاوية ابن خديج جيشا بقيادة عبد الله بن الزبير حتى نزل بمكان عال فانهزم البيزنطيون وتحصنوا بمدينة سوسة ، وفي ذلك يقول البكرى : " وكان معاوية بن خديج قد بعث اليها عبد الله بن الزبير في جمع كثيف وكان بلغه أن نقفورا بطريقا من بطارقة الروم أنفذه ملكهم في ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى نزل شرفا عاليا ينظر منه البحر ، بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا ، فلما بلغ ذلك نقفورا رجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير في جيشه حتى بلغ البحر ، فنزل على باب مدينة سوسه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا أدبارهم " (١) . وبعد أن افتتح معاوية سوسة أراد ان يحقق غرضين مهمين ، فقد وجد نفسه امام قوتين كبيرتين الاولى مقاتل البربر في غربه والثانية الروم في شماله ، فاختار معاوية بن خديج عبد الملك بن مروان ليتجه غربا صوب البربر بينما اتجه بنفسه شمالا ، وقد اتجهت حملة الغرب بقيادة عبد الملك بن مروان لتكسر شوكة القوى البربرية حتى وصلت الى حصن جلولاء يقول البكرى : " ومن القيروان الى مدينة جلولاء اربعة وعشرون ميلا ... وفتح مدينة جلولاء كان على يدى عبد الملك ابن مروان وذلك انه كان مع معاوية التجيبى في جيشه فبعثه الى مدينة جلولاء في الف رجل فحاصرها فلم يصنع شيئا فانصرف راجعا " (٢) وبالرغم من فشل عبد الملك في

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ٣٤ـ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ـ٣٢ .

اقتحام الحصن فان طول حصاره له ومحاولة اقتحامه أثر في جدران ذلك الحصن وجعله آيلا للسقوط ، وقد انهار بعد ذهابه عنه يقول البكري : " فلم يسر الا يسيرا حتى رأى في ساقه الناس غبارا شديدا فظن أن العدو يتبعهم فكر جماعة من الناس لذلك وبقى من بقى من مصافهم فاذا بمدينة جلولاء قد تساقط من سورها حائط فدخلهـــا المسلمون وغنموا ما فيها " (١) .

وبينما يجعل البكري فتح مدينة جلولاء على يد عبد الملك بن مروان يتردد مؤرخ كابن عبد الحكم بين عبد الملك بن مروان ومعاوية بن خديج (٢) ، مما يدل علـــى أن البكري لا ينقل حرفيا عن ابن عبد الحكم ولكنه يأخذ بالرأي الذي يرتضيه ويشير البكري في هذا الفتح الى خلاف وقع بين معاوية بن خديج وعبد الملك بن مروان حول قسمة الغنائم فيرى معاوية بن خديج الا تكون الغنيمة خاصة بالجند الذين اقتحموا الحصن فحسب بل تقسم على كل الجيش واحتدم الخلاف بين الطرفين حتى انهم كتبـــوا لمعاوية بن ابي سفيان بتقسيم الغنائم على عامة الجيش يقول البكري : " فاختلـــف الناس في الغنيمة فكتب في ذلك الى معاوية فراجع يقول ان العسكر رده للسرية فقسم الفئ بينهم فاصاب كل رجل منهم لنفسه مائتي درهم وللفرس سهمان ، قال عبد الملك فاخذت لنفسي ولفرسي ستمائة درهم واشتريت بها جارية " (٣) .

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ٣٢ـ٣٣ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٦ لجنة البيان العربي .
(٣) البكري : المصدر السابق ص ٣٢ .

وينفرد البكرى برواية توضح جذور الخلاف بين معاوية بن خديج وعبد الملك بن مروان فيذكر أن معاوية بن خديج حاول ومعه جنده فتح حصن جلولاء وكان يحارب اهل جلولاء فى منتصف النهار امام باب المدينة وينصرف عنهم وقد نسى عبد الملك قوسه معلقة على شجرة فلما رجع اليها وجد سورا من المدينة قد انهدم فاستدعى جنده الى المدينة فهزمها واستولى على غنائمها للجند الذين معه باعتبارهم باشروا الفتح ولكن ذلك السلوك لم يرض معاوية بن خديج ومن معه من الجند فقد بذلوا جهدا فى فتح المدينة ومازالوا يترددون على حربها فى منتصف كل نهار فهم شركاء فى هذا الفتح لانهم اوهنوا قوة السور بحملاتهم المتكررة فهم على ذلك يستحقون القسمة فى الغنائم وان فاتهم حضور الفتح الفعلى لجلولاء على يد عبد الملك بن مروان ، يقول البكرى :

" وقاتل بل نازلها معاوية بن خديج فكان يقاتلهم على باب المدينة صدر النهار نقاتلهم يوما فلما انصرف اليها فاذا جانب من المدينة قد انهدم فصاح فى اثر الناس فرجعوا فقد روايتة شديدة فظنوا ان العدو قد ضرب فى ساقتهم فغنموها "[1] .

وينفرد البكرى ايضا برواية أخرى لا نجدها عند بقية المؤرخين تؤكد استمرار العداء بين معاوية بن خديج وعبد الملك بن مروان بالرغم من انتصار معاوية بن أبى سفيان لمعاوية بن خديج على أحد افراد البيت الاموى وهو عبد الملك بن مروان ، يقول

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٢ــ٣٣ .

البكرى : " قالوا ولما كان من عبد الملك بن مروان ما كان ومنازعته لمعاوية بن خديج على فيئهما ثقل على معاوية بن خديج فكان يتجهمه ولا يقبل عليه فرأى حنش الصنعانى عبد الملك بن مروان وهو متمكر متغير اللون فقال له : ما شأنك فقال : انى أبعد قريش مجلسا من الامير " (١) .

ويبدو أن استمرار الخلاف بين معاوية وعبد الملك بن مروان يعود الى اعتقاد معاوية بن خديج فى أنه القائد والامير وأن عبد الملك لم يأتمر برأيه الا بعد ان اتته الاشارة من معاوية بن ابى سفيان لينصاع فيقبل قسمة الغنائم على كل الجيش . ويظهر من عرض البكرى لهذه الحادثة صلابة شخصية عبد الملك بن مروان باعتباره أحد أفراد البيت الاموى وأن معاوية بن خديج مهما فعل لا يعدو أن يكون فردا مخلصا أدى خدمات جليلة للبيت الاموى ولذلك تنبأ التابعى بالامر لعبد الملك بن مروان .

يقول البكرى : " ان حنشا قال لعبد الملك بن مروان عندما رآه يفكر فى خلافه مع ابن خديج " لا تغتم والله لتلين الخلافة وليصيرن هذا الامر اليك " (٢) . وهذا ما دعا عبد الملك بالوفاء لحنش الصنعانى عندما أسره مساندا فى الحرب لعبد الله بن الزبير . يقول البكرى : " فلما افضت الخلافة الى عبد الملك بعث الحجاج لقتال عبد الله

---

(١) البكرى : نفس المصدر السابق ص ٣٣ .
(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها .

ابن الزبير فأخذ حنشا الصنعانى أسيرا فبعث به الى عبد الملك فقال له ألست الذى بشرنى بالخلافة ؟ قال " بلى " قال فلم ملت عنى الى ابن الزبير؟ قال رأيته يريد الله ورأيتك تريد الدنيا فملت اليه عنه وأطلقه " (١) .

اما حملة معاوية بن خديج التى اتجهت شمالا فقادها معاوية بن خديج بنفسه واتجهت صوب بنزرت يقول البكرى فى اخبار فتحها " وافتتحها معاوية بن خديج سنة احدى واربعين وكان معه عبد الملك بن مروان " (١) .

وتكشف رواية البكرى عن فتح بنزرت تلك المعاملة الحسنة التى لقيها سكان البلاد المفتوحة من العرب ، يقول البكرى عن عبد الملك بن مروان : " فقد عسكر الجيش فمر بامرأة من العجم من اهل بنزرت فسقته واكرمت مثواه فشكر ذلك لها فلما ولى الخلافة كتب الى عامله بافريقية فى المرأة وأهل بيتها فاحسن اليهم وظاهر النعم لديهم " (١) .

وقد رد الدارسون بهذا النص للبكرى على الغربيين الذين صوروا سمات النهب والسلب فى فتوحات المسلمين . (٢)

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٣٣ .

(٢) مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٢٥ ، ١ .

ومن المدن التي فتحها ابن خديج جزيرة جربة (١) فقد استخلف ابن خديج رويفع الانصاري وتركه على طرابلس فقام رويفع بفتح جزيرة جربة ، ويروي البكري عن فتحها قول حنش بن عبد الله الصنعاني غزونا مع رويفع بن ثابت الانصاري المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام فينا خطيبا فقال " ايها الناس لا أقول فيكم الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسقي ماء زرع غيره يعني اتيان الحبالى من السبي " (٢) .

ويتضح من تتبع مادة البكري اشتمالها على قصص وأساطير تتصل بالفتح العربي ، ومثل تلك القصص لا يصلح ان يؤخذ كحقيقة تاريخية يعتمد عليها ، ونمثل لذلك بما أورده البكري عن حملة عبد الله بن الزبير عندما اوفده معاوية بن خديج لتتبع الروم في سوسة عاصمة القيروان وكان جيش الروم كما تشير رواية البكري يقدر بثلاثين الفا ، ولكن هذه الكثرة لم يهتم بها ابن الزبير فأقبل يصلي العصر على مرأى من

---

(١) تقع جزيرة جربة في شرقي قابس بينها وبين البر مسافة قريبة يعبر اليها بالزوارق وتشتهر بالزيت والزبيب والرطب والتفاح والاكسية . ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ٤٥ ـ بيروت ١٩٧٠م .

(٢) البكري : المغرب ص ١٩ .

العدو وبعد صلاته هجم عليهم وهزمهم ونص البكرى على ذلك بقوله " وبين القيروان الى مدينة سوسة ست وثلاثون ميلا وكان معاوية بن خديج قد بعث اليها عبد الله بن الزبير فى جمع كثيف وكان بلغه ان نقفورا بطريقا من بطارقة الروم أنفذه ملكهم فى ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى بلغ شرفا عاليا ينظر منه الى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا فلما بلغ ذلك نقفور رجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير فى جيشه حتى بلغ البحر ونزل على مدينة سوسة وانحط عن فرسه وصلى بالناس صلاة العصر والروم يتعجبون من أمره وقلة اكتراثه بهم فاخرجوا اليه جمعا منهم كثيرا من كماتهم رجالا وركبانا فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوله حتى اذا قضى صلاته شد على فرسه فركبه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا ادبارهم حتى لجأوا الى مدينتهم وانصرف عنهم " (١) .

فالبطولة الاسطورية التى يضفيها البكرى على شخص عبد الله بن الزبير جعلت الدارسين يرفضون روايته يقول مونس ينسب البكرى الى ابن الزبير أمورا لا نزاع فى انها مختلقة كقوله ان العدو هاجمه وهو يصلى العصر فلم يكترث له واكمل صلاته ثم هجم عليهم فهزمهم " (٢) .

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ٣٥ .

(٢) مونس : فتح العرب للمغرب ص ٢١ .

أما النوع الثاني من روايات البكرى فيمكن اخذه كحقيقة تاريخية بعد أن تعطى تلك الروايات التفسير الحقيقي الذى يناسبها لانها موهمة وتتضمن احتمالات كثيرة فربما يفسرها الدارس تفسيرا يوقعه فى الخطأ ومن ذلك ما أورده البكرى عن الصلح الذى عقده عمرو بن العاص مع أهل برقة . وفيه أن عمرو بن العاص فرض على أهل برقة ثلاثة عشر الف دينار وأن يبيعوا ابناءهم نظير سداد تلك الجزية . يقول البكرى : " كتب عمرو بن العاص على لواته فى شرطه عليهم ان تبيعوا ابناءكم فيما عليكم من الجزية " (١) . ولا يمكننا قبول هذه الرواية على ظاهرها لان بربر لواته كرهوا حكم البيزنطيين الجائر وتعسفهم فى جمع الضرائب وارادوا الخلاص منهم على أيدى العرب (٢) .

وظاهر نص البكرى يدل على أن العرب سلكوا نفس التعسف فى جمع الاموال لاجبارهم لواته على بيع الابناء . وقد استبعدنا هذا الاحتمال لانه يوقعهم فى المسلك الذى اتبعه البيزنطيون واذن فلابد من تفسير يتفق مع النص ويتمشى مع واقع الاحداث والتفسير المعقول لتلك الرواية ما أورده الاستاذ حسين مؤنس من أن " كتابة الشروط المشار اليها انما كانت بعد التراضى والتفاهم على طريقة الاداء " (٣) .

---

(١) البكرى : المغرب ص ٥ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ١٤٣ .
(٣) مؤنس : المرجع السابق ص ٥٦ .

وتميل الى الاخذ بهذا التفسير المعقول لامرين اولهما شرط شرى الابناء ويعتبر امر غير مألوف عند العرب[1]. وثانيهما ان اهل برقة بادروا بتقديم الولاء للجيش العربي طائعين مختارين[2] ومن الروايات التي تتطلب تفسيرا مناسبا للواقع التاريخي ما أورده البكري من قصص كثيرة حول حملة عقبة بن نافع الاولى سنة ٤٦هـ فضلا عما تكشف عنه تلك الروايات من حقائق انفرد بها البكري من جهل عقبة بجغرافية تلك الجهات التي يفتحها واعتماده على سؤال اهل البلد التي يفتحها عن البلاد التي تليهم ، فقد ضمن البكري رواياته قصصا تهد ومتنافية مع طبيعة القائد المسلم ، فيروي البكري أن عقبة بن نافع أدب ملوك الجهات التي فتحها بالرغم من الطاعة التي ابدوها والتسليم له ، فصلم اذن ملك" ودان" وانزل ملك جرمه من عليته وأمشاه على الارض حتى بصق الدم من فمه ، واخذ ملك قصر كوار فقطع أصبعه ، يقول البكري : " سار — أي عقبة — بنفسه في اربعمائة فارس واربعمائة بعير وثمانمائة قربة ماء حتى قدم ودان فافتتحها وأخذ ملكهم فجزع اذنه ثم سألهم عقبة ، هل وراءكم أحد ؟ قالوا جرمه وهي مدينة فزان العظمى فسار اليها ثماني ليال من ودان فلما دنا منها أرسل فدعاهم الى الاسلام فاجابوا فنزل فيهم على ستة اميال وخرج ملكهم

---

(١) الزاوي : فتح العرب لليبيا ص ٣١ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣م .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ١٤٣ .

يزيد عقبة وأرسل عقبة خيلا حالت بينه وبين موكبه فامشوه راجلا حتى أتى عقبة وقد لقب " واى " وكان ناعما فجعل يبصق الدم ثم مضى عقبة من فوره الى قصور فزان فافتتحها قصرا قصرا حتى انتهى الى اقصاها وفيه ملكها فأخذه وقطع أصبعه ثم سألهم هل من ورائكم أحد فلم يعلموا من ورائهم احدا فكر راجعا الى قصر جاوان " (١) .

والحقيقة انه اذا لم توضع تلك الروايات فى وضعها الحقيقى فان الشك يخالج الدارس فى تصديقها لانها تخالف طبع القائد المسلم ولكننا نعلم أن المسلمين قد جربوا فتح هذه الجهات قبل عقبة وعقدوا مع أهلها المعاهدات والزموهم فيها بالجزية ولم يوقعوا عليهم أى عقاب بدنى . وكان نتيجة هذه المعاملة الحسنة أن نقض اهل تلك البلاد العهد بينهم وبين المسلمين ففى ايام عمرو بن العاص قام بسر ابن أبى ارطاة بغزو " ودان " سنة ٢٣ هـ ووقع معهم معاهدة وفرض عليهم جزية يؤدونها للمسلمين ولكنهم نقضوا عهده ومنعوا أداء الجزية فجاء عقبة بن نافع ليستفيد من تجربة بسر مع أهل تلك البلاد فاشتد فى أدب ملوكهم حتى لا ينقضوا العهد واصطحب معه بسر بن أبى ارطاة الى ودان وقطع أذن ملكهم بعهد فى ملء من نقض العهد ويظهر ذلك من سؤال الملك لعقبة " لم فعلت هذا وقد عاهدنى المسلمون قال : ادبا لك اذا مسست اذنك ذكرت فلم تحارب العرب " (٢) .

---

(١) ر(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣ .

ومما يدل على ان عقبة ربط بين تجربة بسر فى فتح ود ان وفتحه هو لتلك البلاد انه طالبهم بما الزموا به لبسر يقول البكرى " فاستخرج منه ماكان بسر فرض عليه ثلاثمائة رأس وستين رأسا " (١) .

والخلاصة ان البكرى أثبت قسوة عقبة بن نافع مع أهل البلاد المفتوحة بحسب الواقع التاريخى للاحداث ، لكنه أشار الى أن عقبة كانت له اهدافا من وراء سياسة القسوة ولكنه لم يحقق أهدافه التى رمى اليها من وراء سياسة القسوة التى أتبعها ، وقد أدرك أبو المهاجر خطأ عقبة فى اضطهاده لكسيلة زعيم البربر فنصح عقبة بقوله : " اصلح الله الامير ، ما هذا الذى صنعت ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب كالاقرع بن حابس التميمى وعيينه بن حصين وانت تجئ الى رجل هو خيار قومه فى دار عزه قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه ، توثق من الرجل ، فانى أخاف فتكه " (٢) .

وقد دفعت هذه القسوة أهل البلاد المفتوحة الى الخروج على طاعة المسلمين بقيادة كسيلة ، وتؤكد ردود عقبة - التى أوردها البكرى - ردا منه على ملوك البلاد المفتوحة انه لم يقم بتلك السياسة طلبا فى التشفى وانما هى علامات يذكرها الملوك فلا ينقضوا العهد بينهم وبين المسلمين كما فعلوا من قبل مع بسر بن أبى أرطاه فيقول البكرى فى حوار بين الملوك وعقبة ان ملك جرمه قال له " لم فعلت

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٣ .

(٢) محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع ص ١٤٧ القاهرة ١٩٧١م .

هذا وقد اتيتك طائعا قال عقبة أدبا لك اذا ذكرته لم تحارب العرب وفرض عليه ثلاثمائة وستين عبدا " (١) .

وكذلك رد عقبة على ملك قصر كوار حين قطع أصبعه فسأل عقبة " لم فعلت هذا بي قال أدبا لك اذا أنت نظرت الى اصبعك ذكرت فلم تحارب العرب " (٢) .

---

(١) و(٢) البكرى : المصدر السابق ص ١٣ .

الفصل السابع

الفصل السابع

**

القسم الاول

ممالك السودان

**

(أ) تمهيد .

(ب) الزنج : الهجرات الاولى لشعوب الممالك السودانية — تعدد قبائل الزنج — مساكنهم — نشاطهم التجاري — توقف مادة البكري عند بلاد سفالة جنوبا — دور البكري في الكشف عن عصر الحديد في أفريقية — الزراعة والنباتات في بلاد الزنج — اتصاف الزنج بالبلاغة الخطابية — ظاهرة اهتمام البكري بالاعلام ووقوفه عند لقب ملك الزنج — حجم جيش الزنج وقوته — التفاعل الحضاري بين افريقية وآسيا في عهد الزنج .

(ج) النوبة : الاشارة الى مملكتي النوبة (المقرة وعلوة) — اعتماد البكري على المسعودي — قلة المادة بمدن السودان الشرقي — اثر البيئة الطبيعية في مملكتي النوبة على السكان — أصل النوبة — ديانتهم — احوال النوبة الاقتصادية — العادات والتقاليد — علاقة النوبة بالدولة الاسلامية — مراحلها — آثارها — ظاهرة الخلط التاريخي عند البكري .

(د) البجاة : مساكنهم — استخفاف المسلمين بامرهم — غارات البجاة على بلاد النوبة وموقف المسلمين — ثارة عديدة من المسلمين نحو البجاة — أول معاهدات المسلمين مع البجاة — انتشار الاسلام في بلاد البجاة — تكرار ظاهرة الخلط التاريخي — أصل البجاة —

ديانتهم قبل الاسلام .

(هـ) الحبشة : اختلاف المؤرخين فى تناولهم لمادة الحبشة — مقارنة لكتابات اليعقوبى والبكرى — اهتمام البكرى بالاسلام ووقوفه عند لقب النجاشى — أصل الحبش الاوائل — علاقات الحبشة بجنوب الجزيرة العربية — ذو نواس صاحب الاخدود — تأخر حملات المسلمين على بلاد الحبشة — العلاقات التجارية لبلاد الحبشة — العادات والتقاليد .

(و) الممالك الغربية : أهمية مادة البكرى عن السودان الغربى — صنفانه أول بلاد السودان شمالا وصلتها ببربر جداله — بلاد تكرور — البلاد المضافة لبلاد تكرور ووصف البكرى لها — الممالك الواقعة بين سلى ومملكة غانة — مالى وقصة دخول ملكها الاسلام — أهمية مادته عن كوكو — حلى أهل كوكو وتجارتهم — ذكر الكانم موقعها — معتقداتها — قصة وصول طوائف الامويين لارضها .




(أ) تمهيد :

عدلت المخطوطات التى وصلت الينا أخيرا اعتقاد بعض الدارسين بشأن اقتصار البكرى فى كتاباته على تاريخ غرب افريقية فقط ، ولم يعرفوا له أى آثار تاريخية عن شرق افريقية ، وقارنوا بين كتاباته وكتابات المسعودى ليكشفوا أن " المسعودى خدم المعرفة فى شرق افريقيـة على النحو الذى فعل البكرى ، حين كتب عن ممالك السودان القديمة

قبل صاحبه بمائة عام " (١) .

وهذا زعم خاطئ ، والحقيقة أن البكرى لم يسبق المسعودى من الناحية الزمنية .. فالبكرى عاش فى القرن الخامس الهجرى بينما عاش المسعودى فى القرن الرابع الهجرى ، والواضح أن البكرى اعتمد على المسعودى فى آثاره العلمية عن شرق افريقية ، ولذا فمن الضرورى أن نعرض لكتابات البكرى عن ممالك الزنج ، والنوبة ، والبجه ، والحبشة ، حتى يمكن اثبات أن المسعودى لم يفضله فى هذا الجانب اللهم الا من زاوية أخرى ، وهى أن كتابات المسعودى وملاحظاته شاهد عيان ، على حين أن البكرى يعتمد على القراءة والسماع ، ثم ان المسعودى وضع أمام البكرى أخبار ممالك السودان بعد قيامه برحلات الى افريقية الشرقية ، وسوف يظهر من خلال دراسة مادة البكرى ، أنه أورد اسم المسعودى ليعترف له بالفضل فى امداده بتلك المعلومات، ثم اتبعنا هذه الدراسة بما كتبه البكرى عن السودان الغربى ، وذلك باستثناء دولة غانة التى سبق الحديث عنها فى الفصل الثالث ، وهذا تكون الدراسة قد كشفت عن جهود البكرى فى تاريخ ممالك السودان ، وقد لاحظنا أنه تعرض فى اشارته عن السودان الغربى الى مدن وممالك قامت فى حوض النيجر والسنغال لم نجد لها ذكرا فى الخرائط التى رسمها الجغرافيون للعالم الاسلامى (٢) ، وبما

---

(١) بازل دافدسن : افريقيا تحت اضواء جديدة ص ٢١٦ ، ترجمة جمال محمد احمد دار الثقافة بيروت - بدون تاريخ .

(٢) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٧٣ .

استطاع دارس الجغرافية التاريخية أن يهتدى الى تحديد مواطنها على الخريطـة مستعينا بوصف البكرى للمدن ، وما كتبه الجغرافيون عنها • وقد قام منهـج الدراسة فى هذا الفصل على دراسة ممالك " الزنج والنوبة والبجاة والحبشة " (١) ثم الممالك الغربية التى تبدأ بمدينة سنغانه ، والقسم الثانى من هذا الفصل عبارة عن ملحق كامل من ممالك السودان فى مخطوطات البكرى عنى الباحث بتحقيق نصوصها تحقيقا علميا ، ويشمل هذا الملحق ما أورده البكرى عن ممالك السودان فى كتاب المسالـك والممالك ، ولعل هذه النصوص تجيء اسهاما فى نشر تراث البكرى ، وهو التـراث الذى نشرت بعض اجزائه على أن القسم الخاص بممالك السودان لم تسبق دراسته • ومن هنا وقع الاختيار عليه ليضاف الى الجهود التى تبذل لجمع شتات المكتبـة العربية السودانية •

ولما كان الدارس أحد أبناء السودان فان هذا التحقيق يلبى الحاجة التـى تسعى اليها الجهة التى أوفدته لتشجيع العمل فى حقل الدراسات السودانية •

---

(١) فضلت استعمال النصوص العربية الواردة فى كتاب المكتبة العربية السودانيـة للاستفادة من نصوصه المضبوطة والشروح الواردة فى الحواشى لتوضيح الالفاظ والمصطلحات وقد سهل مهمتى فى الرجوع بتلك النصوص الى أصولها •

وقد اعتمدت في تحقيق هذا النص على ثلاث مخطوطات كتبت أقدمها في القرن السادس الهجري ، منها مخطوطة مكتبة محمد المنوني بالرباط ، وهي أقرب الى الكمال من مخطوطتي نور عثمانية و" لاله لي " فقد سقطت أجزاء كثيرة من هاتين المخطوطتين ، وهي تمثل أقدم مخطوطات البكري ، ومن هنا اعتبرت نسخة مكتبة " محمد المنوني " المذكورة هي الاصل ورقمها ٤٩ وفضلت أن أشير اليها بكلمة الاصل .

أما المخطوطة الثانية التي اعتمدت عليها ، فهي مخطوطة مكتبة نورعثمانية باسطنبول وتاريخ نسخها ١٠٥٨هـ وقد تضمن هذا المخطوط تحريفات كثيرة أشرت اليها في التحقيق ، ورمزت اليها بالحرف (ن) وسقطت أجزاء كثيرة من هذا المخطوط أشرت اليها في مواضعها من التحقيق ورقم هذا المخطوط ٣٠٤٣ .

والمخطوط الثالث هو مخطوط مكتبة لاله لي اسطنبول ، ورمزت له بالحرف (ل) وبعد و من مقارنته مع مخطوط نور عثمانية قلة الخلاف بينهما ، مما يدل على أن أصلهما واحد ، غير أن مخطوط نورعثمانية اكثر وضوحا من لاله لي ، ورقم هذا المخطوط ٢١٤٤ وتاريخ نسخه ٧٣٦هـ ورمزه (ل) .

أما بقية مخطوطات كتاب المسالك والممالك فلم استفد منها في تحقيق هذا النص اذ لا يوجد فيها ما يتعلق بممالك السودان وقد اعتمدت ايضا على ما نقلـــه

أبو عبيد البكرى عن المسعودى فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وكتاب التنبيه والاشراف ، وكذلك على نقوله من ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر والمغرب، فاعتبرت النقل الحرفى من تلك المصادر جزءا من الكتاب دعانى الى مقابلة نصوصه مع تلك المصادر لاكمال ما سقط فى مخطوطات كتابه •

وهناك عدة ملاحظات على هذا النص نثبتها هنا :

أولا :

يتضمن النص ذكر أربع ممالك من ممالك السودان وهى الزنج ، والنوبة ، والبجاه ، والحبشة •

ثانيا :

يعتبر المسعودى من أهم مصادر البكرى عن هذه الممالك•

ثالثا :

نلاحظ فى النص الذى بين أيدينا اختصار البكرى لاسماء المصادر ، فيشير للمسعودى بالحرف (س) وتوجد مصادر أخرى غير محددة مثل قوله قال (غير س) ، ويذكر مصادر التقى بها وأخذ عنها مشافهة ، مثل قوله : حدثنى غير واحد وأخبرنى جماعة من الثقات، ومن مصادر البكرى شهود عيان مثل قوله ذكر بعض المصريين أنه

قرأ فى بعض الدواوين ، وأن بعض النساء المجاورات بمكة رأين ذلك وشاهدنه .

رابعـا :

ورد فى نص البكرى الذى بين أيدينا عبارات كثيرة تدل على الخلط التاريخى فينقل عن المسعودى دون أن يشير الى اسمه ، ويورد عبارة المسعودى بصورة موهمة تكاد توقعنا فى الخطأ ، فنظن أن بعض العبارات خاصة بزمن البكرى مثل قولـــه : " وهى جارية الى الآن" ، " وصاحب المعدن فى وقتنا هذا من المسلمـــين أبو مروان بشر بن اسحاق" على حين انها لا تنطبق على زمنه وهى تنطبق على الواقـــع التاريخى أيام المسعودى .

خامسا :

تشيع الاساطير والخرافات فى النص الذى بين أيدينا مما يقلل من قيمة النص العلمية ، مثال ذلك : ما ذكر البكرى أنه فى أقاصى بلاد الحبشة قوم يمشون علــى أربع كالدواب لا تطول أعمارهم .

ممالك السودان عند البكرى

===

أورد البكرى فى كتاب المسالك والممالك أربع ممالك فى السودان ، وهى : ممالك الزنج ، والنوبة ، والبجاء ، والحبشة ، ويبدأ مادة البكرى عن هذه الممالك بالحديث عن الهجرات الاولى لها ، وتوضح كيف أن أولاد كوش اتجهوا يمينا بين الشرق والغرب ، حيث استقر النوبة والبجة والزنج والحبشة ، فى الجزء الشرقى والاوسط من افريقية ، يقول البكرى : " صار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ، ثم افترقوا ، فصارت طائفة الى المشرق وطائفة الى المغرب ، فمن المشرقيين النوبه والبجاه والزنج والحبشة " (١) .

وقد ردد البكرى عن هذه الهجرات اقوال مؤرخى العرب امثال اليعقوبى (٢)، والمسعودى (٣) .

---

(١) مخطوط مكتبة المنونى ، الرباط رقم ٥٤٩ ، ملحق ممالك السودان ص ٢٨٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢١٦ طبعة ليدن ١٨٨٣هـ .

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢ نشر دبينار ودى كورتل باريس ١٨٦٦–١٨٦٧م – وكذلك طبعة الازهر سنة ١٣٠٣هـ ، ج ١ ص ١٦٣ .

ومن ناحية أخرى فان الدارسين لم يجدوا ما يدفعهم الى ربط أصل تلـــك القبائل بولد كوش أو غيره [١] .

اما أهل ممالك السودان ذكرا عند البكرى ، مملكة الزنج [٢] وهم ـ كما يفهم من كتاباته ـ قبائل متعددة ومختلفة ، يشير اليهم البكرى بقوله : " والزنج أصناف منهم مكيس وبربرا وهم غير البربر والمشكو وغيرهم " وهو فى ذلك يعتمد على المسعودى الذى سبقه الى القول بأن الزنج ليسوا أمة واحدة ، بل هم قبائل شتى وشعوب مختلفة ، فمرة يشير اليهم بكلمة السود ومرة أخرى يقول بعض السود [٣] .

يعيش الزنج فى المساحة الممتدة مابين القرن الافريقى وموزمبيق ، وتنتهى مساكنهم الى مدينة سفالة ، يقول البكرى : " وقطعت الزنج دون سائر الاحابيش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذى يصب الى بحر الزنج ، فسكنت فى ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفاله " [٤] .

---

(١) الشاطر البصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ص ٣٥٧ ـ القاهرة ١٩٧٢م .

(٢) قامت مملكة الزنج فى القرن العاشر الميلادى وامتدت حتى القرن السادس عشر وكانت عاصمتها كلوه . صلاح العقاد زنجبار ص ١ الالف كتاب رقم ٢٩٩ .

(٣) باذل دافدسن : افريقيا تحت اضواء جديدة ، ص ٢١٧ .

(٤) البكرى : مخطوط مكتبة لاله لى رقم ٢١٤٤ ، ممالك السودان ص ٢٣٨ .

ويشير البكرى الى أن سفالة التى تعتبر آخر بلاد الزنج تمثل مركزا تجاريا هاما بين بلاد الزنج وعمان " فمن أرضهم تجهز أثياب الفيلة الى الاقطار ، وأكثر ما يتجهز به الى عمان ، ومن عمان الى سائر البلاد " (١) .

ويؤكد المسعودى ذلك بقوله عن بلاد سفالة وهى " أقاصى بلاد الزنج ، واليها تقصد المراكب العمانية والسيرافية وهى غاية مقاصدهم فى أسافل بحر الزنج " (٢) .

ولا نجد ذكرا فى آثار البكرى للبلاد الواقعة جنوب سفالة ، ولعل ذلك يرجع الى أن مصدره الذى اعتمد عليه وهو الرحالة المسعودى توقف فى رحلته عند بلاد سفالة ، ولم يستطع أن يبحر جنوبا لصعوبة الوصول اليها ، اذ تشير المصادر العربية الى مشقة الوصول الى تلك البلاد (٣) ، ويعتبر البكرى أول كتاب المغرب الذين أشاروا الى عصر الحديد فى أفريقية حين تحدث عن مملكة " زنج الوقليمى " فهو يكشف لنا حرص الزنج الشديد على الحديد أكثر من حرصهم على الذهب ، ويوضح

---

(١) البكرى : مخطوط نور عثمانية رقم ٣٠٤٣ ممالك السودان ص ٢٩٠ ــ ٢٩١ .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٤ ، الطبعة الازهرية ١٣٠٣ هـ .

(٣) بازل دافدسن : المرجع السابق ص ٢١٨ ــ ٢١٩ .

أنهم يتحلون بالحديد بدلا من العاج والذهب والفضه . يقول البكرى : " والزنج لا تتحلى بشئ من العاج على كثرته عندهم ، ولا بالذهب ، ولا الفضة ، وانما تتحلى بالحديد " (١) .

يذكر البكرى أن الزنج يزرعون بعض النباتات ويستعملونها فى الغذاء ، " والغالب على أقواتهم الذرة ونبت يقال له الكلارى يشبه القلقاس الذى يكون بالشام يقتلعون أصوله ، والنارجيل اكثر شئ فى جزائرهم وهو من أقواتهم واللحم والعسل عندهم كثير وهو من أقواتهم " (٢) .

وصف البكرى الزنج بفصاحة اللسان وحب الخطابة ، فان خطباءهم يقومون يأمرون الزنج بالتقوى وطاعة الله ، وامتثال اوامره كما ينذرونهم وعيدا بالعذاب الذى سيلحق بهم ، ويعيد ون الى اذهانهم ذكرى اسلافهم الذين نالهم الخراب من جراء عدم خضوعهم لاوامر الله . يقول البكرى : " ولهم لسن وفصاحة بلغتهم ، وفيهم خطباء يقومون فى جماعتهم فيرغبون فى الطاعة ويذكرون من مضى من ملوكهم واسلافهم " (٣) .

---

(١) مخطوط مكتبة المنوفى رقم ٤٩ ، البكرى : مسالك السودان ص ٢٤٦ .
(٢) البكرى : مسالك السودان ص ٢٤٧ .
(٣) مسالك السودان ص ٢٤٩ .

وسبقت الاشارة فيما تقدم من الدراسة الى اهتمام أبى عبيد البكرى بالاعلام الواردة فى مادته وهنا نجد نموذجا لهذا الاهتمام وهو تفسيره لاسم ملك الزنج المسمى الوقليمى ، فيذكر أن هذا الاسم يعنى ابن الرب . فالرب قد اختاره ليحكم الزنج ويعدل فيهم ، فان حاد عن سمته وجار فى عدله قتلوه وحرموا عقبه من الملك. يقول البكرى : " وسمة ملكهم وقليمى وهو ملك ملوك سائر الزنج ومعناه ابن الرب ، تعالى الرب عن قولهم علوا كبيرا ، ومعناه أنه اختاره لملكهم والعدل فيهم ، فمتى جار الملك عندهم أو حاد من الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ، ويزعمون أنه اذا ما فعل ذلك الملك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذى هو ملك السماء والارض" (١) .

اما من ناحية القوة فى الحروب ، فان جيش الزنج يبلغ كثرة هائلة فى تعداده ، فقد وصف البكرى ركب ملك الزنج وقليمى بأنه ينتهى الى ثلثمائة ألف فارس ، وهو عدد تبدو فيه المبالغة ، اذا علمنا أن البكرى نفسه يصف بلاد الزنج بأنها لا تعرف الدواب.

يقول البكرى : " ويركب وقليمى فى ثلاث مائة الف فارس وبه وابهم البقر وليس فى ارضهم خيل ولا بغال ولا حمير ولا ابل ولا يعرفونها " (٢) ، ويصف البكرى الزنج وصفا

---

(١) مسالك السودان ص ٢٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ .

خلقيا بانهم أطيب الامم أنواعا وبعد د ذكر حيوانات بلادهم يذكر طريقة الصيد عندهم .

وقد كشف البكرى التفاعل الحضارى بين افريقية وآسيا ، يقول البكرى : " واكثر ما يستعمل العاج بأرض الصين لانهم يتخذ ون منها الاعمدة ومها يد خلون على ملوكهم ولا يد خل عليهم أحد من خدمتهم وحشمهم ، وقوادهم بحديد ، ويستعملونه ايضا فى دخن بيوت اصنامهم وابخرة هياكلهم " (١) .

كما يحتاج أهل الهند الى نفس العاج فيذكر البكرى أنه " يستعمل من انيابها كثير ببلاد الهند فى الشطرنج والنرد " (٢) ، ويضيف المسعودى أن أهل الهند يحتاجون للعاج فى نصب خناجرهم وقوائم السيوف (٣) .

ويبدو أن بعض الصلات التى قامت بين المسلمين والزنج اتت ثمارها حين دخل بعض من بلاد الزنج فى الاسلام ، يقول البكرى : " ومن بلاد الزنج اليوم من ملوكها مسلمون وسمة ملوكهم المسلمين بامريه " (٤) ، وكلمة اليوم هنا تشير الى القرن العاشر

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٢٤١ .

(٢) البكرى : نفس المصدر ص ٢٤١ .

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٤ ، الطبعة الازهرية ١٣٠٣ هـ .

(٤) البكرى : مسالك السودان ص ٢٤٦ _ ٢٤٧ .

الميلادى ، فالعبارة للمسعودى أوردها البكرى فى مادته دون أن يذكر مصدره ولعله أراد بذلك أن يشير الى قرب الساحل الشرقى من افريقية لبلاد العرب فى الجنوب ، حين اندفعت هجرات عربية ونشرت الاسلام فى تلك البقاع [1] ، وتتخلل مادة البكرى عن الزنج استطرادات عديدة كوصفه أعمار الفيلة بارض الزنج ولعب الشطرنج فى بلاد الهند ، وبعض القصص عن حياة الحيوان ومقارناته بين الفيلة فى بلاد الزنج وبلاد الهند . وقد ذكر البكرى أنه لا توجد تشريعات ثابتة تنظم حياة الزنج ، وانما هى مراسيم يصدرها الملوك تناسب المواقف وتحسم الخلافات ، يقول البكرى " وليس للزنج شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات [2] "

النوبـــــة :

تضمنت مادة البكرى عن بلاد النوبة الحديث عن مملكتى النوبة المسيحيتين ، فأشار الى أن احدى المملكتين ملاصقة لصعيد مصر والثانية جنوبها .

وبدأ بذكر مملكة علوة التى قامت فى منتصف القرن السادس الميلادى وتمتد رقعتها من منطقة كبوشيه شمالا حتى التقاء النيلين الازرق والابيض جنوبا [3] ويذكر

---

(١) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٦ ص ٤٠٤ القاهرة ١٩٧٢ ، ويؤكد المسعودى صلة المسلمين بشرق افريقية عندما هاجر الزيديين الى شرق افريقية وثائق تاريخية جيان ص ٧٦ .

(٢) ممالك السودان ص ٢٤٦ .

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ٤ القاهرة ١٩٦٠ م .

البكرى أن علوة وسوبه اسمان لمدينة واحدة ، هى عاصمة المملكة فيقول "ودار مملكتهم فى الشط الثانى سوبه وقال غير من اسمها علوة" [١] ، واطلاق اسم المملكة علوة على مدينة سوبه التى تقع جنوب شرقى الخرطوم حقيقة تاريخية ثابتة [٢] ، أدركها البكرى من اعتماده على تعدد المصادر فى مادته .

فقد نقل عن المسعودى اسم سوبة ، واشار اليه بالحرف (س) ونقل عن مصدر آخر لم يسمه اسم علوة .

وقد درج البكرى على الحديث عن تاريخ الدول من خلال عواصمها ، فقد سبق أن تحدث عن تاريخ عدد من الدول من خلال حواضرها [٣] ولم نجد عند البكرى وصفا لمدن النوبة أو الزنج أو أى مملكة من ممالك السودان ، فهو يكتفى بالاشارة فقط الى اسم المدينة وهو منهج يختلف عن منهجه فى الحديث عن مدن السودان الغربى ، ففى هذه الناحية امتاز عليه بعض مؤرخى العرب الذين وصفوا تلك المدن [٤] .

---

(١) ممالك السودان ص ٢٤٨ .

(٢) شاطر البصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ص ٨١ القاهرة ١٩٧٢ .

(٣) وقف البكرى عند حاضرة سجلماسة وكتب عن تاريخ بنى المدرار وعن فاس كتب عن الادارسة وعن نكور كتب عن دولة بنى صالح وعن تيهرت كتب عن الرستميين .

(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ص ٢٨١ سنة ١٩٢٢ المعهد الفرنسى .

أما المملكة الثانية فتقع فى الشمال ، ويذكر البكرى أنها تحد باسوان وأشار اليها كعادته بعاصمتها دنقله ، وحدود رقعتها كما وصفته الدراسات الحديثة من أسوان شمالا حتى كبوشية فى الجنوب[1] ، يقول البكرى : " ان ديار النوبة اتصلت بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد أسوان ، واتسعت ديارها على شاطئ النيل صعدة ، ولحقوا قريبا من أعاليه ، ودار مملكتهم دنقله باحد الشطين وبينها وبين صل مصر أربعون يوما " [2] .

والبكرى كغيره من مؤرخى العرب يشير الى دنقله العجوز وهى بعكس دنقله العرضى التى تقع غرب النيل ، وقد لاحظ البكرى بحاسته الجغرافية انعكاس نمط الحياة على الجماعات البشرية التى تعيش فى ممالك النوبة المسيحية فالسكان فى مملكة علوة أصلح الوانا من سكان مملكة المقرة ، ذلك لان الحياة فى علوة اكثر سهولة حيث تساعد مياه النهر والامطار على مباشرة الزراعة ، فى حين تلاحظ قسوة الاحوال الطبيعية فى بلاد النوبة الوسطى والسفلى اذ يقع الاقليمان فى نطاق عديم المطر[3] ، واذا كانت مملكة علوة مركزا لتجمع السكان فان السكان فى المقره يقلون تدريجيا كلما اتجهنا

---

(١) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ص ٦٠ .

(٢) ممالك السودان ص ٣٤٨ .

(٣) مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ٤٠ .

شمالا ، حتى تصل الى مواطن المزلة والطرد [1] ، يقول البكرى مبينا أثر الطبيعـــة على السكان فى علوة " وهذا الخط أوسع مملكة من الآخر وأعلها أصفى الوانا وأحسن زيا " [2] ، ويلاحظ ابن سليم أيضا أن مملكة علوة أوسع وأخصب من مملكة المقرة [3] .

اما عن اصل النوبيين فان البكرى يوافق من سبقه من مؤرخى العرب على أن النوبه يرجعون باصلهم الى حمير وأصل كلمة نوبه يرجعه البكرى الى اسم نهر فـــى بلادهم يقال له نوبه . يقول البكرى : " ان فى بلادهم نهر يقال له نوبه وبه سموا وقال الاكثرون انهم ولد نوب بن قوطى بن معز بن نيصر بن حام " [4] . وقد ذكـــر الدارسون انه لازال النهر مابين الشلال الاول والسادس يعرف باسم النيل النوبى ، بمعنى هذا أن النوبيين خلعوا اسمهم على النهر [5] وربما ساعد هذا فى قبـــول تفسير البكرى لكلمة نوبه اذا صح أن اطلاق الكلمة على النهر كانت أسبق من اطلاقهـا على الشعب نفسه .

---

(١) مصطفى مسعد : نفس المرجع ص ٥-٦ .

(٢) ممالك السودان ص ٢٤٨ .

(٣) مصطفى مسعد : المكتبة السودانية العربية ص ١٠٢ .

(٤) ممالك السودان ص ٢٥١ .

(٥) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٦ هامش ١ .

أما عن ديانة النوبة فالبكرى يذكر أنهم اعتنقوا المسيحية على مذهب الكنيسة المصرية ، وهو المذهب اليعقوبى المنتشر فى مصر والقدس وفلسطين [1] . فيقول عن النوبة أنهم نصارى يعقوبية ، وتؤكد كتابات المؤرخين العرب نفس هذا الرأى [2] غير أن عبارة البكرى تفيد أن المناهضين لهذا المذهب وهم أتباع المذهب الملكانى استطاعوا أن يضعوا أساسا لمذهبهم فى بلاد النوبة ، يقول البكرى : " ويقرأون الانجيل بلسان الروم الملكانية " [3] والظاهر أنهم ترجموا منها النصوص الدينية التى لغتهم النوبية فيما بعد " [4] .

أما عن اهتمام أهل النوبة بالزراعة وتربية الحيوان فيقول البكرى : " وملوكهم يتخذون الخيل العتاق ، ركوب عوامهم البراذين ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة والاترج عندهم كثير وغربى بلادهم يسقيها النيل وهناك غياض كثيرة وحوالى هذه الكور معادن الذهب والفضة " [5] .

---

(١) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ٢٠٦ .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥١ ليدن ١٨٩٤م .

(٣) مسالك السودان ص ٢٤٩ .

(٤) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ٢٢٢ .

(٥) مسالك السودان ص ٢٥٠ .

وضمن البكرى دراسته ذكر عادات النوبة مثل طريقة كتابتهم فى ورق الموز ومعاشرة النساء فيقول عنهم انهم يغتسلون من الجنابة ولا يطأون فى الحيضة " (١) . " وأنهم يتكاتبون فى ورق الموز " (٢) . " ومن النوبة النساء المعروفات بالمقودات لا يقدر على افتضاض أبكارهن ولا معاشرتهن حتى تفتق القوابل من قبلهن بقدر ما يحتاج للرجل ، ومن أطيب النساء خلوة فاذا حملت المرأة منهن وقربت الوضع زاد القوابل فى شق ذلك المكان فاذا وضعت حملها عادت تلك الزيادة بالادوية الملحمة حتى تلتحم ، أخبرنى بذلك جماعة من الثقات عن جماعة من النساء المجاورات بمكة انهن رأين ذلك وشاهدنه " (٣) .

واهتمام البكرى بالحديث عن عادات السكان وأحوالهم الاجتماعية ونظام الحكم ظاهرة تستحق الاهتمام اذ لم يكن ذلك موضع عناية بالنسبة لكثير من المؤرخين (٤) .

اما عن علاقة المسلمين بالنوبة فأوضح البكرى أن نية الخليفة عمر اتجهت الى فتح بلاد النوبة بعد أن تم له فتح مصر . يقول البكرى : " ولما افتتحت مصر امر عمر أن تغزى النوبة فوجدهم المسلمون يرمون الحدق " (٥) .

---

(١) ممالك السودان ص ٢٤٩ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٥٠ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٥٥ .
(٤) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ٢١٨ .
(٥) ممالك السودان ص ٢٥٢ .

وقد وقع المسلمون عقد أمان بينهم وبين النوبة ، لم يكن هذا العهد صلحا لان عمرو بن العاص رفض مصالحتهم ، يقول البكري : " قال يزيد بن أبي حبيب أن النوبة ليس بينهم وبين المسلمين عهد ولا ميثاق ، وانما هو أمان لبعضهم من بعض على أن يؤدوا كذا وكذا رأسا ... ذهبوا للمصالحة ، فأبى عمرو بن العاص من مصالحتهم " (١) .

وهذا النص البكري يحملنا على تصديق ما ذهب اليه المقريزي حين قدر جيش المسلمين بـ ٢٠ ألف مقاتل (٢) ، ولولا هذا العدد لما استطاع المسلمون أن يرفضوا الصلح مع النوبة ، وقد كانت هذه الحملة بقيادة عقبة بن نافع سنة ٦٤١م (٣) ، ولكن عهد الأمان بين المسلمين والنوبة لم يدم طويلا ، فبعد أن أبعد عمرو بن العاص من مصر تولى الامر فيها عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان فنشب القتال مرة أخرى سنة ٦٥١م ، وانتهى هذه المرة بالصلح بين الطرفين ، يقول البكري " أبى عمرو بن العاص من مصالحتهم حتى صرف عن مصر ووليها عبد الله بن أبي سرح سنة

---

(١) مسالك البلدان ص ٢٥٢ .

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار ص ٢٩٠ .

(٣) شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ص ١٢٩ ، بيروت ، بدون تاريخ .

احدى وثلاثين فصالحهم " (١) ، وقد وقع البكرى فى الخطأ حين صور حملة عبد الله بن سعد الثانية ، ووصف المسلمين بالضعف فهو يقول عن حملة عبد الله بن سعد الثانية على النوبة أنهم " قاتلوه قتالا شديدا فصالحهم عبد الله بن سعد على رؤوس من السبى معلومة " (٢) .

ورتب البكرى على ذلك خطأ آخر حين اعتقد أن الخليفة عثمان قبل هذا الصلح نتيجة لضعف المسلمين ولعله تأثر فى هذا الرأى بقول الطبرى عن قبول الخليفة عثمان للصلح بأنه تم " نظرا منه للمسلمين وابقاء عليهم " (٣) .

والصحيح أن المسلمين كانوا فى موقف القوة ، وقد حققوا نصرا حربيا ، فان جيش عبد الله بن سعد وصل سنة ٦٥٢م الى المقرة " وحصرهم بمدينة دنقلة حصارا شديدا ورماهم بالمنجنيق ، ولم تكن النوبة تعرفه ـ وخسف بهم كنيستهم بحجر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدروث الصلح " (٤) وعلى هذا فان الخليفة عثمان لم يوافق

---

(١) مالك السودان ص ٢٥٢ـ٢٥٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ج ٥ القسم الاول ص ٢٥٩٣ ليدن ١٨٩٣م .
(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار ص ٢٩٠ ، المكتبة الفرنسية السودانية ص ٣٠١ .

على هذا العقد ، وهو في موضع ضعف ، وانما قبله لاعتبارات أخرى منها : " أن المعاهدة ضمنت للمسلمين فتح النوبة للتجارة ، والسماح للمسلمين بالزيارة ، وبجانب ذلك دور التجار في نشر الدعوة الاسلامية ، واقتنع الولاة بكفاية هذا الدور في نشر الدعوة التي لا تفرض بحد السيف ، الى غير ذلك من الاسباب مثل حماية مسجد المسلمين بدنقله (١) .

وتضمنت مادة البكري خلطا آخر حيث ذكر أن المسلمين سموا برماة الحدق في حملة عبد الله بن سعد الثانية ، فوصف تلك المعركة وقال : " أصيبت عين معاوية بن خديج وعين بن ابى شمر بن أبرهة وعين جماعة من المسلمين فحينئذ سموا رماة الحدق " (٢) ، والصحيح أنهم سموا بهذا الاسم في الحملة الاولى وهي الحملة التي قادها عقبة بن نافع (٣) ، اما عن مقدار الصلح بالبقط في قول البكري : " وعدد ذلك ثلاثمائة وخمس وستون رأسا وانما ارادوا عدد أيام السنة وهي جارية الى الآن " (٤) ، وعبارة الآن . هي عبارة المسعودي وهي من نوع الخلط التاريخي الذي يقع فيه البكري

---

(١) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١١٤ .

(٢) ممالك السودان ص ٢٥٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ قسم ١ ص ٢٥٩٣ ليدن ١٨٩٣ م .

(٤) ممالك السودان ص ٢٥٣ .

كثيرا عندما ينقل من مصادره دون اشارة الى تلك المصادر وتواريخها .

البجـــاة :

وتحدث البكرى فى مسالكه عن شعب البجاة ، وبدأ بتحديد موضع سكنهم بين النيل والبحر الاحمر ، وحدد مبتدأ بلادهم من حدود أسوان بقوله : " فأما البجاة فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ... وأول ممالك البجاة من حد أسوان ومدينتهم يقال لها هجر " (١) وقد اهتم المسلمون ببلاد النوبة اكثر من اهتمامهم بالبجاة ، وربما تكون المقارنة التى عقدها البكرى بين شعبى النوبة والبجاة تفيدنا فى الكشف عن اهتمام المسلمين بالنوبة يقول البكرى : " وقد كانت النوبة أشد منهم " (٢) وعبارة ابن عبد الحكم فى هذا الصدد اكثر وضوحا فهى تفسر اهمال عبد الله ابن سعد للبجاة عندما علم بضعفهم يقول " فجمع له فى انصرافه على شاطىء النيل البجاة فسأل عنهم فاخبر بمكانهم فهان عليه امرهم فنفذ وتركهم " (٣) .

---

(١) البكرى : مسالك السودان ص ٢٥٩ .

(٢) البكرى : المصدر السابق ص ٢٥٦ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ١٨٩ نشر توري ليدن ١٩٢٠ م .

ولهذا فان المسلمين لم يعقدوا معهم أى معاهدة ، فيذكرالبكرى أنه " لم يكن للبجاة عهد ولا صلح " [١] ، ولكن ضعف البجاة لم يمنعهم من استعمال قوافل الجمال فى الاغارة على أرض النوبة لوجود حواجز جبلية تقيهم خطر النوبة ، فيخبرنا البكرى قائلا : " وتتصل سراياهم على النجب ببلاد النوبة فيغيرون ويسبون وبين بلادهم والبلاد النوبة جبال منيعة جدا " [٢] ولم يحاول المسلمون حماية النوبة من غارات البجاة اذ لم يلتزم المسلمون فى معاهدتهم مع النوبة بحمايتهم من خطر الشعوب التى تعاديهم ، كما أن النوبة لم يدخلوا الاسلام [٣] ، ولكن البجاة لم تقف بغاراتها عند بلاد النوبة فتعدتها الى الاغارة على أرض مصر [٤] فذكر المؤرخون أن البجاة غزوا قرى عديدة فى صعيد مصر [٥] ويعتبر المسلمون بأن الاعتداء على صعيد مصر اعتداء مباشر على المسلمين ، ومن هنا جاء اهتمامهم بأمر البجاة وخرج اليهم عبيد الله بن الحبحاب فى أواخر القرن الاول الهجرى وكان واليا على صعيد مصر

---

(١) البكرى : مسالك السودان ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ .

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١١٥ .

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٦٧ ٥ .

(٥) ابن سليم الاسوانى . المكتبة السودانية العربية ص ١٠٨ .

غزاهم وعقد معهم معاهدة ذكرها البكرى بقوله : " وأول من صالحهم عبد الله بن الحبحاب وزعم بعض الشيوخ أنه قرأ فى كتاب ابن الحبحاب فاذا فيه ثلاثمائة بكر كل عام حتى ينزلوا الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا وان قتلوا فلا عهد لهم ولا يأووا عبيد المسلمين وان يردوا اباقهم " (١) . وأضافت بعض المصادر شرطا آخر لم يذكره البكرى وهو أن يظل وكيل البجاة فى الريف رهينة فى يد المسلمين (٢) واستمرت العلاقات بين المسلمين والبجاة تسير وفقا لهذه الهدنة . وبعد مضى قرن على هذه المعاهدة نقض البجاة الهدنة بينهم وبين المسلمين . واغاروا على صعيد مصر فهاجمهم المسلمون بقيادة عبد الله بن الجهم سنة ٢١٦ هـ (٣) .

أما عن كيفية انتشار الاسلام فى بلاد البجاة فان البكرى لا يعطى تفصيلا واضحا ولكنه أشار الى هجرة قبائل عربية الى بلاد البجاة حين بهرتها أنباء المعادن الموجودة فى بلاد البجاة . فذكر البكرى أنه فى " بلاد البجاة يتصل معدن الزمرد

---

(١) البكرى : مسالك السودان ص ٢٥٩ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ١٨٩ نشر تورى ليدن ١٩٢٠ م .

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١١٦ .

وهو موضع يعرف بالخربة علأ وز وجبال تحميه البجاة ، وهو متصل بالصعيد الاعلى من مدينة قفط " [١] ، فقامت القبائل العربية وعبرت الى بلاد البجاة واستقرت هنـــــاك " ساكن البجاة جماعة من المسلمين لمعادن الذهب التى عندهم ، واستوطنها خلق من العرب من ربيعة وتزوجوا فى البجاة فاشتدت شوكتهم بهم " [٢] وامتدت مساكـــن البجاة بعد اختلاطهم بتلك القبائل الى محازاة سواكن [٣] ، ويبدو أن نشـــــاط العرب فى ، خولهم لارض البجاة واستغلالهم للمناجم بدأ فى القرن الثامـــــــن الميلادى [٤] ، والدارس لمثل ، الهجرات التى أوردها البكرى يمكنه أن يفترض قيـــام جهود لنشر الاسلام بين البجاة قامت به القبائل العربية التى ساكنتهم ، ونقف مرة أخرى عند ظاهرة الخلط التاريخى فى مادة البكرى حين يذكر عن البجاة خبر صاحب المعدن أبو مروان بشر بن اسحاق دون أن يشير الى مصدره ، فيورد عبارة المسعودى فى القرن الرابع الهجرى : " وصاحب المعدن فى وقتنا هذا من المسلمين أبو مـروان

---

(١) البكرى : مسالك السودان ص ٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ .

(٣) شاطر البصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ص ١٦٧ .

(٤) شاطر البصيلى : المصدر السابق ص ١٥٨ .

بشر بن اسحاق بن ربيعة " (١) .

فعبارة فى وقتنا هذا تنطبق على الواقع التاريخى فى القرن الرابع الهجرى زمن المسعودى ، واستحطها البكرى ملكا له وهى لا تنطبق على القرن الخامس الهجرى(٢) وقد اهتم البكرى فى مادته عن البجاة بأخبار مناجم الذهب والزمرد ، وفصل القول فى أنواع الزمرد ورتبها حسب جودتها فسمى اعلاها بالمر ، والذى يليه بالبحرى ، والثالث بالمغربى ، والنوع الرابع والاخير يسمى بالاصم(٣) .

أما عن أصل البجاة فيرى البكرى انهم فصيلة من الجنس الحبشى " والبجاة جنس من الحبش واسم مدينة ملكهم هجر " (٤) ويشارك البكرى فى هذا الاعتقاد بعض مؤرخى العرب(٥) اما عن ديانة البجاة قبل الاسلام فالبكرى يتفق مع مؤرخى العرب

---

(١) البكرى : مسالك السودان ص ٢٥٦ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ ، كذلك الخطط الازهرية ج ١ ص ١٦٩

(٣) مسالك السودان ص ٢٥٨ .

(٤) مسالك السودان ص ٢٥٩ .

(٥) المقريزى : المواعظ والاعتبار ص ٢٨٠ .

يشير بهذا العبور الى تاريخ ذى نواس بن تبان أسعد ملك اليمن ، وهو آخر ملوك حمير ، وهو صاحب الاخدود المشار اليه فى القرآن الكريم بقوله تعالى " قتل أصحاب الاخدود" وقد كان ذو نواس يعتنق اليهودية فسار الى نجران التى يعتنق أهلها المسيحية ودعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل فخد لهم الاخدود فحرقهم وقتلهم بالسيف ، وقد أفلت من نصارى نجران رجل من سبأ يقال له دوس ، فمضى حتى أتى قيصر الروم يستنصره على ذى نواس وجنده ، فاستنجد القيصر بلاد نجران وكتب له الى النجاشى ملك الحبشة الذى على دين المسيحية ، وأجابه النجاشى الى طلبه وبعث معه سبعين الفا من الحبشة وأميرهم يدعى ارياط فنزل الجيش بساحل اليمن وهزم ذى نواس وجنده وملك ارياط بلاد اليمن [1] هذا تفصيل للرواية الاسلامية التى أشار اليها البكرى فى اختصار .

وحديث البكرى عن النجاشى الذى كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيه اشادة بالعلاقة التى قامت فى أيام الهجرة الاولى بين الحبشة والمسلمين ، وقصد البكرى حين تكلم عن النجاشى فى عهد الرسول أن يكشف عن تلك العلاقة الطيبة التى قامت فى أيام الهجرة الاولى بين الحبشة والمسلمين عندما " رأى رسول الله صلى الله

---

(١) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥ وما بعدها .

عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانة من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الاسلام " (1) .

وقد ذهب بعض الدارسين الى أن تلك العلاقة الحسنة بين المسلمين والنجاشي هي التي جعلت المسلمين لا يوجهون حملاتهم الى الحبشة في العهد الاول (2) . وقد امتد اكرامهم الى بلاد النوبة لانها تجاور الحبشة فذكر الدارسون أن عبد الله بن أبي سرح رضي بصلح النوبة وفيه بعض الالتزامات على المسلمين ، لان المسلمين لم يشاءوا أن يقاربوا الحبشة تقديرا لصنعها في ايواء أصحاب الهجرة الاولى (3) ، ويحملنا نص الحديث النبوي على قبول تعليل ترك المسلمين للحبشة

---

(1) تهذيب سيرة ابن هشام (عبد السلام هارون) ص ٩٢ .

(2) فتحي غيث : المرجع السابق ص ٥٩ .

(3) شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ص ١٣٠ .

غزوه أن النبي صلى الله عليه وسلم نصح بتركهم قائلاً : "اتركوا الحبشة ما تركوكم" (١) .

ولكننا نجترئ على التاريخ ان اخذنا هذا التفسير بالنسبة للنوبة اذ لا يوجد نص يقطع الشك باليقين ليمكن الركون اليه في هذا الزعم .

اما عن علاقات بلاد الحبشة التجارية فيذكرها البكري بقوله : "وتجهز اليها بالامتعة من مصر واليمن" (٢) ، كما كانت "مراكب زبيد وغلافقة من ساحل اليمن تختلف الى ساحل الحبشة" (٣) ، وقد اهتم البكري بالحديث عن عادات الحبشة ودياناتهم ، وعادته عن الحبشة لا تخلو من بعض الخرافات كقوله أن بعضهم يمشي على أربعة أرجل وفي وصف الحبشة يقول البكري : "لهم حذق ومعرفة يتباينون بها من سائر قبائل السودان وهم أجمل السودان ولهم الثنا يا الكحل والشعور المسترسلة وليس فيهم من دفر السودان شيء واكثرهم نصارى يكون جباههم وفيهم من يكوي وجهه ، وفي بلاد الحبشة قوم يمشون على أربع كالدواب لا تطول

---

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) مسالك السودان ص ٢٦١ .

(٣) مسالك السودان ص ٢٦١ .

امارهم ، ومخاطبات الحبشة وجميع ما عندهم من الكتب في فنون العلم انما هو فى ورق الموز" (١) . وقد اعتمد البكري على بعض شهود العيان في نقله لمادته اذ يقول وأخبرني من رأى تواريخها ما نفذ الى بلاد الاسلام منها (٢) .

وللدارس أن يتساءل هنا كيف يمكن التوفيق بين القول في اعتماد البكري على شهود عيان ، ووقوع بعض الخرافات في مادته .

والراجح أن تكون تلك الخرافات قد أوردها التجار والمغامرون الذين وصلوا الى أسبانيا ونقلوا أخبار افريقية بعد أن أضفوا عليها كثيرا من خيالهم ليطيب سماعها .

آثار البكري عن السودان الغربي :

تنقسم مادة أبي عبيد البكري عن السودان الغربي الى قسمين ، قسم يشمل دراسة متكاملة استوفت الموضوع الذى تناولته وتفردت في كثير من الاحيان بحقائق لم ترد عند غيره من المؤلفين ، ونقصد بهذا القسم الجزء الخاص بدولة غانة ، وقد

---

(١) مسالك السودان ص ٢٦٢ .

(٢) مسالك السودان ص ٢٦٢ .

شهد الدارسون بفضل البكرى وعظمة مكانته فى هذا الجانب ، فذكر بازل دافد سن اعترافا بفضل البكرى قائلا : " كانت غانة فى ضمير الغيب .. وبعد هذا عام تهيأ أن يكتب عن هذه الدولة الجديدة كاتب يفضل للناس دقائق الحياة فيها والتقدم هو عبد الله بن عبد العزيز الذى اشتهر بلقبه أبو عبيد وعرف أكثر بنسبته البكرى وقد جمع كل ما وصلت اليه يده من وصف دقيق مثير لغانـــــه ولم يترك حقيقة ذات بال الا وتصدى لها بتذكرة ذكى " (١) .

وتجنبا للتكرار فسوف نترك هذا القسم الذى سبقت الاشارة اليه ضمن الدول التى عاصرها أبو عبيد البكرى .

اما القسم الثانى : فهو عبارة عن نصوص واشارات مختصرة عن بعض المـــدن والدول التى قامت فى السودان الغربى ، وهذه الاشارات المختصرة لاغنا لدارس غرب افريقية عنها لانها تعتبر من أقدم التقارير التى حفظت من تاريخ السودان الغربى . ثم ان معلومات البكرى عن السودان الغربى أقرب الى الحقيقة لان كاتبها عمل علـــى تخليصها بقدر الامكان من جنوح الرواد الذين نقلوا اخبار تلك البلاد .

---

(١) افريقيـــا تحت أضـــواء جديدة ، ترجمة جمال محمد احمد ص ١٣٧ — بيروت ـــ بدون تاريخ .

وتبدأ مادة البكري عن السودان الغربي بالحدود الشمالية لبلاد السودان وهي المنطقة المجاورة لبلاد البربر من ناحية الجنوب ، وأول البلاد ذكرا في مسالك البكري هي بلاد صنغانه التي تقع على ضفة النيجر اليسرى ويشير البكري الى النيجر بالنيل [1] ويذكر البكري أن بلاد صنغانه تجاور قبيلة جدالة البربرية وهذا الجوار كشف عن دور قبيلة جدالة في نشر الاسلام في بلاد السودان الغربي ، وقد سيطرت جدالة على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب [2] ، يقول البكري : " المتاخم من لبلاد السودان بنو جدالة هم آخر الاسلام خطة واقرب بلاد السودان منهم صنغانة بين آخر بلادهم وبينها مسيرة ستة أيام ومدينة صنغانة مدينتان على ضفتي النيل ، وعمارتها متصلة الى البحر المحيط " [3] ، وتستمر مسالك البكري حتى حوض السنغال حيث تقع بلاد تكرور ووصف البكري مدينة تكرور وأهلها وجهادتهم وأورد سيرة ملكهم وارجابي بن رابيس [4] ودوره في نشر الاسلام بين التكرور وفي ذلك يقول البكري :

---

(١) هذه الظاهرة تتطلب الدقة والحذر في دراسة مادة البكري ، فقد درج كثير من مؤلفي العرب على الخلط بين نهر النيل ونهر النيجر انظر : مصطفى مسعد المكتبة العربية السودانية ص ٢١١ حاشية رقم ١ .

(٢) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ص ٢٠١ .

(٣) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٧٢ .

(٤) انظر وارجابي بن رابيس الاسلام في القرن الحادي عشر طومنا من غانة ص ٣٤ .

" وعلى مدينة صنغانه مابين الغرب والقبلة على النيل مدينة تكرور أهلها سودان وكانوا على ما سائر السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والدكور هدهم الصنم حتى وليهم وارجابى بن رابيس فاسلم وأقام عندهم شرائع الاسلام، وحملهم عليها وحقق بصائرهم فيها وتوفى وارجابى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فأهل تكرور اليوم مسلمون" (١).

وتتضمن مسالك البكرى أيضا ذكر البلاد المتضافة لبلاد تكرور ، فوصف مدينة سلى وجهود وارجابى بن رابيس فى نشر الاسلام بين أهل تلك البلاد ، يقول البكرى: " وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى وهى مدينتان على شاطىء النيل أيضا وأهلها مسلمون أسلموا على يدى وارجابى بن رابيس رحمه الله " (١) ، وقد قام ملك سلى بجهود موفقة فى نشر الاسلام فى بلاد السودان الغربى ، فقد ذكر صاحب الاستبصار ان هناك عددا من الممالك السودانية تجاور صاحب سلى (٢) ، ويبدو أن هذه الممالك التى أشار اليها صاحب الاستبصار هى الممالك الواقعة بين سلى ومملكة " غانة " والتى عناها البكرى بقوله : " وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما

---

(١) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٣) الاستبصار فى عجائب الامصار (مؤلف مجهول) ص ٢١٧ نشره الدكتور سعد زغلول الاسكندرية ١٩٥٨م .

وبين دراسته لمدن السودان الشرقي حيث اكتفى بذكر اسماء المدن فقط.

وقد سبقت الاشارة الى هذا فيما تقدم ، يقول البكري " وتبايع أهل سلى بالذرة والملح وحلق النحاس وأزر لطاف من قطن يسمونها الشكيات ، والبقر عندهم كثير وليس عندهم ضان ولا معز وأكثر نبات ارضهم الابنوس، ومنه يحتطبون وفيما يتصل ببلادهم من النيل في موضع يقال له صحابى حيوان في الماء يشبه الفيل في عظم خلقته وخطيمته وأنيابه يسمونه " قفوا " وهو يرعى في البراري ويأوى الى النيل وهم يميزون موضعه من النيل بمرازيق حديد قصار في اسافلها حلق قد شدت فيها الحبال المديدة فيرمونه بالعدد الكثير منها فيغوص ويضطرب في اسفل النيل فاذا مات طفا على الماء فجذبوه وأكلوا لحمه وصنعوا من جلده هذه الاسواط التي تسمى السرياقات

---

(1) البكري : المصدر السابق ص ١٧٢ .

ومن هناك تحمل الى الآفاق " (١) .

بعد هذا الوصف لبلاد سلى تأخذ مادة البكرى فى التعرض للممالك والمدن التى تقع بين سلى وبلاد غانة وهى المدن والممالك التى قام ملك سلى بنشر الاسلام بين ربوعها كما ذكرها البكرى تتكون من بلد قلنبو التى تقع فى حوض السنغال وتبعد من بلدة سلى (٢) بمسافة يوم وبلد ترنقه (٣) وبلد زافقوا وتلى زافقوا بلاد الفروبين (٤) .

ويؤكد صاحب الاستبصار ما قاله البكرى عن دور صاحب سلى فى نشر الاسلام بين أهل هذه البلاد فيقول عن صاحب سلى " وملكها واسع المملكة كثير العدد يقارع صاحب غانة وبينها وبين غانة مسيرة عشرين يوما فى عمارة متصلة للسودان القبائل بعد القبيلة وصاحب سلى يحارب من جاوره من كفار السودان " (٥) ويذكر البكرى بعد ذا

---

(١) المغرب ص ١٧٢ .

(٢) تقع سلى فى حوض نهر السنغال الادنى الادريسى صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ص ٢ ٧ طبعة ليدن .

(٣) وردت بالكاف . انظر الاستبصار ص ٢١٨ .

(٤) المغرب ص ١٧٢ـ ١٧٣ .

(٥) الاستبصار ص ٢١٧ (مؤلف مجهول) نشره سعد زغلول .

مختلفة عن كل مملكة من الممالك الصغيرة الواقعة بين سلى وغانة وحديثة عنها لا يسير على وتيرة واحدة في الوصف ، فمن بلاد قلنبوا يكتفى بالاشارة الى موقعها في منطقة حوض السنغال ووصف اهلها بالشرك .

وبلاد ترنقه يذكر أنها بلاد واسعة وقوم أهلها ببعض الصناعات البسيطة ، ووصف أيضا طريقة اجراء العدالة بين أهلها ، أما مملكة زافقوا فيقصر الحديث عنهم في المسالك على العبادة فيذكر البكرى أنهم يقدسون حية ويرسون حياتهم على تلك الحية فهى التى تعين ولاتهم وتحدد مدة ولايتهم " فاذا هلك وال من ولاتهم ، جمعوا كل من يصلح للمملكة وقربوهم اليها ، وتكلموا بكلام يعلمونه ، فتدنو الحية منهم ، فلا تزال تشمهم رجلا رجلا حتى تنكز احدهم بأنفها فاذا نكزته ولت الى المغارة فيتبعها ذلك المنكوز بأجد ما يقدر عليه من السير ليجذ بمن ذنبه أو عرفه بأشد ما يقدر عليه شعرات فتكون مدة ملكه لهم بعدد تلك الشعرات لكل شعرة سنة لا يخطيهم ذلك بزعمهم " (١) ويختتم حديثه عن هذه الممالك بمملكة الفرويين ويوضح أن بلادهم تمتاز بنوع من النبات يقوى الباءة ويجعلهم يكثرون من الزوجات وبعد أن يفرغ البكرى من ذكر الممالك التى تقع بين سلى وغانة يواصل حديثه عن مدينة غانة

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٧٣ـ١٧٤ .

نفسها وقد فصلنا القول عن غانة في الفصل الثالث.

وتسمية البكري لهذه الاماكن بالممالك فيه نوع من التجوز فهي في تقديرنا زعامات محدودة السلطة في المدينة والقرية وهو مسلك طرقه بعض المؤرخين قبله [١].
وعلى بعد ثمانية عشر يوما من غانة يتوقف البكري عند وصف مدينة غيارو موطن الذهب الجيد.

وعلى بعد اربعة أيام من غيارو تقع مدينة سامقندى، يصف البكري أهلها بأنهم أرمى السودان بالنشاب، وعلى بعد يومين من سامقندى تقع بلد تسمى طاقة ومن سامقندى الى مملكة تسمى غرنتل تربطهم علاقات طيبة بالمسلمين مع أنهم على غير دين الاسلام.

ثم بعد ذلك يبدأ البكري في وصف بلاد السودان الواقعة غرب غيارو ويبدأ بوصف مدينة يرسنى وهي بلاد اعتنق اهلها الاسلام، ويذكر البكري طريقة تربيتهم للماشية فيذكر أنه " بغربي غيارو على النيل مدينة يرسنى يسكنها المسلمون وحواليها مشركون وفي يرسنى معز قصار فاذا وضعت الماعزة ذبحوا الذكر وابقوا الانثى " [٢].

---

(١) شاطر البصيلي : تاريخ وحضارات السودان ص ١٤٧.
(٢) البكري : المغرب ص ١٧٧.

وبعد مملكة يرسنى يصف البكرى مملكة دو وقد ذكر الدكتور طرخان على سبيل الاحتمال أن يكون البكرى قد قصد بدو تلك الاسرة التى حكمت غانة قبل الاسلام وهى أسرة الكرناتيين فى اقليم دودو جو شمالى منطقة كبرى [١] .

وبعد مملكة دو ينتقل البكرى الى اقليم مالى وهذا الجوار يوضح صلاتهم بالكرناتيين حكام مالى القدامى يقول البكرى : " ومن يرسنى يجلب السودان المجسم المعروفون بنو نغمارته ، وهم تجار التبر الى البلاد وما وازاها من ضفة النيل الثانية مملكة كبيرة أزيد من مسيرة ثمانية أيام سمة ملكهم دو وهم يقاتلون بالنشاب وبلد اسمه ملل " [٢] .

مالــــى :

اذا كانت مادة البكرى عن دولة غانة تمثل أوفى وأغزر مادة وصلت الينا عن تلك الدولة ، فان كتابته عن مالى لا تعد وأن تكون مجرد اشارات بسيطة اذا ما قيست

---

(١) طرخان : دولة مالى الاسلامية ص ٣٢ ــ القاهرة ١٩٧٣ م .

(٢) المغرب ص ١٧٨ .

بالمادة التي كتبها ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار فان صفحات كتابه تناولت مالي بالتفصيل ، وتضمنت ذكر أقاليم مالي حين أصبحت تضم غانة وتكرور وسنغاية وكركو وبعض المدن الاخرى (١) ، وقد خلت مادته من ذكر شعب الماندنجي الذي أسس دولة مالي وهو نص تلته مصادر أخرى غير مسالك البكري (٢) ، ورغم ذلك فقد أثبت الدارسون للبكري الفضل في أنه قد سبق غيره من المؤرخين والجغرافيين العرب الى استعمال اسم مالي (٣) ورسمه ملل وتابعه المؤرخون على هذا الاسم فوجدناه عند ابن بطوطة (٤) وابن خلدون (٥) والقلقشندي (٦) مع اختلافات في الرسم ولكن ذلك لا يمثل اختلافا جوهريا فوردت عندهم بصور مختلفة في الرسم مثل مال ومالي وملي ، وقد تضمنت اشارة البكري لدولة مالي قصة دخول أول ملوكها في الاسلام يقول البكري : " وملكهم يعرف بالمسلماني وانما سمي بذلك لان بلاده اجدبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون الا قحطا وشقاء

---

(١) مسالك الابصار المجلد الثالث ج ٢ ص ٤٩٤ حتى ٥٠٧ مخطوط بدار الكتب برقم ٢٥٦٨ .

(٢) السعدي : تاريخ السودان ص ٩ .

(٣) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقية ص

(٤) رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٥) العبر ج ٥ ص ٤٣٣ .

(٦) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٢ .

وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة فشكى اليه ذلك " (١) . وقد استغل الضيف الفرصة ووجه الملك الى الدخول فى الاسلام حتى تتقشع عنه ظلمة القحط " فقال له أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته ، واعتقدت شرائع الاسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك وأن تعم الرحمة أهل بلادك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناواك فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله ثم استأنا به الى ليلة جمعة فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا ، وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرزا الى ربوة من الارض فقام المسلم يصلى والملك عن يمينه يأتم به فصليا من الليل ما شاء الله ، والمسلم يدعو والملك يؤمن ، فما انفجر الصباح الا والله قد عمهم بالسقى فأمر الملك بكسر الدكاكير واخراج السحرة من بلاده وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته " (١) .

ويتضح مما كتبه البكرى أن أهل مالى لم يتأثروا باسلام ملكهم فاستمروا على دينهم ولم يتابعوه فى تلك الفترة ، يقول البكرى : " وأهل مملكته مشركون فوسموا ملوكهم منذ ذاك بالمسلمانى " (٢) .

---

(١) و(٢) و(٣) البكرى : المغرب ص ١٧٨ .

ولم تحدد مادة البكرى اسم هذا الملك الذى دخل فى الاسلام ، ولكـــن البكرى اعطانا علامات تميز هذا الملك امكن عن طريقها الرجوع الى المصادر الاخـرى وكشف شخصية ذلك الملك . فالبكرى يذكر أنه أول من دخل الاسلام من ملوك مالـى وللقلقشندى نص يقول فيه " وكان ملوك مالى قد دخلوا الاسلام منذ زمن قديـم وأول من أسلم منهم ملك اسمه برمندانه وحج بعد اسلامه فاقتفى سننه فى الحج من جاء بعـده من الملوك " [1] . ونرجح أن برمندانه هو الملك الذى عناه نص البكرى السابق ونرتضى هنا رأى الدكتور طرخان الذى يحدد شخصية الملك بأنه برمندانه الاول [2] ، لان برمندانه لقب يطلق على برمندانه الاول وبرمندانه الثانى : فالاول عاش فى القـــرن الحادى عشر الميلادى والثانى عاش فى القرن الثانى عشر ، ويقوم ترجيحنا لرأى الدكتور طرخان على عدم معاصرة البكرى لعصر برمندانه الثانى ، فقد أشرنا من قبل الـــى أن البكرى عاش فى القرن الحادى عشر فلا يعقل أن يكتب عن احداث فى المستقبل لم تقـع حتى زمانه .

ويلاحظ الدارس لدولة مالى أن بعض المؤرخين يجمعون بين تاريخها وتاريـخ التكرور على حين نجد أبا عبيد البكرى يذكرها فى كتابه المسالك والممالك منفصلة تمامـــا

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٢) طرخان : دولة مالى الاسلامية ص ٥٠ .

من تاريخ مالى ، ويتضح لنا أن السبب فى ذلك يرجع الى أن النوع الاول من المؤرخين كتبوا عن تاريخ مملكة التكرور عندما كانت تخضع لدولة مالى الاسلامية يقول ابن فضل الله العمرى : " ويغلب على سلطان مالى عند أهل مصر سلطان تكرور ولو سمع هذا أنف منه لان التكرور اقليم من اقاليم مملكته ، والاحب اليه ان يقال صاحب مالى لانه الاقليم الاكبر والتكرور مدينة من مدنها " (١) .

اما البكرى فانه يفصل تاريخ مالى عن تاريخ التكرور لانه كتب عن التكرور فى فترة مبكرة عندما كانت لهم سيادة مستقلة عن دولة مالى .

اما عن مملكة السنغى ، فلم يكن لمسالك البكرى نصيب كبير فى افادة الدارسين عن تاريخها فى الفترة التى بسطت نفوذها كدولة ناشئة فى سهول السودان سنة ٤٦٤ م فلم يكتب للبكرى معاصرة هذه الفترة من عمر الدولة . ولهذا ذكر الدارسون انهم لم يستفيدوا كثيرا مما كتبه البكرى (٢) .

ولكن مادة البكرى لم تخل من الاشارة الى بداية الاسلام فى سنغى فى بداية القرن الحادى عشر فهو يذكر ان قسما كاملا من مدينة كوكو يسكنه المسلمون (٣) ويذكر لنا

---

(١) مسالك الابصار المجلد ٣ ج ٢ ص ٤ ٢٩ مخطوط بدار الكتب رقم ٢٥٦٨ .

(٢) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقية ص ٤٩ .

(٣) البكرى : المغرب ص ١٨٣ .

البكرى بعض المعلومات عن مدينة كوكو التى اصبحت عاصمة للسنغى فيما بعد ، وكانت من أعظم مدن السنغى لدرجة جعلت بعض المؤرخين يطلقون على دولة السنغى اسم كوكو[1] ، ونص البكرى عن كوكو يشمل وصف موقعها محاذية لتادمكة من الشط الثانى ، وذكر البكرى أن العلة فى تسميتهم بالكوكو جاء من نغمة طبلهم التى تحكى ذلك ، كما وصف البكرى عمل أهل كوكو وتجارتهم فى الملح وذكر البكرى أيضا عادات الشعب وعاداته ونص البكرى عن مدينة كوكو يحسم الخلاف الذى بينه وبين المؤرخين فقد وصف بعضهم اهل كوكو بانهم مسلمون[2] ووصفها البعض الآخر بانها بلاد كفار[3] ، والتفسير الواضح لهذا الخلاف هو الذى أورده البكرى حين أشار الى أن أحد اقسام المدينة يسكنه المسلمون ، والقسم الآخر يسكنه الكفار فنظر ياقوت الى القسم الاسلامى من المدينة ووصف أهلها بالاسلام ، ونظر ابن سعيد الى القسم الثانى الذى يسكنه الوثنيون فوصفها بانها بلاد كفار يقول البكرى : " وبين تادمكه ومدينة كوكو تسع مراحل والعرب تسمى اهلها البزركانيين وهى مدينتان مدينة الملك ومدينة المسلمين وملكهم يسمى

---

(١) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقية ص ٤٧ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٢٩ ، طهران ١٩٦٥م .

(٣) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ٩٣ ، بيروت ، حققه اسماعيل العربى ١٩٧٠م .

نحداً ويهم كرى السودان من الملاحف وثياب الجلود وغير ذلك وهم يحبدون الدكاكير كما تفعل السودان ... ويزعمون انهم انما سموا كركوا لا الذى يغهم من نغمة طبلهم ذاك " (١) .

وتفيدنا نصوص البكرى عن كوكو فى القاء بعض الاضواء على بداية دولة السنغى فى القرن الحادى عشر الميلادى لغموض تاريخها فى هذه الفترة (٢) .

اما عن دولة الكانم : فان نصوص البكرى واليعقوبى تمثل أقدم مادة وصلت الينا عن تاريخ تلك الدولة .

فذكر البكرى موقعها ومعتقدات شعبها وصعوبة زيارتها كما أشار الى بعض سلالات الامويين التى وصلت اليها ، حين اضطهدهم العباسيون ، يقول البكرى : " وبين زيله وبلد كانم أربعون مرحلة ، وهم وراء صحراء بلاد زيله لا يكاد أحد يصل اليهم وهم سودان مشركون ويزعمون ان هنالك قوما من بنى أمية صاروا اليها عند محنتهم

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٨٣ .

(٢) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ص ١٨٣ .

بالعباسيين » (١) .

ويتضح من مادة البكرى ان تلك السلالة الامية لم تتأثر بالشعب الزنجى فى كانم فيشير الى احتفاظهم بزيهم وهاذ انهم وصفهم بانهم على زى العرب وأحوالها

وبناء على ما تقدم : فان البكرى لم يتحدث عن كانم الاسلامية فدولة كانم حتى عصره كانوا مشركين (٢) .




---

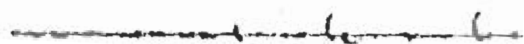
(١) البكرى : المغرب ص ١١ .

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٦ ص ١٣٩ .

وكركو (١) وغانه (٢) وغيرهم من انواع الاحابيش •

فالزنج اصناف منهم مكيس (٣) وبربرا (٤) وهم غير البر والمشـــكو (٥) وغيرهـــم •

بحر السودان الزنج والاحابيش وغيرهم (٦) وهـــو (٧) عن يمين الهند وقطعت الزنج دون سائر (٨) الاحابيش الخليج المنفصل مـن أعلى النيل الذى يصب الى بحر الزنج • فسكنت (٩) فى ذلك الصقـــع •



(١) يذكر البكرى انهم سموا كركو لان مايفهم من نغمة طبلهم ذاك •

(٢) واحدة من ممالك السودان التى قامت فى الاقليم بين السنغال والنيجر •

(٣) و(٤) و(٥) فى (ن) و(ل) " والزنج اصناف منهم مكس وبربر وهم غير البربـــر والمشكو ولم اعثر فى المصادر العربية على التعريف بمكيس والمشكو واما بربرا فقد ذكر ياقوت انها تقع بين بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحـــر اليمن وبحر الزنج فى نص طويل ج ١ ص٣٤٢ •

(٦) " السودان " • و" غيرهم " سقطت من الأصل واضيفت من (ن) و(ل) •

(٧) فى الاصل هو بدون واو •

(٨) سقطت من (ن) و(ل) •

(٩) الضمير فى سكنت يشير للزنج انظر المسعودى المروج ج ٢ ص٦ •

واتصلت مساكنهم الى بلاد سفاله[١] وسفاله متصله ببلاد سودان المغـــــرب واقاصى مساكنهم فى المشرق ، وبلاد الواق واق[٢] واتخذها الزنج[٣] دار مملكة وسمة ملكهم " وفليمى "[٤] وهو ملك ملوك سائر الزنوج ومعناه ابن الرب تعالى الرب [عن قولهم علوا كبيرا ٠][٥]

ومعناه انه اختاره لملكهم بالعدل فيهم ، فمتى جار[٦] الملك عندهـــم أو جاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ، ويزعمون أنه اذا مافعل ذلك ملـــك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذى هو ملك السماء والارض يركب وفليمـــــى[٧] فى ثلاث مائة [الف[٨]] فارس ود وابهم[٩] البقر وليس فى ارضهـــــم

---

(١) سفالة هى اقاصى بلاد الزنج وإليها تقصد مراكب العمانيين والسيرافيـــين انظر المسعودى التنبيه والاشراف ص٦٥ ليدن ١٨٩٤٠

(٢) هى ارض كثيرة الذهب، كثيرة العجائب المسعودى ج ٢ ص٦ ٠

(٣) من " الى بلادهم " الى " الزنج " سقط من نسختى (ن ع) و(ل) ٠

(٤) وفليما فى (ن) و(ل) ٠

(٥) مابين الحاصرتين سقط من الأصل ٠

(٦) فى الاصل جاد ٠

(٧) فى (ن) و(ل) اتليما ٠

(٨) سقط من الأصل واضفنا من (ن) و(ل) ٠

(٩) د وابهم بدون واو فى (ن) و(ل) ٠

[خيل] ولا بغال ولاحمير (١) (ولا ابل ولا يعرفونها (٢) والزنج اطيب الامم افواها لرطوبة أفواههم وكثرة الريق فيها ، ومن دخل بلاد الزنج فلابد له ان يحرب فيها (٣) .

ومن أرضهم يحمل الذبل (٤) من ظهور سلاحفهم ، وفي بلادهم تكون الزرافة (٥) وهي من الدواب التي تألف (٦) وتتودد الى اهلها (٧) ومنها تحمل وتهدى الى الملوك ، وعندهم جلود النمور الحمر، وهي لباسهم ، وبلادهم اكثر تلك البلاد (٨) فيلة الا أنها وحشية لاتنقاد ولايستعملونها (٩)

---

(١) لم ترد في الاصل وماهنا من (ن) و(ل) .

(٢) لايعرفون شيئا منها في (ن) و(ل) .

(٣) يحرب فيها ، كأنها بياض في (ن) و(ل) والعبارة غير واضحة .

(٤) الذبل هو الذي تتخذ منه الامشاط كالقرون .انظر المسعودي مروج الذهب ج ٢ ص٤ .

(٥) اورد الكتاب العرب خرافات كثيرة حول اصل الزرافة المشترك مابين الابل والنمر وغيرها ولم يشر البكري الى شيء من ذلك .

(٦) يذكر المسعودي ان بعضها وحش كالفيلة .مروج الذهب ج ٢ ص٥ .

(٧) في (ن) و(ل) أيها .

(٨) اكثر بلاد الله في نسختي (ن) و(ل) .

(٩) يستعملو ، هكذا وردت في الاصل ويقصد استعمالها في الحروب .. المسعودي ج ٢ ص ٦ .

وهم يقتلونها بشجر يطرحونه [١] لها [٢] في مشاربها يسكرها [٣] فتقع ولامفاصل [٤] لها فيخرجون اليها باعظم مايكون من الحراب فيقتلونها لاخذ انيابها ، فمن ارضهم تجهز انياب الفيلة الى الاقطار [٥] .

واكثر مايتجهز به الى عمان ، ومن [٦] عمان الى سائر البلاد واكثر مايستعمل العاج بارض الصين ، لأنهم يتخذ ون منها [٧] الاعمدة [٨] وبها [٩] يدخلون على ملوكهم لايدخل عليهم أحد من خدمهم وحشمهم وقوادهم [١٠]

---

(١) يطرحون ، وردت في الاصل .

(٢) سقط من نسختي (ن) و(ل) .

(٣) تسكرها بالتا وردت في الاصل .

(٤) معناه لامفاصل لقوائمها المسعودي ج ٢ ص ٦ .

(٥) في (ن) و(ل) الافاق .

(٦) ومن عمان سقط من (ن) و(ل) .

(٧) منه في (ن) و(ل) .

(٨) يقول المسعودي لولا استعمال العاج في الاعمدة لكان بارض الاسلام كثيرا مروج الذهب ج ٢ ص ٧ .

(٩) في (ن) و(ل) وفيها .

(١٠) ولايدخلون عليهم احد من حشمهم وقوادهم بحديد في (ن) و(ل) .

بحديد ويستعملونه ايضا فى دخن[1] بيوت أصنامهم وابخرة [2] هياكلهم
وأهل الصين لايتخذون الفيلة فى الحروب كاتخاذ الهند ، ويتطيرون من[3]
ذلك [الخبر][4] كان لهم فى قديم [5] الزمان فى بعض حروبهم ويستعمل
من انيابها كثير ببلاد الهند فى [6] الشطرنج والنرد وصور الشطرنج عندهم
لايصرفها اللاعب بها الا قائما لكبرها ، ولاستعمال الفيلة فى سائرمواضعها
من الممالك [7] وشدة [8] حاجتهم اليها لايقتلونها قال ولعب اهل
الهند بالنرد والشطرنج قمار فاذا [9] نفد مامعه[10] لعب على قطع

---

(١) دخن بيوتهم اصنامهم فى (ن) و(ل) .
(٢) انجدة بالدال فى (ن) و(ل) .
(٣) بذلك فى (ن) و(ل) .
(٤) سقط من الاصل وهاهنا من (ن) و(ل) .
(٥) فى (ن) و(ل) قدم .
(٦) كثير البلاد بلاد فى (ن) و(ل) .
(٧) المماليك فى (ن) و (ل) .
(٨) سقط من نسختى (ن) و (ل) .
(٩) واذا فى (ن) و (ل) .
(١٠) مامع اللاعب فى (ن) و (ل) .

اعضاء [١] جسمه اصبعا اصبعا حتى ربما اتى على الزند والزراع ، ولهم دهن أحمر مركب يغلى ويغمس فيه موضع القطع فيمسك الدم ويدمل لحينه ويعود صاحب القطع الى لعبه لايكترث [٢] ويعمر الفيل بأرض الزنج [٣] نحوا من اربع مائة سنة [٤] ولاينتهى عمره فى سائر مواضعه هذا [٥] ، وحدثنى غير واحد عن ابى ذر عن [٦] ابن احمد بن محمود بن سبكتكين [٧] صاحب غزنه [٨] وما والاها

---

(١) اعطاء فى (ن) و(ل) ٠

(٢) ولايكترث فى (ن) و(ل) ٠

(٣) " الهند " وردت فى الاصل وما اثبتناه من (ن) و(ل) ٠ وكذا فى المسعودى ج ٢ ص ٨٠

(٤) " عام " فى (ن) و(ل) ٠

(٥) " هذا " هكذا وردت فى جميع النسخ والمناسب قبلها ٠

(٦) فى الاصل " عبد " وما اثبتنا من نسختى (ن) و(ل) ٠

(٧) سبختكين فى جميع النسخ وهو تصحيف انظر ابن خلدون ، المبرج ٤ ص ٧٧ وهى دولة من فروع دولة بنى سامان وكان مبدأ امرهم فى غزنه ٠

(٨) غدنه بالدال فى (ن) و(ل) وفى الاصل غزنى وهو تصحيف ايضا " غزنه " وهى مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان وهى الحد بين خراسان والهند ٠ انظر المبرج ٤ ص ٧٧ بيروت ١٩٥٨ وكذلك ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٧٩٨ ٠

من البلاد انه اصاب في تصيده (١) فيلا ابيض فوجد عليه وسما لبعض ملوك الفرس " شاهاشاها " كان قبل الاسلام فوسمه محمود هذا وأرسله وحمل اناثها سبع سنين ، ولها بأرض الهند آفة عظيمة ، وهى دابة اصغر من الفهد تعرف بالزبرق احمر ذو زغب سريع الوثبة تبلغ وثبته الخمسين زراعا فاذا أشرف على الفيل رشش عليه بوله بزنبه (٢) فيحرقه (٣) ويقتله وان لحق الانسان منه شئ اتى عليه وقد يتحصن منه الرجل في أعلى مايكون من شجر الساج (٤) وهى كسحوق النخل واطول الانهما شوا (٥) فيدركه هذا الزبرق بوثبته وان عجز عنه رشش بوله الى اعلى الشجرة فان سقط الانسان باصابه ذلك ، والا وضع رأسه فى الارض وصاح صياحا مفرطا فتخرج من فيه قطع دم ومن ساعته ،

---

(١) مابعد تصيده ساقط من (ن) و(ل) وسوف يكون اعتمادنا على مخطوط المتوضى والمصادر الاخرى.

(٢) فى الرسم غرض . انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٨ .

(٣) فى الاصل فيجرقه ، وماهنا من المسعودى ج ٢ ص ٨.

(٤) الساج شجر اكبر من النخل المسعودى ج ٢ ص ٩.

(٥) كذا فى الاصل والكلمة غير واضحة وعبارة المسعودى فى المروج ج ٢ص ٩ . فاذا تعلق الانسان باعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان عن ادراكه لصق بالارض ووثب الى اعلى الشجرة فان لم يلحق الانسان فى وثبته رشش من بوله الى أعلى الشجرة والا وضع رأسه فى الارض وصاح صياحا عجيبا فيخرج من فيه قطع دم ومن ساعته .

وأى موضع من الشجر سقط عليه من بوله احرقه وحرارة هذا الحيوان سم لايلبث وهذا الزبرق لايأوى [1] فى موضع يكون فيه النوشان [2] وهو الكركدن والفيل ايضا يحذره ويرهبه ولايقرب مكانا هو فيه •

ومن عجائب الفيل على عظمه انه يهرب من السنانير [3] على وجهه وقد احتال بذلك بعض ملوك المولتان [4] من العرب المتقدم ذكرهم وهو هارون بن موسى فى حربه مع بعض ملوك الهند فخلى القط على رئيس فيلتهم وقدمهم فى عسكره فكان سبب انهزامهم والظفر بهم وفى ذلك يقول :

---

(١) هكذا ورد فى الاصل وكذا فى المسعودى • مروج الذهب ج ٢ ص ٩٠
(٢) الكركدن حيوان مثل العجل وفى جبهته قرن يقاتل به وآخر صغير اسفل منه بين عينيه يقلع به الحشيش ويطعن الاسد والفيل • انظر ابن الفقيه كتاب البلدان ص٧٧ النص من كتاب المكتبة العربية السودانية ص٣٠ •
(٣) السنانير هى القطاط المسعودى مروج الذهب ج ٢ ص ٩٠
(٤) من الثغور الاسلامية فى الهند وملوكها من العرب وقد فتحت فى أول الاسلام • انظر ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٦٨٩ •

الصينى والتبتى واللمطى [٢] وغيرها . والفيلة لاتتوالد الا بأرض الزنج والهند والسند ولايعظم [٣] منهاشئ كفيلة الزنج ويظهر فى وقت من السنة من جياد الفيلة بأرض الهند من رؤوسها عرق هو كالمسك أو أطيب ، وهم يراعونه فيكون أطيب طيب ملوكهم وفيه من المنافع غير فائق طيبه . مايؤثر فى الانسان عند شمه من الشبق والاغتلام والطرب والاريحية . وشجعان الهند وفتاكها يستعملونه عند اللقاء لتقويته للنفس وحثه على الاقدام وأكثر مايظهر هذا العرق فيها فى وقت اغتلامها وهيجانها وعند هروب سواسها عنها وفزعهم منها . والفيل حينئذ يندمن بلد ويفارق وطنه مسيرة الشهر واكثر فاذا ذهب ذلك عنه عاد

---

(١) الزنديل هو العظيم من الفيلة . انظر المسعودى ج ٢ ص ١٠ .

(٢) لمطه بالفتح ثم السكون وطاء مهملة ارض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البر الاعظم يقال للارض والقبيلة معا لمطه واليهم تنسب الدرق اللمطيه . انظر ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦٥ .

(٣) اى لاتعظم انيابها وهى فى السند والهند كانيابها فى بلاد الزنج . انظر المسعودى ج ٢ ص ١١ .

الى وطنه سقيا طيلا •

والزنج لاتتحلى بشيء من العاج على كثرته عندها [١] ولا بالذهب ولا الفضه وانما تتحلى بالحديد [٢] ودوابهم البقر كما ذكرنا وعليها يقاتلون بدلا [٣] من النجب [٤] والخيل وهي [٥] تجرى كالخيل بالسروج واللجم • وليس للزنج شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وانواع من السياسات ولهم لسن وفصاحة بلغتهم وفيهم خطباء يقومون في جماعتهم فيرغبون في الطاعة • ويذكرون من مضى من ملوكهم واسلافهم [٦] • ومن بلاد الزنج اليوم امصار ومدن ملوكها مسلمون من الفرس مثل مركه [٧] يجلب منها العاج والزرافات والصندروس [٨] وجميع ما في بلاد الزنج • ومدينة يقال لها مكوى ومدينة يقال لها تلو ومدينة يقال لها نفسية [٩] وهو بلد جليل من بلاد الزنج وملكهم مسلم خير وحمة ملوكهم

---

(١) يذكر ابن وصيف شاه انهم يبيعون انياب الفيلة الى تجار البلدان • مخطوط عجائب الدنيا • ج ٢ ق ٢١ •

(٢) يستخرج الودع من جزائر الزنج •انظر ابن وصيف شاه • المصدر السابق ج ٢ ق ١٥ •

(٣) " يدسل " في الاصل وما اثبتناه من المسعودي • مروج الذهب ج ٢ ص ١٥ •

(٤) النجب هي الابل النجيبه • المصدر السابق ج ٢ ص ١٥ •

(٥) يعني بذلك البقر • انظر المسعودي ج ٢ ص ١٥ •

(٦) يلاحظ ان البكري ينقل في هذا الموضع بتصرف قارن بين نصه ونص المسعودي ج ٢ ص ١٦ـ١٧ •

(٧) سبق التعريف بها •

(٨) معدن شفاف تعمل منه المسابح •

(٩) لم ترد هذه المدن في المعاجم •

والنارجيل[٢] اكثر شيء في جزائرهم ، وهو من اقواتهم ، واللحم والعسل عندهم كثير وهو من اقواتهم وجزائر لاتحصى كثرة منها جزيرة بينها وبين ساحلهم يومان يتوارثها الملوك من المسلمين يقال لها قنبلو[٣] وقد تقدم ذكرها .

---

(١) الكلاري بالراء عند المسعودي ج ٢ ص١٧ .

(٢) النارجيل هو جوز الهند .

(٣) اختلف الدارسون حول قنبلو فذكر البعض انها مدغشقر . ويرى البعض انه لايمكن الجزم بأن قنبلو هي جزيرة مدغشقر ، وقد سكنها المسلمون نتيجة لهجرة الزيديين الى الشاطيء الافريقي الشرقي . أنظر حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٣١ ترجمة الدكتور يحي الخشاب . القاهرة ١٩٥٨ وكذلك جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية ص ٧٦ ـ القاهرة ١٩٢٧م ، والمسعودي . المصدر السابق ج ٢ ص١٧ .

ذكر النوبـــة (١)

فافترقت فرقتـــين فى غربى النيل وشرقيه واناخت على شطيه فاتصلت ديارها بديار القبط من ارض مصر ، والصعيد من بلاد اسوان ، واتسعت ديارها على شاطئ النيل مصعدة ، ولحقوا قريبا من اعاليه ودار مملكتهم دمقـله (٢) بأحد الشطين ، وبينها وبين حل مصر اربعون يوما ، ودار ملكهم فى الشـــط الثانى سوبة (٣) .

وقال غيرس (٤) اسمها علوة (٥) وهذه من ناحية الصعيد وهذا الشـط اوسع مملكة (٦) من الآخر واهلها (٧) اصفى الوانا ، واحسن زيا وملوكهـم

---

(١) يلاحظ هنا اعتماد البكرى على المسعودى والعبارة فى المروج واما النوبـة فافترقت ج ٢ ص ١٧ .

(٢) ترد فى المصادر العربية دنقله بالنون اكثر من دمقله بالميم . انظـــر المسعودى ج ٢ ص ١٧ .

(٣) سرته فى الاصل وهى تصحيف لسوبه .

(٤) يلاحظ ان البكرى يعتمد على مصادر خلاف المسعودى .

(٥) وليوة فى الاصل وهى تصحيف و " علوه " وكذلك وردت فى المــــروج ج ٢ ص ١٧ .

(٦) وهنا ينتهى الجزء الساقط من (ن) و(ل) .

(٧) فى (ن) و(ل) واهله .

وركوب عوامهم البراذين ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطـــــة (٧)
والاترج عندهم كثير وفرس بلادهم يسقيها النيل ، وهناك غيـــاض

---

(١) وعلى هذا الرأى المسعودى فى المروج ، وهذا يعنى ان المــلوك يمثلون طبقة قائمة بذاتها والشعب النوبى يمثلون عبيد الملوك ، انظـــر مصطفى مسعد الاسلام والنوبه ص٩١ .

(٢) المسعودى فى (ن) و(ل) .

(٣) سقط من (ن) و(ل) وتكرر الاسم فى الاصل .

(٤) تتفق نصوص البكرى مع ابن الفقيه والمسعودى ان المسيحية فى بـــلاد النوبة كانت على مذهب الكنيسة المصرية ، انظر التنبيه والاشراف ص١٥١ والبلدان ص٧٧ .

(٥) القرآن فى الاصل وهو تصحيف ، انظر الدمشقى نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص٢٦٩ ليبزج سنة١٩٢٣م وفى هذا النص اشارة الى وجـــود اساس للمذهب المالكى فى بلاد النوبه ،انظر مصطفى مسعد ، الاســـلام والنوبه ص٦٤ .

(٦) وهم لايطاوون فى الحيضة ويغتسلون من الجنابة " هكذا وردت العبارة فى (ن) و(ل) .

(٧) فى (ن) و(ل) الذره والحنطة والموز ، وهذا يشير البكرى الى اعتماد النوبيين على حرفـة الزراعه .

كثيرة وحوالي هذه الكور[1] معادن الذهب [والفضة [2]] وتسير من دمقله في جبال وشعاب حتى تنتهي الى صوري وهي آخر بلادهم وهي مدينة كبيرة على شاطئ النيل والزرافات في بلاد النوبة كثيرة [3] ويتخذون من جلودها النعال [4] يلبسونها فلاتكاد تنقطع الا في الدهر الطويل ، وبين بلادهم واسوان قردة صغار في مقدار الهررة [5] يسمونها النسناس ، والابل في بلاد النوبة [6] صغيرة [7] الخلق والنمور [8] عندهم عظيمة الخلق بخلاف المعهود وهم يتكاتبون في ورق البردي ويقال [9] ان في بلادهم نهر يقال [10] له نوسه

---

(١) سقطت من (ن) و(ل) .

(٢) سقطت من الاصل وادخلناها من (ن) و(ل) .

(٣) كثير بدون تاء في الاصل .

(٤) في (ن) و(ل) النعل .

(٥) الهدده في (ن) و(ل) .

(٦) في بلادهم في (ن) و(ل) .

(٧) صغيرة الخلق قصيرة القوام في (ن) و(ل) .

(٨) النمر في (ن) و(ل) .

(٩) قيل في (ن) و(ل) .

(١٠) في الاصل نهرا وفي (ن) و(ل) يسمى .

ولعامله باسوان عدد، وللحاكم بها ايضا عدد، تبلغ نحو الثمانين [1] رأســـا •

وبلد اسوان اهله العرب من قحطان وربيعة ومضر وقريش ناقلة من الحجــاز، وهو [بلد [2]] خصيب كثير النخل تزرع النواة فى تربته فتنبت نخله فتثمـــر لسنتين ثمرا وبلاد البصرة وغيرها لايغرس النخل الا فى الفسيل [3] ومايخـــرج من النواة فليس بثمر ولأهل اسوان فى بلاد مريس من ارض النوبة ضياع كثـيرة خطيرة [4] ابتاعوها فهم فى زمن بنى امية يؤدون خراجها الى ملك النوبـــة وقال مجاهد كان لقمان عبدا نوبيا اسود ذا مشافر [5] ومن النوبة النســـاء المعروفات بالمقورات لايقدر احد على اقتضاض ابكارهن ولامباشرتهن حـــتى تفتق القوابل من قبلهن بقدر مايحتاج للوطئ، وهن أطيب النساء خــــلوة

---

(١) يختلف المسعودى فى تقديراته للارقام عن البكرى فيجعل للحاكم ٥ وللامير ٢٠ وللشهود ١٢ •انظرمروج الذهب ج ٣ ص٥٠ •

(٢) سقطت من الاصل واضفنا من (ن) و(ل) •

(٣) يشير البكرى الى ان تربة اسوان ليست كتربة البصرة وغيرها مـــن ارض النخل لأن النخل بالبصره لاينبت من النوى بل ينبت من الفسيل وهـــو النخيل الصغير •

(٤) سقطت من (ن) و(ل) •

(٥) لقمان الحكيم الذى كان مع داود عليه السلام فقدكان من النوبة ابو الفداء انظرالمكتبة السودانية ص ٢١١ •

التى يوجد فيها الزمرد متصل بجبل المقطم الذى على مصر ولايعرف معدن للزمرد (١) سواه الا ببلاد البلهرى (٢) من أرض الهند ولايلحق بهذا والهندى (٣) هو الذى (٤) يعرف بالمكى لأنه يحمل الى عدن ويؤتى به الى مكة فاشتهر بهذا الاسم .

والزمرد الذى يقلع من الخربه يتنوع أربعة أنواع فاعلاها الذى يعرف بالمر وهو كثير المائية (٥) شبيهة (٦) خضرته باخضر مايكون من السلق ولا مضوب (٧) الى شىء من السواد والنوع الثانى البحرى وهو فى لون (٨) ورق الآس وانما غلب عليه هذا الاسم لأن ملوك البحر من الهند والسند والصين ترغب فيه وتوثره لتيجانها واكاليلها وسائر حليها (٩) .

---

(١) الزمرد بلام واحدة (فى (ن) و(ل) .

(٢) بلاد البلهرى نسبة الى ملك الهند الاكبر بلهرا . المكتبة السودانية ص ٢٣ .

(٣) رسمها فى الاصل غير واضح .

(٤) سقطت من (ن) و(ل) .

(٥) هكذا وردت فى جميع النسخ .

(٦) فى (ن) و(ل) يشبه .

(٧) لايميل فى (ن) و(ل) .

(٨) نبع فى (ن) و(ل) .

(٩) سقط من نسختى (ن) و(ل) من " وتوثره " الى حليها .

وخضرته [illegible]

المدسة •

ولاخلاف بين الناس أن الحيات والافاعى وسائر انواع الهوام والثعابين لاتقرب هذا المعدن وقد قالوا ان هذه الانواع اذا ابصرت الزمرد (٧) الخالص سالت أحداقها وأن الملسوع اذا سقى منه وزن [دانق او (٨)] دانقين (٩) امن على نفسه وقد كانت ملوك اليونانيين اصحاب الحكمة تفضله على سائر الاحجار طرا وأهل العلم به يقولون ان شعاعه النورى وخضرته تقوى بزيادة القمر وامتلائه •

---

(١) الروس فى جميع النسخ •

(٢) يتنافسون فى (ن) و(ل) •

(٣) يسمى بالاضم فى (ن) و(ل) •

(٤) لكدرته فى (ن) و(ل) •

(٥) فى (ن) و(ل) واكبر وماهنا من الاصل •

(٦) مابعد الزمرد سقط من (ن) و(ل) •

(٧) هنا ينتهى ماسقط من (ن) و(ل) •

(٨) سقط من الاصل وماهنا من ن و (ل) •

(٩) ورد هكذا فى الاصل وبقية النسخ •

والبجاه جنس من الحبش ولهم قلاع كثيرة واسم مدينة ملكهم هجـــــر [١]
وهم اصحاب ابل ولهم حراب يحاربون بها على ابلهم وهم عدة اوثــــان [٢]
ولهم صنم من حجارة فى صورة الصبى يسجدون له واحكامهم احكام التورات ولـم
يكن للبجاه عهد ولاصلح [٣] واول من صالحهم عبد الله بن الحبحاب [٤] وزعم
بعض الشيوخ انه قرأ فى كتاب ابن الحبحاب فاذا فيه ثلاث ماية بكر فى كـــل
عام حتى [٥] ينزلوا الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على ان لايقتلوا مسلمــــا
ولا زميا وان قتلوا فلاعهد لهم ولايأوا عبيد المسلمين وان يردوا اباقهــــــم
واسم بلاد البجاه بفلال واول ممالك البجاه من حد اسوان ومدينتهم يقــــال
لها هجر.

فاما الحبشه فاسم دار مملكتهم كعبر [٦] وسمة ملكهم النجاشي وفيهــــا
كان الذى آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم من ولد حبش بن حـــوش [٧]

(١) هنا ينتهى ماسقط من (ن) و (ل).
(٢) يخالف الادريسي اجماع المؤرخين فيجعل البجا نصارى خوارج على مذهب اليعقوبيه. انظر صفة المغرب والسودان ص٢٧ طبعة ليدن ١٨٦٤م.
(٣) لم يشمل صلح النوبة على البجاه فابن عبد الحكم يشير الى أن عبد اللــــه ابن سعد لم يكترث بهم.
(٤) صالح عبيد الله بن الحجاب البجاه وفى (ن) و(ل) ابن الجبهــــات فقد صالحهم بسبب اغارتهم على مصر. انظر المكتبة السودانية العربيــــة ص١٦٩.
(٥) حين فى (ن) و(ل).
(٦) كعبى فى المسعودى ج ١ ص٣٣٤.
(٧) كوش فى (ن) و(ل) وماهنا ورد فى الاصل.

ابن حام وللحبشة مدن كثيرة وعماير واسعة تتصل بالبحر الحبشي ومن مدائنهم المشهورة مدينة تسمى علوه وساحل الحبشه مقابل لبلاد اليمن وهم على شاطئ البحر الغربي واقرب عرض البحر هناك ثلاثة ايام وهو[1] [على][2] ساحل زبيد من ارض اليمن ومن هذا الموضع[3] عبرت الحبشه البحر الى اليمن[4] في ايام ذي نواس وهو صاحب الاخدود وبين هذين الساحلين جزيرة يقال[5] لها جزيرة المقل فيها ماء يعرف بماء المقل يستقي منه أهل المراكب ويفعل في القرائح فعلا عجيبا[6] وذكر الفلاسفة خواص هذا الماء وتأثيره وقد طلب ابن زياد على هذه الجزيرة وله فيها رجال مرتبون وفي هذا البحر مايلي بلاد عدن جزيرة سقطره واليها يضاف الصبر السقطري ولايوجد في الارض الا فيها[7] وقد كتب ارسطاطليس الى الاسكندر

---

(١) هوه في النسخ الثلاث •

(٢) سقط من الاصل وماهنا ورد في (ن) و(ل) •

(٣) المكان في (ن) و(ل) •

(٤) في الاصل عبرت الحبشه البحرمن ملك اليمن •

(٥) سقطت من (ن) و(ل) •

(٦) عظيما في (ن) و(ل) •

(٧) في (ن) و(ل) في غيرها •

بحميه بهذه الجزيرة وان يبعث اليها جماعة من اليونانيين فيسكنهم فيها لئلا يغلبوا عليها في مستقبل (١) الاعصر مراعاة للصبر ففعل الاسكندر ذلك فليس في الدنيا ، والله اعلم موضع فيه من اليونانيين قوم (٢) يحفظون انسابهم لم يخالطهم فيها رومي [ولاغيره (٣)] الا أهل هذه الجزيرة وهم نصارى .

ولهذه الجزيرة اخبار عجيبة من خواص النبات وبلاد الحبشة واسعة جدا متجهز اليهم التجار بالامتعة من مصر واليمن وجاورها من البلاد (٤) الزيلع وباضع (٥) وسواكن ودهلك (٦) وفي هذه المدن (٧) والجزائر المسلمون والمساجد والحكام وراكب صاحب زبيد وغلافقة (٨) من ساحل اليمن تختلف الى ساحل الحبشة [الى بلاد النوبه (٩)] وبينهم وبين الحبشة مهادنة ومن بلاد الحبشة الى بلاد النوبه مسيرة شهرللحبشه حذق ومعرفة يتباينون

---

(١) في سائر (ن) و(ل) .

(٢) قوم من اليونانيين في (ن) و(ل) .

(٣) سقط من الاصل وماهنا في (ن) و(ل) .

(٤) من بلاده في (ن) و(ل) .

(٥) تقع جنوب سواكن الشاطر حضارات السود ان ص١٤٥ .

(٦) مجموعة من الجزائر في البحر الاحمر امام ميناء مصوع الشاطر المرجع السابق ص١٤٥ .

(٧) علايقة في (ن) و(ل) .

(٨) سقط من الاصل .

(٩) مابين الحاصرتين سقط من الاصل .

وفى [illegible] الحبشة قوم يمشون على اربع [illegible] لا تطول اعمارهم [3]
وخاطبات الحبشه وجميع ماعندهم من الكتب فى فنون العلم انما هو فى ورق الموز واخبرنى [4] من رأى [5] تواريخها مانفذ الى بلاد الاسلام منها مايدل [6] على بقائها وقلة تغيرها واما غير هؤلاء من الحبشة المغربيين [7] مثل الزغاوه والتكرو وغيرهم فلهم ممالك هناك وبلاد قد أتى على ذكرها فى غير هذا الكتاب [8] .

---

(١) وهم فى (ن) و(ل) .
(٢) المثنون هو طرف اللحية . انظر ابن منظور لسان العرب ج ١٧ ص ١٤٨ بولاق سنة ١٣٠٣ هـ .
(٣) يعتبر هذا من امثلة الاساطير التى ترد فى كتابات البكرى وقد نقلها عن غيره .
(٤) اخبرنى من غير واو وردت فى (ن) و(ل) .
(٥) البكرى يروى عن شاهد عيان .
(٦) مايدل فى (ن) و(ل) .
(٧) المتقدمين فى (ن) و(ل) .
(٨) هذه عبارة المسعودى وهى من مواطن الخلط التاريخى .



من اطلس التاريخ الاسلامي

الخاتمـــــة

انتهت هذه الدراسة التى تدور حول شخصية البكرى المؤرخ الى عدد من النتائج • ونكتفى بتسجيل مجمل لأهم ما جاء فيها تاركين بقية التفاصيـــل لورودها فى صلب الدراسة •

١ـ كشفت هذه الدراسة عن وجوه الاختلاف التى جاءت فى المصـــادر العربية حول شخصية البكرى واتخذت موقفا مؤيدا بالأدلة فى تحديد اســم البكرى وتاريخ ميلاده ومكان ذلك الميلاد وتاريخ وفاته • ومن ثم تصبح الترجمـة لشخصية البكرى محددة وخالصة من الاضطرابات •

٢ـ أبو عبيد البكرى كواحد من العلماء الذين ظهروا فى فترة الانقســام بالأندلس رأى بعض الدارسين رد الفضل فى تكوينه العلمى الى عصر الخلافـة ولم يقبل هذا الفريق وضعه فى جو الحيرة والانقسام بين الطوائف ، وجـــاءت هذه الدراسة لتثبت ما للخلافة من فضل على البكرى وغيره من العلماء وحـــتى لم تنكر فضل عصر ملوك الطوائف وأثره فى البناء العلمى لهؤلاء العلمـــاء

وقد كشفت الدراسة عن روح التنافس العلمى بين الولايات فـــى تشجيعها للعلماء وجذب أكبر عدد منهم الى بلاطها •

٣ـ اتخذ البكرى فى نشاطه الفكرى منهجا موسوعيا " انسكلوبيديـا " وقد أبرزت الدراسة الأسباب التى هيأت للبكرى أن يكون من كتاب الموسوعات فبينت الصورة العامة لتعدد المراكز العلمية بالأندلس ، وانتقال البكرى بين تلك المراكز مما أدى الى تنوع ثقافته ، ومن ثم أوضحت الدراسة الخلفيات التى أهلت ابا عبيد البكرى ، وكشفت الدراسة عن الجهود التى بذلها شيوخ البكرى فى مده بمعارف مختلفة نتيجة لاختلاف تخصصاتهم ، فقد وجد من بينهم المؤرخ كأبى حيان والجغرافى كالعذرى ، واللغوى كأبى على القالى ، والمحدث كابن عبد البر ، وقد ساعد هذا أيضا على خلق الشخصية الموسوعية عند البكرى ،

٤ـ اوردت هذه الدراسة احصاء بمؤلفات البكرى المطبوع منها والمخطوط ، وكشفت عن طبيعة كل مؤلف من مؤلفاته وأوضحت نوع الخبرات الواردة فى كل كتاب من كتبه وبينت مكان طبعه ان كان مطبوعا والامكنة التى حفظت فيها مخطوطات مع بيان الارقام التى حفظت بها تلك المخطوطات فى المكتبات العالمية ، وقد تيسر لنا جمع عشر مخطوطات لكتاب المسالك والممالك باستثناء مخطوط المتحف البريطانى الذى نشره المستشرق الفرنسى

الأول ، وقد كشفت الدراسة عن دقة معلوماته عن هاتين الدولتين ، لأنه عاصر
ترتيبهما وكتب عنهما كتابة العارف بهما ، كما أوضحت الدراسة أيضا المصادر
التى اعتمد عليها البكرى عندما نقل لنا أخبار هاتين الدولتين ، وأوضحت
دور البكرى فى حفظ تراث محمد بن يوسف الوراق المعروف بمحمد التاريخى ،
ووجدنا فى مؤلف البكرى نصوصا كثيرة منقولة عن هذا العالم الذى ضاعت
آثاره العلمية ، ولم تصل الينا الا من خلال كتابات البكرى ،كما ابرزت الدراسة
أهمية مادة البكرى باعتبارها مصدرا هاما للدارسين فى اثبات قدم الاسلام فى
غانه قبل ان يجئ اليها المرابطون ٠

٥ـ صححت هذه الدراسة ما اعتقده بعض الدارسين حين ارجع دقة
معلومات البكرى الى رحلات قام بها وأشارت الدراسة الى خطأ هذا الاعتقاد ،
وعللت دقة معلومات البكرى بمعاصرته للأحداث واعتماده على شهود العيان
فنقل عنهم ماشاهدوه فى تلك البلاد او سمعوا به ٠

٦ـ كان تاريخ بعض دول المغرب يكتنفه الغموض لولا أن تعـرض البكرى لاخبارها فقد خدم تاريخ المغرب خدمة جليلة حيث نشر فى مسالكه وثيقة تكشف عن اخبار دولة برغواطه ولولا مادته تلك لضاع تاريخ دولة الخوارج من بنى المدرار التى قامت فى سجلماسه .

٧ـ قدمت الدراسة عرضا منظما لأخبار دولة برغواطه كشف لنا عن قيام تلك الدولة وفترات حكمها كما صنفت نصوص تلك الدولة بوضع كل خبر فى المكان الذى يناسبه .

٨ـ كشف البكرى بحسه الجغرافى فى مقدمته عن مدينة سجلماسة طبيعة دولة بنى المدرار فى اتخاذها مكانا قصيا على الصحراء واتخذت من ذلك الموقع حماية لنفسها حتى لاتصل اليها يد الخلافة التى كانت تطارد الخوارج .

٩ـ أثبت الاستقراء والتتبع للدول التى كتب عنها البكرى المظاهر والسمات التى تميز كتابته التاريخية وبذا يتضح منهجه التاريخى وقد بسطت الدراسة بين هذا المنهج وبين ماكتبه البكرى عن دولة الادارسة بالمغرب .

١٠ـ لم تهمل هذه الدراسة ماكتبه البكرى عن المدن فاهتمت بدراسته لتأسيس المدن والفتح العربى لتلك المدن ووضحنا ان مادته عن دراسة المدن تتسم بالكثرة وندرة عناصر الخيال التى تفسد الواقع التاريخى ، وايدنا هذا الاهتمام

لصعوبة الحصول عليها فى ثنايا كتابه •

١١ــ تعرضت الدراسة ايضا لماكتبه البكرى عن ممالك السودان فتعرضت لمملكة الزنج والنوبة والبجه والحبشه فى دراسة تحليلية نقدية اتضح من خلالهــا تأثر البكرى بالمسعودى •وختمت هذه الدراسة ببعض الاشارات التى تركهــــا البكرى عن السودان الغربى •

١٢ــ وأخيرا قدم هذا البحث ملحقا محققا عن ممالك السودان ليساهــم فى نشر تراث البكرى العالم المؤرخ •

نماذج

من المخطوطات التي اعتمدت عليها في الدراسة والتحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد و[illegible]

ذكر اخبار المهدي

[illegible] بن تومرت وافعاله

[illegible]

[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

مخطوط الخزانة العامة (الرباط)

كتاب الممالك والمسالك

تأليف الشيخ الإمام العالم المحقق أبي عبيد

عبد الله بن عبد العزيز البكري

[illegible] الله [illegible]

[illegible] عنه

[illegible]

مخطوط مكتبة لالا لي استنبول

... وهو ... [illegible] ... لهذا النهر
موضع يخرج منه الذهب ويقع مصبه بشمال ... الاسـ[illegible]
ذكر ... [illegible] ...
من جبل درن، وهذا الجبل يعترض في الصحراء وهو فاصل
بين الصحراء والساحل ومنه ينحدر كل نهر هناك وهم يختلفون
في تسمية هذا الجبل أسماء مختلفة يسمونه درن
والمصامدة ويسمونه بنكوا وهوارة يسمونه أول
أس، مما ينحدر منه نهر تنسيفت، ووادي أغمات ونهر ...
وهو يقع في وادي وانسيفن وهو يجري الى ... غماطة، ومنها
وادي تواررين وهو يقع في وادي أنستمتن، ومنها وادي أقدم
وهو وادي سلا، ويخرج من هذا الجبل في البلاد الى الصحراء
نهر درعة وهو نهر عظيم يصب في نهر نول في البحر
المحيط، و ... هذا الجبل ينبعث وادي ... وهو
بجانبه الذي يعرف بوادي درنا ويصب في هذا الوادي
عدة أودية تنبع كلها من ذلك الجبال واحماها كلها ...

... لهذا ... وقد
بعد مسافة بعيدة، ومر
بنو قرطبة، ويعرف ...
ومن منبعه الى موقعه
ميل وعشرة أميال، ونبع
الثلج من جبال البيرة، ...
يقع فيه جميع الفروع ...
لوشة، ويقع به ... و
... ويقع فيه الوادي
... من ...
... حمرة وكدرة ...
... ويخرج
... كنعه ...
... الجبال
... ميلا من ...

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال (اسبانيا)

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر جملة من القول في الامصار ومساحة الممالك

الممالك ابو عبيدة ذكر عمر لما افتتح البلاد من العراق والشام ومصر كتب الى [illegible] العجم [illegible] يسله عن البلاد [illegible] امورها وتربتها وحالها فكتب اليه اما الشام [illegible] حسن الالوان ورطب الاجسام وسلب الالوان واما [illegible] الابدان [illegible] بطول الاعمار وتسود الالوان ومن [illegible] الارض التي تضعف الاجسام وتعتري [illegible] مصانعها حصينة واطرافها حربة واما الحجاز فسواد حر [illegible] تنحجز العدة [illegible] الحسوم [illegible] اهله غدر [illegible] ولد [illegible] في اخر الزمان [illegible] حسن [illegible] طيبهم واحوال [illegible] واما العراق [illegible] الارض ومسكن [illegible] الصاح ولاهله اعدل الالوان واصح الاذهان واما الجبال فحسن الاجسام وقبلة الاوصال [illegible] وتفسد [illegible] واما خراسان فتعظم الابدان [illegible] اهله [illegible] وذكر ان [illegible] عن اهل [illegible] الكوفة [illegible] عن اهل المدينة [illegible] عن اهل [illegible] عن اهل الحيرة [illegible]

[illegible] قال اخبرني عن اهل الموصل فلاده [illegible] حرار [illegible] عن اهل الشام [illegible] ولا اهول [illegible] [illegible] الخلوق [illegible] واعصا [illegible] الخالق [illegible] للسما [illegible] وروى ان عمرو بن العاص قال اهل الحجاز [illegible] الناس [illegible] اهل العراق اطلب الناس [illegible] واهل مصر [illegible] الناس صغارا [illegible] كبارا واهل الشام [illegible] الناس [illegible] واعصاهم لخالق وقال سليمان [illegible] [illegible] وقال [illegible] الحجاز اهل [illegible] وتعارف ومداعبة [illegible] واهل [illegible] ولين واهل العراق اهل فهم وفطنة وعدد [illegible] وكثرة [illegible] واهل الشام اهل عقل وسلامة صدور [illegible] الطلمة واهل مصر اهل عقل ولين [illegible] واهل خراسان اهل عقلة [illegible] وشجاعة واهل [illegible] اهل [illegible] وحسن [illegible] واهل اليمن اهل [illegible] وطيش [illegible] وقال [illegible] قال [illegible] بن سلم [illegible] قسم الحفظ عشرة اجزاء تسعة في [illegible] وجزء في سائر الناس [illegible] عشرة اجزاء تسعة في السودان وجزء في سائر الناس وقسم [illegible] عشرة اجزاء تسعة في الهند وجزء في سائر الناس [illegible] اجزاء تسعة في العرب وجزء [illegible] عشرة اجزاء تسعة في الروم [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible]

مخطوط المكتبة الاهلية (باريس)

مصادر البحث

أولا : المصادر المخطوطة :

(١) ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام) ت ٥٤٢ هـ :

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٨ (أدب) .

(٢) ابن وصيف شاه (ابراهيم) : ٥٩٩ هـ :

عجائب الدنيا ، مخطوط بالمتحف البريطانى رقم ٢٦ ١٥

(٣) البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ :

(أ) المسالك والممالك ــ مخطوط المتحف البريطانى رقم ٩٥٧٧ .

(ب) مخطوط المكتبة الاهلية باريس رقم ٢٢١٨ .

(جـ) مخطوط مكتبة محمد المنونى الرباط رقم ٤٩ .

(د) مخطوط المكتبة الوطنية باريس رقم ٥٩٠٥ .

(هـ) مخطوط مكتبة نور عثمانية اسطنبول رقم ٣٠٣٤ .

(و) مخطوط مكتبة لاله لى رقمها ٢١٤٤ .

(ز) مخطوط مكتبة القرويين بالمغرب رقم ل / ٨٠ / ٣٩٠ .

(ح) مخطوط مكتبة الاكاديمية التاريخية بمدريد رقم ٣ مجموعة جاينجوس .

(ط) مخطوط المكتبة الناصرية بلكهنؤ الهند رقم ٥٩ تاريخ •

(ى) مخطوط مكتبة دير الاسكوريال باسبانيا رقم ١٦٣٥ •

ثانيا : المصادر المطبوعة :

(١) ابن الشباط (محمد على بن الشباط المصرى) بدون تاريخ • مدريد ١٩٦٧ـ١٩٦٨ تحقيق احمد مختار العبادى فصلة من صحيفة معهد الدراسات •

(٢) ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك) ٤٩٤ ـ ٥٧٨ هـ : كتاب الصلة القاهرة ١٩٦٦ •

(٣) ابن الابار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) : ٥٩٥ ـ ٦٥٨هـ • الحلة السيراء • جزءان تحقيق حسين مؤنس الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٦٣م •

(٤) ابن أبى اصيبعة (على بن خليفة) ٥٧٩ ـ ٦١٦هـ : عيون الانباء فى طبقات الاطباء • طبعة بيروت ١٩٦٥ •

(٥) ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى) ت ٤٦٣هـ : بيان العلم وفضله • القاهرة ١٣٢٠ هـ •

(٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) ٨٠٨ ـ ١٤٠٦هـ : العبر • وديوان المبتدأ والخبر • طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ

(٧) (أ) ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) ت ٧٧٦هـ :
اعمال الاعلام ، القسم الخاص بالشمال الافريقى ، تحقيق احمد مختار العبادى ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م.

(ب) ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) أعمال الاعلام ، تحقيق ليفى بروفنسال بيروت ١٩٥٦ القسم الخاص بالاندلس

(٨) ابن خير (ابو بكر محمد بن خير) ٥٠٢ ـ ٥٧٥هـ :
فهرست ما رواه شيوخه القاهرة ١٩٦٣م

(٩) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧هـ ـ ٨٧١م :
فتوح مصر والمغرب ـ مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٦١م ، تحقيق عبد المنعم عامر.

(١٠) ابن أبى دينار القيروانى ت ١٠٩٢ هـ المونس فى تاريخ افريقية وتونس ، تونس ١٢٨٦ هـ ، وكذلك طبعة المكتبة العتيقة بتونس ١٩٦٧م.

(١١) ابن عذارى المراكشى (ابو العباس احمد) ت ٦٦٥هـ :
البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧م.

(١٢) ابن طباطبا (محمد على بن طباطبا) ت ٧٠١ هـ :
الفخرى فى الآداب السلطانية ، بيروت .

(١٤) ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن محمد الهمدانى) :

مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ٨٨٥م •

(١٥) ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى) ت فى النصف الثانى من القرن الرابع

الهجرى : صورة الارض ، بيروت ١٩٦٢م •

(١٦) ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٧٧٩هـ :

تحفة الانظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، المطبعة الخيرية

بالقاهرة ١٣٢٢هـ •

(١٧) البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ :

(أ) المسالك والممالك " جغرافية الاندلس واوروبا " بيروت ١٩٦٨م

تحقيق عبد الرحمن على الحجى •

(ب) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، الجزائر سنة ١٨٥٧ م

تحقيق د ى سلان •

(جـ) التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه • القاهرة ١٩٥٤م •

(د) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع • تحقيق مصطفى

السقا ـ القاهرة ١٩٤٥م •

(هـ) اللآلى فى شرح الامالى • تحقيق عبد العزيز الميمنى ـ القاهرة ١٩٣٦م •

(و) فصل المقال فى شرح كتاب الامثال • تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين واحسان عباس ـ الخرطوم ١٩٥٨م •

(١٨) الجزنائى (ابو الحسن على) زهرة الآس • الجزائر ١٩٢٢م •

(١٩) الحميرى (محمد بن عبد المنعم) الروض المعطار فى خبر الاقطار • تحقيق ليفى بروفنسال • القاهرة ١٩٧٣م •

(٢٠) الدمشقى (شمس الدين ابو عبد الله) كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ـ بطرسبرج ١٨٦٦م •

(٢١) السيوطى (جلال الدين بن عبد الرحمن) ٨٤٩ـ ٩١١هـ :

بغية الوعاة • القاهرة ١٩٦٥م •

(٢٢) السلاوى (ابو العباس احمد بن خالد الناصرى) :

الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى • الدار البيضاء ١٩٥٤م •

(٢٣) صاعد (ابو القاسم صاعد) :

طبقات الامم • المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٢م •

(٢٤) الضبى (احمد بن يحيى) ت ٥٩٩هـ :

بغية الملتمس فى تاريخ رجال الاندلس ـ مدريد ١٨٨٤م •

(٢٧) القفطى (جمال الدين ابو الحسن) ت ٦٢٤ هـ :
انباء الرواة على انباء النحاة . القاهرة ١٩٥٠م .
(٢٨) القالى (ابو على القالى) :
الامالى ، القاهرة ١٩٥٣م .
(٢٩) القلقشندى (ابو العباس احمد) ت ٨٢١ هـ :
صبح الاعشى فى صناعة الانشاء . القاهرة ١٩١٥ . كذلك طبعة دار الكتب ١٣٢٤هـ .
(٣٠) المقريزى (تقى الدين احمد بن على) ت ٨٤٥ـ ١٤٤١م :
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ القاهرة ١٩٢٢م .
(٣١) المسعودى (ابو الحسن على) ت ٣٤٦هـ :
مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٦٤ ، وكذلك طبعة دى مينار ودى كورتل باريس ١٨٦٦م .

ثالثـــا : المراجع الحديثـــة :

(١) ابراهيم العدوى ، ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العـــرب ، القاهرة ١٩٦٣م.

(٢) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الاسلاميـــة ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

(٣) حســن احمــد محمود : قيـام دولة المرابطــين ص ١٢٣ . القاهرة سنة ١٩٥٧م.

(٤) خالص (صلاح خالص) :
اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، بيروت ١٩٦٥م.

(٥) دوزى : ملوك الطوائف ـ ترجمة كامل كيلانى ، القاهرة ١٩٢٣م.

(٦) الزركلى (خير الدين الزركلى) :
الاعــلام ، بـــيروت ، ١٩٦٣م.

(٧) سعد زغلول عبد الحميـد :
المغرب العربى ، مصـر ، ١٩٦٥م.

(١٤) (أ) سعد (مصطفى محمد) المكتبة السودانية العربية ، مطبوعات جامعة القاهرة فرع الخرطوم ١٩٧٢م.

(ب) الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى بحث فى تاريخ السودان وحضارته حتى اوائل القرن السادس عشر الميلادى ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٠م.

(١٥) (أ) مؤنس (حسين مؤنس) فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٤٧.

(ب) تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، مدريد ١٩٦٧م.

رابعا : المراجع الاوربيـــة :

(١) اشباخ (يوسف اشباخ) :

تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، القاهرة ١٩٤٠ ، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر.

(٢) بالنثيا (آنخل بالنثيا) :

تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥م.

(٣) بازل دافيدسن :

افريقية تحت اضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد احمد ، بيروت بدون تاريخ .

تاريخ الادب الجغرافي العربي • ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم •

القاهرة ١٩٦٣م •

(٦) ليفي بروفنسال :

الاسلام في المغرب والاندلس • ترجمة السيد عبد العزيز سالم •

نهضة مصر سنة ١٩٥٦م •

(7) Deslane M. Description De L'afrique septentrionale, ALGRER, 1857.

(8) Kunik And Rosen V : 13 vestiya Al Bakri Drugich Autoror Rusi Slavjanacb I, st. peters Burg 1878

(9) Kowalski, Thaddaeus Relatio:

IBRAHIM IBN Jakub Delt urene slavoico quae

Traditure Abud Al bakri.

Polonia Historica. Cracoviae 1946.

خامسا : دوائر المعارف والمجلات :

(١) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ٠

(٢) مجلة الكاتب المصرى ٠ القاهرة ١٩٤٥م ٠

(٣) مجلة المجمع العلمى العربى ٠ دمشق ١٩٧٢م ٠





الفصل الأول

نشأة البكرى وعصره

الفصل الثانى

حياة البكرى العلمية وآثاره

الفصل الثالث

آثار البكرى التاريخية
(نماذج للدول التى عاصرها)